صفحة من
رحلة الإمام الزنجاني
وخطبه
في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية

تأليف الأستاذ

محمّد هادي الدفتر

الجزء الثاني

استخراج وتحقيق

حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

مؤسسة النعمان

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت . حارة حريك . مفرق دكاش . ص.ب ٢٥/٢٢٩

A Page from The

JOURNEY OF IMAM ABDUL KAREEM ZANDJANI

To the Arabic & Islamic Countries

Including His Visits and Speeches

2nd. Edd. 1956

3rd. Edd. 1996

Issued by

Al-Nou'man Est.

P.O.Box 229/25, Haret Hryek, Dakkach str. Beirut - Lebanon

صفحة من

رحلة الإمام الزنجاني

وخطبه

في الأقطار العربية والعواصم الاسلامية

الجزء الثاني

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
الحاج حسن الكتبي

تتعهد المؤسسة لكافة المؤلفين والناشرين الكرام داخل لبنان وخارجه بطبع كتبهم وصفها (بالكمبيوتر): وكذلك التصحيح والورق والتجليد الفني بأسعار مرضية، كما تزود المكتبات ودور النشر بكتبها وكتب دور النشر الأخرى وحسب الطلب

اتصلوا بنا على العنوان التالي :

بيروت ـ لبنان حارة حريك ـ شارع دكاش ص.ب: ٢٢٩/٢٥.

صفحة من

رحلة الإمام الزنجاني

وخطبه

في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية

تأليف الأستاذ

محمّد هادي الدفتر

الجزء الثاني

وفي آخر الجزء كتاب «المثل العليا»
خطبه أيضاً

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - ص.ب: ٢٥/٢٢٩

الطبعة الثانية
١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦م

الطبعة الثالثة
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد ابراهيم علي

لبنان - بيروت - ص. ب. : ٢٢٩ / ٢٥ - فاكس : مؤسسة النعمان 00357 46 25848

العنوان - حارة حريك شارع دكاش بناية الكنار شاهين سنتر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه محمّد

وآله الطاهرين ، وأصحابه الصالحين .

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من أعظم أمانينا أن يحيي بالطبع هذا الكتاب الثمين الذي طالما إشتاق إليه الشرق الإسلامي والعربي ؛ وشائت الأقدار أن يتأخر هذه الأمنية أعواما حتى إذا تهيأت المصادر والعوامل اللازمة بادرنا الى طبعه مغتبطين أن نقدم الى العالم الإسلامي في هذا الكتاب نصوصاً للخطب الارتجالية التي ألقاها الامام المجدد المصلح الأكبر حجة الإسلام وفيلسوفه الأعظم الشيخ عبدالكريم الزنجاني في العواصم الإسلامية والأقطار العربية وهذه النصوص مجموعة ما تفرق منها في مختلف الصحف والمجلات الشرقية ؛ وفي مذاكرات شهود العيان ؛ فاستوت ـ والحمد لله ـ كتاباً ثميناً هو في وقته كنز لأولي الألباب وسيظل خالداً الى الأبد وذخراً للأعقاب .

وهذه الخطب المقتضبة والمحاضرات الارتجالية وان كانت دلائل عبقرية الإمام الزنجاني وتسجل ناحية من نواحي عظمته الاصلاحية ؛ وترشد الأذهان الى أن تتخذ قياسا لهذه العظمة بما تضمنتة من لباب الفلسفه والحكمة والمنطق وأسرار التشريع الإسلامي ؛ وتفسير القرآن الكريم ؛ وحقائق العلوم وروح المعارف الإلهية ؛ وجواهر المكارم

السامية ونـواحي الإصلاح الإجتـماعي والعلمي والديني ، والعـواطف الإنشائية الإبتكارية الإلهاميَّة التي تجيش بصـدور عظماء البشر ؛ ولكنهـا لاتستطيع أن تصور للقاريء في الخارج عن محيط الإلقاء مقدار ما تـركته من عظيم الآثار المدهشة العميقة في نفوس عشرات الإلوف من الأساتذة والطبقات المثقفة في مختلف البلاد ومئات الإلوف من سائر النـاس الذين سمعوها من صوته الذي هز الأمم والمعاهد والحكومات هزاً لأنه صـوت صوت ضميره ؛ ونواته في تربة هي في أعـماق إحساسـه الإنساني ؛ ففي صوته بعض نفسه القدسية الكبيرة الفياضة القوية الجبارة التي كأنها مولد كهـربائي عـظيم يبعث الحرارة والقـوة والحياة في القلوب ؛ أو كـأنها قوة مغنـاطيسية عـظيمة تجـذب الى مركـزها عـلى المنصـة قلوب المستمعـين ومشاعرهم ، فلايستطيعون عنها تحويلا .

وعلى الرغم من أن الامام الزنجـاني يخطب إرتجـالاً ويبذل قصـارى جهـده في الإبتعاد عن التفنن في تـوشية طـراز البلاغـة ؛ ويتعمـد في أن يخـطب في المنـاسبـات مـرتجـلا بـاللسـان العـادي الـذي يفهمـه جميـع المستمعـين ، ـ على إختـلاف طبقـاتهم ونـزعـاتهم ونحلهم ومـذاهبهم ودرجات ثقافتهم ـ ولكن شدة نفسه وقوة روحه ؛ وملكة بلاغتـه وغزارة علومه وفلسفته وحكمته ، رفعت بدرجة بيانه الى ما تتقطع دونه عـلائق الأقـلام ؛ وتظهـر خطبـه الإرتجـاليـة مستحكمـة الصيـاغـة وفي أبـدع تصـوير ؛ ويخيـل إليك وأنت تسمعهـا أن الألفاظ والمعـاني قد دانت لـه يصيغها في القالب الذي يراه ويخرجها فتنة للسامعين ؛ ومواضيعهـا آراء جديدة وأفكار ابكار لم يسبقه إليها سابق في ما نعلم ؛ وكثـير منها تحف لم تفتق رتق سمع ولاخطب مثلهـا في جمع ؛ وفي بعضهـا يحس المستمع أن ضوء جديداً قد سطع على موضوعات قديمة مألـوفة فـإذا الآراء والافكار المحتجبة وراء ستار من الاساليب الملتوية قد تجلت واضحة قويـة فيعرف

أن الكلام لصاحب الرأي الذي إنتهت إليه الاصالة ؛ والقول الذي إندمجت فيه الدقة مع الجلالة . وقد زاد من بلاغة هذه الخطب وأنمى من روعتها ما عرف به الامام الزنجاني من حسن الالقاء وجمال الافضاء ؛ فكان لها وقع عظيم في النفوس بما جمع فيها بين البيان المرتجل واللباب المنتخل وود السامعون لو كان سلط عليها شريط كهربائي لينقلها كما اُلقيت .

وقد صرح المؤلف في تصدير الجزء الأول من هذا الكتاب بأن هذه الخطب التي تهز المطالع من الاعجاب ؛ وتوجه الضد للايمان بها ؛ وترغم الخصم على الاعتراف بها ، وتحل المشاكل العويصة التي عجز عن حلها فحول المصلحين وتعالج الأمراض الإجتماعية والدينية على لوحة التشريح المنطقي البرهاني والحس الانساني ، كلها خطب إرتجالية إرتجلها الإمام الزنجاني في المناسبات وفي مواقف كان أكثر الناس على غير رأيه فيما يجول ، بصورة بديهية كأنه يقرأ منها في كتاب ؛ وكأنها تستوحي الغيب فليس بينها وبين الغيب حجاب وبسرعة فائقة لايستطيع أي كاتب أن يسجل كلها أو جلها ؛ وكان المحررون للصحف وشهود العيان يقيدون ماواتتهم سرعة اليد وماستطاعوا أن يسايروه بأيديهم فإن سبق الامام الزنجاني أيديهم تركوه أو فهموا عنه بعض المطالب ثم أدوا ما فهموه بالفاظ من عند أنفسهم ولعلهم اجتهدوا أن تكون هذه الالفاظ مقاربة لما قاله الامام ؛ وكان أصحاب الصحف يحرصون على إذاعة ما قيدوه من كلامه ؛ فلاغرو إذا فقدت الخطب والمحاضرات جمالها الواقعي وشكلها الحقيقي ؛ ومع هذا فهي تبهر العقول وتحيّر الألباب .

ثمّ إنّ كلّ خطبة من خطب الامام وكل كلمة من كلماته تنطوي على ما لا حدّ له من الجهات والنواحي والمناحي ؛ وفيها من الفلسفه والحكمة وفنون العلوم ؛ وأسرار التشريع ؛ ولوامع التاريخ ؛ وأساليب

السياسة ؛ والإسلوب البديع ؛ والأدب المعجز ماحيّر العلماء والفلاسفة والأُدباء ؛ وقد تناولها محرروا الصحف أو شهود العيان مبعضة وبصورة مقتضبة ؛ واقتصرت كل صحيفة بنشر ناحية واحدة تلائم خطتها وتوافق ذوقها من جهات الخطبة ونواحيها الكثيرة ؛ فمن الصعب أن تجمع كما يرام أو تسجل كما اُلقيت ، وليس من السهل إستقصاء جميع الصحف والمجلات التي نشرتها بمختلف اللُّغات ؛ ولا مذكرات جميع شهود العيان التي سجلتها ؛ فإنها لايحصيها الحصر والعد ؛ فالذي وصلنا من خطب الامام الزنجاني وكلماته الخالدة جمل إختزلها الكاتب واقتطعها المحرر من كل خطبة من خطبه المطوّلة منسجمة في حدود استطاعة الكتاب وقدرة الجامع ؛ وهذا الكتاب على جلالة قدره وعظيم منزلته غيض من فيض ؛ وقطرة من بحر ، اذ لم نعثر من مئآت الصحف والمجلات التي نشرت فيها أخبار رحلة الامام الزنجاني ومحاضراته الارتجالية إلاّ على قليل ؛ ولم يصلنا من مذكرات الأُلوف من شهود العيان إلاّ عدد ضئيل ؛ ولم تسمح الظروف الحاضرة أن ننشر كثيراً مما إجتمع منها عندنا ؛ والتزمنا أن نسجل نصوص عبارات الصحف والمذكرات على إختلافها في مستوى البلاغة ؛ ومع تكرر بعض الجمل والمطالب في بعض منها رعايةً للامانة ؛ ولوكان قد عثر على جميع تلك الصحف والمجلات ورصد جميع الخطب كاملة لما استطاع أضعاف حجم هذا الكتاب أن تسعها .

وينبغي التنبيه على أنّه لم يمكن أن يطلب من الامام الزنجاني أن يعيد النظر في هذه الخطب والكلمات لالأنّه يكره الرجوع الى ما ألقى أو أملى فحسب ، بل لأنّه من ضيق الوقت وكثرة العمل وازدحام الواجبات من الدرس والبحث والتأليف والافتاء وأجوبة المسائل وقضاء الحوائج والسهر على المصلحة العامة وشؤون المسلمين كافة بحيث يشفق عليه

منها عارفوه من قريب ويتمنون أن يهيِّء الله له بعض الراحة والهدوء حيث لاراحة له في غير الاستزادة من العمل ومن النجاح الذي يلازم العمل ، مضافاً الى أن الامام الزنجاني مدفوع دائماً الى الأمام لايستطيع أن يقف أو يستقر فضلا من أن يلتفت الى مامضى ؛ أو يعيد النظر في كلام مضت عليه أعوام وهو لايجد وقتاً يمكنه من أداء واجباته اليومية الكثيرة التي يقتضيها مركزه الديني والعلمي السّامي على وجهها .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأساتذه أرادوا أن يظهر الإمام الزنجاني من الحرص على آثاره وآرائه أكثر مما أظهر الى الآن ، لأن محاضراته ومؤلفاته وآرائه وكلماته قد استغلت عند بعض الكتاب والباحثين والمؤلفين إستغلالا يتفاوت في الأمانة والخيانة دون أن يشير المستغلون الى ماإستغلوا منها فأظهروا أنهم مبتكرون ؛ فأجابهم الأمام الزنجاني قائلا : إني أزهد الناس في أن يعرف لي السبق الى رأي من الآراء أو عمل من الأعمال ؛ ويدفعني إخلاصي في العمل الى أن أبيح للناس أن يأخذوا وأن يستغلوا بل أجد سعادة لاتعدلها سعادة حين أراهم يأخذون ويستغلون آرائي ؛ وليس يعنيني أن يشيروا الى أنّها لي ؛ وإنما يعنيني أن أكون نافعاً لهم وللجميع .

ولنكتف بهذا الأجمال ؛ ونتفادى من تفصيل المقال لكي يتسنى للقارىء الكريم التأمل الصامت فيما تقع عليه العين من روائع هذا الكتاب ؛ فأن الأجدى عليه أن يتملاها نظراً من أن يترواها خبراً .

والحمد لله على ماأنعم نعمة لانحصي شكرها ولاننسى ذكرها

***

الخطبة الأولى

الخطبة الأولى

محاضرة الإمام الزنجاني في قاعة دار الأيتام الإسلامية في بيروت

تعليقات الصحف اللبنانية والسورية عليها

نقلاً عن جريدة الكوكب البيروتية العـدد ٢١ ـ ٢٧٣ في ٢٧ شوال ١٣٥٧ ، ١٩ كانون الاول ـ السنة السادسـة ـ ونقلا عن جـريدة المسـاء البيروتية وعن جريدة الألف بـاء الدمشقيـة العدد ٥٣٦٦ في ٢٢ كـانون الأول السنة التاسعة عشر .

الإمام الزنجاني في بيروت

أجاب صاحب السماحة حجة الإسلام الإمام المصلح الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني دعوة الوفـد اللبناني الـذي جاء الى دمشق بـرئاسـة النـائب المحبوب السيـد رشيد بيضـون فسافـر مع الـوفد الى بـيروت ؛ وأُستقبـل في الحـدود إستقبـالا عـامـا منقـطع النـظير ؛ وكـانت حفلة الإستقبـال مؤلفة من خمسمـأة سيارة ؛ وتجـاوز عدد المستقبلين في مـدينة بيروت عن مائة ألف نسمة ؛ وحـل ضيفاً في دار سعـادة النائب الكـريم رشيـد بـك بيضـون ، وقـد غصت الـدار طيلة الإسبـوع بكبـار العلماء والأمراء والوجهاء والأعيان وكافة طبقـات الشعب الذين جـاؤوا للسلام على الضيف الكبير ؛ وأقيمت لتكريمه حفلات كبيرة ؛ وقد دعته الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية لإلقاء محاضرة في قاعة دار الأيتـام الإسلاميـة مساء السبت فحضرها جمهور كبير وكـان موضـوع المحاضرة « الفلسفـة

الإجتماعية » فملك الألباب واسترعى إعجاب أُلوف المستمعين من مختلف الأديان .

نص رقعة الدعوة

تتشرف الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية في بيروت بدعوة حضرتكم . . . الى سماع المحاضرة التي يلقيها الإمام حجة الإسلام :

الشيخ عبدالكريم الزنجاني

وموضوعها : « الفلسفةالإجتماعية » .

وذلك في الساعة السابعة والنصف من مساء السبت ٢٤ شوال ١٣٥٧ الموافق في ١٧ كانون الأول ١٩٣٨ في قاعة دار الأيتام الإسلامية في محلة **الرمل** . فنرجو تشريفكم في الوقت المعين لازلتم أنصاراً للعلم والفضيلة . « رئيس الجمعية : رشيد يوسف بيضون نائب لبنان الجنوبي » .

وفي موعد المحاضرة تسارع الكثيرون لتلبية هذه الدعوة العامة حتى غص النادي وأكثرهم من عليه القوم وكبار الأساتذة وكان يتقدّمهم جلوساً في المقاعد الأمامية : فضيلة مفتي الديار اللبنانية ؛ ورياض بك الصلح وسامي بك الصلح ؛ وإبراهيم بك حيدر ؛ وسليم بك تقلا ؛ وأسعد بك البدوي ؛ ونجيب بك عسيران ؛ والشيخ منير عسيران ، وجبران بك التويني ؛ والشيخ أحمد المحمصاني ؛ والشيخ محمد علي الإنسي ؛ والشيخ مصطفى الغلائيني ؛ والشيخ توفيق خالد ؛ والشيخ علي زين ؛ والشيخ يوسف فقيه ، والدكتور نجيب عرداني ؛ والدكتور سليم إدريس ؛ وفيليب بك فارس ؛ وبهيج بك الفاضل ، والشيخ

بشارة الخوري ؛ والسيد أحمد الحسيني ؛ وعلي بك رضا ؛ والفرد بك ثابت ، ويوسف بك الزين ؛ وباترو بك طراد ؛ وفرنان أرسانيس ؛ وأحمد بك الأسعد ؛ وديمتري بك حابك ؛ والأمير رشيد الحرفوشي ؛ وعبدالله بك اليافي ؛ وأمين بك صباني ؛ وكمال بك جبر ؛ وحميد بك فرنجية ؛ وأنيس صالح ؛ وأحمد يونس الخطيب ؛ وخليل بك كسيب ، وراغب بك علامة ، توفيق بك علامة ، الأمير خالد شهاب ، أوكر بك أبي ناض سامي بك الخوري ، الدكتور سليم اللبابيدي ، صبري بك حماده ، أحمد بك الرجاوي ، عمربك الداعوق ، الإستاذ محيي الدين نضولي ، يوسف بك شمعون ، حبيب أبوشهلا ، أنيس نجا صبحي بك حيدر ، الشيخ إبراهيم المنذر ، أنيس أفندي الشيخ ، كامل بك يوسف بك سالم ، حسن أفندي القاضي ، عبدالحفيظ أفندي ، سليم بك طباره ، إبراهيم بك ازار ، توفيق أفندي حماده ، عبدالله أفندي المشنوق ، عفيف أفندي الطيبي ، الدكتور سامح فاخوري ، أحمد أفندي السبع ، محمد أفندي الطباره ، رامز أفندي شوقي ، رفيق أفندي البراج ، صلاح أفندي اللبابيدي عبدالله بك بيهيم ، الفرد بك نصر ، حسن بحصلى ، عبدالرحمن أفندي ، علي بك سلام ، عبدالرحيم أفندي قليلات ، محمد أفندي جواد ؛ واصف أفندي بارودي عارف أفندي غريب ، قسطنصين زريق ، الشيخ فداء جبيش ، لطفي حيدر ، عادل بك عسيران ، رضا بك التامر ، مختار بخيش كاظم بك الخليل ، عبدالله بربري ، الإستاذ نصري المعلوف ، الدكتور توفيق بيضون ، عمر بيضون ، أنيس بيضون محمود بيضون ، الدكتور محمد خيري النويري ، محمود أفندي النويري .

على ضوء الزنجاني

نقـلاً عن مجلّة « **الأمالي** » البـيروتيـة ، العـدد ١٨ الجمعـة ٨ ذي القعدة ١٣٥٧ ، ٣٠ كانون الأول ١٩٣٨ .

ألقى في الإسبوع الماضي بدار الأيتام الإسلامية الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، محاضرة فلسفية إجتماعية ، كـان موفقـاً فيها الى أبعد حد ؛ وأستطيع أن أقول بوضـوح أن محاضرنـا العلامـة الإمام قـل مـاتسعد المحـافل بمـرتجـل مثله يملك النفس ، ويثلج الصـدر ويصبح أحدوثة الناس على إختلاف مللها ونحلها بالثناء والشكر :

تناول علاّمتنا الإمام فلسفة الأديان وعللهـا تعليلاً صحيحـاً مبتعداً عن مـرامي التعصب ومـزالق الجهـل ، في فهم الـديـانـات الثـلاث : اليهودية ، النصرانية ، الإسلامية ؛ وكانت جلبة لسانـه العربي الـطلق تموج بالناس كماتتـماوج الحركـة بصفحة المـاء ورؤوس الأشجار ؛ ولقـد كان يرمي من خـلال أقوالـه الى جمع الكلمـة وتوحيـد القلوب بين أبنـاء الشرق ، قـائلاً : أن الجنّـة عرضهـا كعرض السـماوات والأرض تتسع للجميـع ، أجل : فليعمـل الشرق اليوم يـداً بيد ليسـاوي بقيـة الأُمم الحيّـة ؛ ولينبذوا العنعنـات والتعصبات البغيضـة التي إن عـادت علينـا بشيء فإنّما يعود بالخسران المبين والخيبة الفاضحة .

ولقد دعى الى توحيد الثقافة بين مختلف الـطبقات والـطوائف عالمـاً أنّه متى توحَّدت العقول والأفكـار توحَّـدت القلوب والأهداف . وهـذه هي الحقيقة التي لا غبار عليها .

الشيخ الإمام الزنجاني

يحاضر عن الوحدة الإنسانية

الفردوس فسيح وكوثره يروي الجميع

نقلاً عن جريدة « المكشوف » بيروت : في ٢٦ كانون الأول ١٩٣٨ العدد ١٨٠ السنة الرابعة :

حدثني صديقي قال : أن عالماً جليلاً وإماماً كبيراً سيتكلم عن بعض الشؤون الإجتماعية في الميتم الإسلامي ؛ فاحضر ؛ فتسمع مايسرك .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : تطل علينا من تحت عمامة مدورة بيضاء فوق منكبين يعلنان العزم والتؤودة والثبات .

وعليكم السلام ، قصفت مهمدرة من إلوف الشفاه ؛ ثمّ صوت مخنوق يكاد ينم عن ضعف المزاج .

سأجتهد في هذا المساء أن أسمعكم صوتي ؛ ولن أُفكر في عرض بلاغتي ؛ ولذا سأتكلم باللسان العادي .

فأحسست كأنني حملت الى شاطيء الخليج ؛ وإذاً بالدر يعوم ؛ والناس يندفعون من كل صوب متلاقطين الكنوز .

من هذا الصوت الصارخ ياترى . أمعمدان جديد يتقدم مسيحاً جديداً وقد سمعت الحديث يدور حول السلام في توحيد النزعات الدينية الآلهية المتباينة في الصورة والمتحدة في الجوهر .

هو الإمام المصلح الشيخ عبدالكريم الزنجاني .

وتابع المحدث : من النجف . يسير في الطريق التي رسمها السيد جمال الدين . وعبدها الشيخ محمد عبده . يجول في الشرق ويوقظ النيام أن توحدوا ففي الوحدة حياة وسعادة .

إستقبله الأزهر فوق إستقبال الغزاة الفاتحين . وصافحه الشيخ المراغي بيد تفتش عن رسل النور واليقين . وقبّل يده الدكتور طه حسين معلناً هذه أول يد قبّلتها .

زار أفريقيا والهند والصين . يرفع بيده لواء الفكرة . وفي رأسه علم إبن سينا وإبن رشد والغزالي والأفغاني وعبده . وفي قلبه رفق المسيح . وفي صدره عزيمة أحمد (صلّى الله عليه وآله) .

دخل بلاد الأفغان وبلوخستان . وتسلق صفح هملايا . فقد سمع أن على سطح العالم قوماً ذوي تفكير فرقى اليهم ونظر معهم الى صفاء النور المنعكس عن ثلوج إفرست .

إن الدين الإسلامي يأمركم بإحترام الأديان المُنزلة . ولاتخافوا من ضيق المكان في العالم الثاني فتهلع قلوبكم على غيركم ينزلقون الى أعماق الجحيم لإشتداد الزحمة وضيق المكان . فالسماء واسعة فسيحة . وجنّاتها غناء وارفة . وأنهارها الكوثرية تسقي أضعاف الموجودين بدون عداد وهي لاتنقطع ولاتتلوث ، قال الله تعالى : **﴿ وسابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها كعرض السّموات والأرضّ أُعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾** .

وليس الجهاد اليوم فرضاً على المسلم بالمعنى المفهوم قبلا . فالتفاهم بالحسنى أولى . **﴿ فيا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلاّ الله ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ ﴿ ولا إكراه في الدّين ﴾** .

وعلينا أولا أن نسعى الى ترتيب بيتنا ؛ ومن أجل هذا فإنّي أجول في العالم الإسلامي ؛ وأدعوا الى عقد مؤتمر إسلامي للتفاهم ونبذ الخصام . وأملنا وطيد بأنّنا متى وحدنا كلمتنا سنتصل بمؤتمر الأديان العام ؛ ونسعى الى التفاهم العالمي .

ماذا قال الشيخ الإمام . أيسعى الى مؤتمر عالمي تواجه فيه القلنسوة العمة فتتعانقان . .

أجل ؛ وهو يقول أيضاً أنّه لايجوز أن يبقى الشّعب طعمة سائغة لفئة متّشحة بثوب الدين تمتطي بالتفرقة ظهره ؛ وبيدها لجام الجهل ومهماز الطّمع .

لافض فوك أيّها الشّيخ الإمام ؛ وحيّا الله فيك هذه الروح السّامية ؛ ووفقك في مسعاك النبيل .

وها عمة بيضاء ثانية تعتلي المنبر ؛ فالشيخ مصطفى الغلاييني يقول كلمته ؛ وقد رجي إليه ذلك ؛ ومن أحق منه بالإجابة بإسم بيروت ؛ وقد خص الإمام الزنجاني الأُمة اللبنانية بعاطفة كالمسك طيباً ؛ وأشاد بعزيمة اللبنانيين وهمتهم ورغبتهم الصادقة في العلم .

تكلّم القاضي . . . بعد أن أرتج عليه ؛ فقال : إن الأُمّة اللبنانية وعلماء بيروت ؛ وفي طليعتهم سماحة مفتي لبنان ، موافقون على ماجاء به الإمام الزنجاني . وحصل أنه قبل كلمته بلحظة قام من بين الحاضرين شاعر عامي إستحسنت أبياته .

وكان الأُستاذ حليم دموس حاضراً فلماذا لايعرض شعره المدمس والجو رائق ؛ والجمع متشوق ؛ والحديث ذو شجون ؛ وهو سيصدر في السنة القادمة ملحمته عن بلاد العرب على لحن :

بــلاد الــعــرب أوطــاني   مــن الــشــام لــبــغــداني
. . . . إلى تــطوان

أشكـــرك أيهـــا الصـــديق من صميم قلبي ، لأنني رأيت في فضيلة الإمـام الزنجـاني روحاً أطيب من شـذا المسك يـاليت إقامتـه في بـيروت تطول فيتعرف الى عاطفته النبيلة رؤساء الطوائف الأُخرى فلعل في ذلك مقدمة لخيرعميم .

من كتاب

شاهد العيان

سيدي الإمام الزنجاني :

سمعتكم في بيروت تلقون محاضرتكم الإرتجالية في نادي الكشّـاف المسلم ؛ وقد نالني من روعتهـا وإعجابي الشـديد بهـا ماجعلني أُكـبركم جداً وأفتخر بكم ، خصوصاً عندما ظهـر لي الفرق بـين المثل الأعـلى في علمائنا وغيرهم بقـول الأُستاذ الشيـخ مصطفى الغـلاييني قاضي بـيروت بعد أن أرتج عليه .

ماذا أقول بعد خطاب الإمام الزنجاني ، إن كلامي بعد كلامـه مثل أكل المخلل بعد أكل البقلاوة .

وفي ذلـك النادي الحـافل يخـطب الأُستـاذ حليم دمـوس الشـاعـر المشهور فيقول : « كنت أود أن لاتلقى هـذه المحاضرة ـ محـاضرة الإمام الزنجاني ـ القيمة في هذا النـادي ، بل عـلى ساحـة البرج حتى يسمعهـا

العربي والعجمي والشرقي والغربي والأمريكي والأفرنسي والإنكليزي والمسلم والأرمني والنصراني واليهودي وكل من يتذوق العلم ويسعى وراء الحقيقة ؛ فنحيى في حقل الإنسانية سعداء » .

لماذا إرتج على الغلاييني

لانستطيع أن نصف هيبة الموقف التي أحدثته محاضرة الإمام الزنجاني في دار الأيتام الإسلامية ببيروت ؛ فلقد كان مفعول المحاضرة معتمداً على سلطة الإمام النفسية وعلومه الغزيرة ؛ ومقدرته الأدبية فأبرز الحقيقة بأجلى مظاهرها ؛ وألقى على المجتمع الإنساني نتائج علومه وثمار بحوثه ودروسه في إسلوب خلاب أوجد وحدة كيماوية في المستمعين ؛ وبعثهم حيث ما أراد ووجهم كيف ماشاء ؛ فلا غرو حينئذ أن نرى خطيب بيروت المصقع وأديبها البارع الشهير فضيلة القاضي الشيخ مصطفى الغلاييني قد أرتج عليه حينما إرتقى المنصة ؛ ولكنه كان ممن أرتج عليه فأبدع ، إذ قال : « ياأهل بيروت أنا خطيبكم لافي مثل هذا الموقف ؛ وقد سمعتم محاضرة الإمام الزنجاني التي لم تشهد بيروت نظيرها ؛ وإنكم في طلبكم كلمة مني بعدها على سبيل من أكثر من أكل البقلاوة فإشتهى المخلل » .

ويكفي أن أقول أن جميع العلماء وفي طليعتهم سماحة المفتي وكل الطوائف وافقوا على مادعي إليه الإمام الزنجاني من الإتحاد الشامل .

حول

تقريب الأديان والمذاهب ـ أو توحيدها

نقلاً عن مجلة العرفان اللبنانية ذو القعدة ١٣٥٧ ـ كانون الثاني

١٩٣٩ الجزء ٨ من المجلد ٢٨ .

. . . دعانا الى هذا البحث الآن الخطاب القيّم الذي ألقاها العلامة الإمام الشيعي الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني على أُلوف من الحضور وبينهم فريق غير قليل من الطبقة الراقية المثقفة من جميع الفرق وذلك في قاعة دار الأيتام الإسلامية الكبرى ببيروت . . . الخ .

ومجمل القول أن علامتنا الإمام تفنن كثيراً في خطابه الإرتجالي الممتع ؛ وكنا نود أن يتسنى لنا نقله برمته أو إختزال مواضيعه على الأقل ، بيد أن شيئاً من ذلك لم يمكن وإنّما نقلنا عنه ماعلق بالذاكرة فقط .

وإقترح الأُستاذ روحي فيصل على العلامة الغلاييني أن يقول كلمته في الموضوع ، فصعد المنبر وأظهر إرتياحه لمافاه به الإمام الجليل وقال : إن علماء بيروت وفي طليعتهم سماحة المفتي موافقون على ماجاء به الإمام . . الخ .

الخطبة الأُولى

نص محاضرة الإمام الزنجاني في بيروت

موضوعها : الفلسفة الإجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على كافة أنبيائه ورسله وخاتمهم وآله الطاهرين ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ومايذّكر الاّ أُولوا الألباب ﴾ .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : إني أشعر بسعادة عظيمة وغبطة بوجودي بين هذا الحفل الكريم ؛ وأود أن أُعبر عن شكري للجمعية العاملية ولأولئك الإخوان الأعزة والشباب المثقف الناهض الذين أتاحوا لي هذه الفرصة السعيدة ؛ وأُرتّل آيات الشكر إزاء مازهاني منكم ومن خطبائكم أعلام الفضيلة وحملة مشعل التوحيد ؛ ومبلغي رسالة الوحدة ، من كرم أخلاق ؛ وطيب أعراق ؛ ودماثة طباع ؛ وكل مايمثّل الفضيلة وروح الإيمان والإسلامية والإنسانية ؛ فجزاكم الله خير جزاء المخلصين لدينهم وبلادهم ؛ ووفقكم الله لما يحب ويرضى إنّه سميع مجيب .

ثمَّ إنكم إطلعتم في إعلان الجمعية ورقاع الدعوة على أن موضوع محاضرتي هذه « الفلسفة الإجتماعية » وغير خفي عليكم أن هذا الموضوع كثير النواحي ، متشعب المناحي ؛ وسيع المراحل ؛ وله أطراف مترامية ؛ ونواح متباعدة ، لايمكن إحصاء عناوينها بعشرات المحاضرات فضلاً عن هذه الإلمامة العجلى ؛ فلنقتصر بشيء يسير منها في صورة مصغرة واضحة تكون وافية لما نحن بصدده من الإصلاح الإجتماعي والديني .

ولو أردت أن أتكلم بما يلائم الطبقة الراقية منكم من ذوي الفضل والمعارف لكنت أوجبت حرمان الآخرين من الحاضرين ؛ فرعاية لحق الجميع لامندوحة لي من التكلم باللسان الذي يفهم الجميع ولاتختص به طبقة دون أُخرى ، إذاً فلامؤاخذة إذا تكلمت باللسان العادي ، بعد أن كان جلّ الغرض هو الإفهام ، لاإظهار الفصاحة والبلاغة والصناعة والبراعة وتزويق الكلام ، مع العلم بأن أفضل الكلام مازانه حسن النظام ، وفهمه الخاص والعام ؛ وأبلغ البلاغة ماسهل مجازه ؛ وحسن إيجازه .

الفلسفة الإجتماعية

فلسفـة تبحث في أُصول عـامة تبـين آراء الإنسان وأعـماله في جميـع أدوار التكوين الإجتماعي بإعتباره كعضو في مجتمع بشري تـربطه بسـائر الأعضاء رابطة الإنسانية والواجبات القهريةُ والمصلحـة العُامـة فيخضع لنظمهم وقوانينهم ـ وبعبارة أُخرى ـ الفلسفةُ الإجتماعية ، فلسفة عملية تؤدي الى معرفة مناهج العمل بكل مـايصلح أحوال الإنسـان في معاشـه ومعاده ويوصله الى كماله الممكن ؛ وغايتها ، المدنية الفاضلة ؛ والتمدن القائم على قـانون الفضيلة المؤدي الى الخـير الكامـل الشامـل ، ويدبـره العقل المجرد عن شوائب الأوهام بإستخدامـه القوى النفسيـة الخاضعـة لسلطانه ؛ ويعبر عنه بالعقل الإجتماعي .

وليس علم الإجتماع حادثـاً جديـداً تكون في العصـور الأخيرة كـما زعمـه بعض علماء الإجتماع في الغـرب ، بل هـو قديم جـداً وأقـدم من تدوين التاريخ ، لوضوح أن الإنسان كائن إجتماعي بالطبـع وقد كـانت النزعة الإجتماعية موجودة فيـه وسائـرة على نـاموس الإرتقـاء منذ كـانت مسـاعيه في عصـور سذاجتـه الأُولى محصـورة في تحصيـل الضروري من وسائل الحياة ومقصورة على الحد البسيط الذي لابد منـه لمجرد البقـاء ؛ وكانت مظاهر التنافس الإنساني بين أفراده في نطاق دائرة محدودة تسوقهم الى التدافع لاالى التسابق ؛ ولكنه لم يلبث طويلاً حتى كثرت عليه أعبـاء الحياة كثرة هائلة فألجئته الضرورة ؛ والحاجة التي تفتق وجه الحيلة ، الى إستعماله حواسه الباطنة لدفع عـادية الـطبيعة ؛ وتـدبير وسـائل المعيشـة وتنـظيم شؤون الإجتماع مـع بني نوعـه ليقومـوا بالعمـل المشترك الـلازم

لتقويم حياتهم متساندين فيختص كل منهم بجهة منه ؛ فوسع بذلك من نطاق إدراكه الى شيء مما يدركه خياله الساذج ؛ ولم يزل متدرجاً على هذه الحالة وموسعاً حدود معرفته المقصورة على ظواهر الموجودات ومظاهر النواحي الإجتماعية بغريزة حب السعادة وغريزة حب الإستطلاع التي هي من أكبر النواميس المتممة بل المقومة لنظام الكون والعمران ، حتى أحس بضيق دائرة الخيال ؛ وعرف إنخداع الحس ؛ فاندفع بدافع طبعي نحو إستعمال عقله الفطري الغريزي الذي يميزه عن سائر أنواع الحيوان ؛ وهو موضع شرفه ومنبع كرامته وعنصر الفرق بينه وبين الكائنات الأُخرى ؛ وأخذ يتدرج في الإدراك العقلي الذي به يتكون تجريد الجزئيات عن المادة وأوضاعها ، حتى إنتظمت له أنواع أربعة من الإدراك مترتبة في التجريد ؛ وهي : (١) الإحساس (٢) التّخيل (٣) التّوهم (٤) التّعقل ، « والأول » مشروط بثلاثة أشياء ؛ وهي : (١) حضور المادة (٢) إكتناف الهيئآت (٣) كون المدرَك جزئياً . « والثاني » مجرد عن الشرط الأول ، « والثالث » مجرد عن الشرطين الأولين ، « والرابع » مجرد عن جميع الشروط الثلاثة ؛ ومن هذه المرحلة أخذ الإنسان يحاول أن يبحث عن بواطن الأشياء وحقايق وسائل السعادة ؛ وكانت الفطرة الطبيعية تدفعه نحو التفكير في مبدء حياته والبحث عن مصدرها وأسباب تكونها ووجودها ، ومصيرها ؛ والحالة التي هي عليها ؛ وشؤون سعادته الإجتماعية وأسبابها ؛ وكان يسائل نفسه ، من أين جئنا ؛ والى أين نحن ذاهبون ؟ ومن أين هذا العالم ؛ وماهو حقيقته ؟ وكيف نشأ كذلك ؟ والى أي غاية تنتهي به سلسلة الوجود ؟ مترقباً الإجابة على هذه الإسئلة من غريزة العقل الفطري الذي هو مفسر الكون الوحيد .

وفي هذه المرحلة وعلى أساس هذه النظرية الفطرية والبحث

النظري عن حقائق الموجودات ودقائق السعادة الإجتماعية تكونت « الفلسفة » العامة ؛ و « الفلسفة الإجتماعية » ، منذ عهود بعيدة تقصر عن إدراكها مجهودات التاريخ الذي لاينبئنا عما هو أقدم من ستة آلاف سنة ؛ وكذلك الآثار المكتشفة لاتنبئنا عما هو أقدم من ثمانية آلاف سنة ؛ فالمدنية الإجتماعية إبتدئت قبل الملك مينا أول فراعنة مصر بمدة بعيدة ؛ وقبل كوش أقدم ملوك بابل ؛ وقبل بيلوس أقدم ملوك مادي وفارس ؛ ولقد أجاد بعض فلاسفة الإجتماع حيث أفاد أن المدنية الحاضرة التي إتصلت بنا سبقتها مدنيات أُخرى كثيرة كانت أرقى منها جداً ثم بادت بجائحة طبيعية كالطوفان أو نحوه ؛ ومن بواعث الفخر ما قرره بعض أعلام علماء الإجتماع من أن نظرة عمومية على جغرافية الشرق تؤكد أن المكان الذي بسقت فيه دوحة المدنية المتحضرة لابدع أن يكون في منطقة سهلية تمتد من وادي النيل شرقاً بشمال قليل الى سهول سوريا ولبنان ورياض العرب الى وادي دجلة والفرات الى بلاد فارس وبلوخستان فما بعدها شرقاً ؛ فإن هذه المنطقة معتدلة الإقليم ، خصبة سهلة للتبدي والترحل ؛ وهي أصلح من سائر المناطق التي حولها للعمران ؛ ولذلك يرجح أن المدنية نشأت فيها ؛ وترعرعت هنا وهنالك ؛ فعليه كان الشرق منشأ المدنية ؛ ومنشأ الإنسان الأول ؛ ومبعث الأنبياء والرسل ؛ ومهد الأديان السماوية ؛ فما أُمجد تاريخ الشرق ؟ .

ويلزم أنّ ألفت أنظاركم الى ما قرر في علم الإجتماع الحديث من أن الدين أفعل العوامل الإجتماعية في بناء الجماعات وتنظيمها ؛ وهو كبطل الرواية في كل فصل فيها ؛ فقد لعب الدين أدواراً عظيمة الشأن منذ نشوء الجماعات البشرية الى اليوم ، فإن قوة الشعب أو الأُمة أو المجموعة البشرية لايمكن أن تجتمع في شكل ديموقراطي مادامت الجماعات غير تامة الإندماج ؛ ولايحصل الإندماج المطلوب إلّا بقوة ذات الحق الإلهي وهي

قوة الدين ؛ وهذا الإعتراف من علماء الإجتماع يلائم ما سجلته الفلسفة من أن الإنسان لما حاول أن يكتشف بغريزة التعقل مصدر العالم ومصيره إهتدى عن طريق الفطرة السليمة والعقل المستقيم بغريزة الشعور الدّيني وعاطفته الفطرية الى الإذعان بالدين الفطري المرتكز على أساس معرفة مبدء العالم وصانعه ومعرفة معاد العالم ؛ فالفطرة الإنسانيّة وغريزة التّعقل التي بها تكوّنت الفلسفة تكونت بها العقيدة الدينية للإنسان فساقته الى التعبد والخضوع للأديان الإلهية المتخالفة في الصورة والمتحدة في الجوهر ؛ فالتدين مرتكز على أصل نفساني فطري قائم على أكرم ميول النفس وأبقاها ما بقي الإنسان ؛ والأديان الإلهية كلها قد إعتمدت في الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ودفعته الى الثقة بأن العالم مجموعة متناسقة تسودها ذات مدبرة حكيمة ترقب النيات وتحكم الضمائر ؛ وأن هذه الحياة صائرة الى غاية من المسؤولية والمجازات ؛ ولكن حكمت الأساطير على العقيدة الدّينية وأنمتها الخرافات والأوهام في أدوار كثيرة طافت بها تلك العقيدة ؛ ولقد أجاد الأُستاذ بنيامين قونستان ؛ وهو أحد علماء تاريخ الأديان حيث قال : « إن الشعور الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا الأزلية ؛ ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن تتبادر الى ذهننا فكرة الدين » . وقال « ماركس مللر » : أن فكرة التعبد من غرائز البشر فأنه فطر عليها منذ نشأته الأُولى . فاتضح أن الدين والفلسفة دوحتان من أصل واحد أنتجته غريزة التعقل وقد كان الدين والفلسفة في بدء تكونهما متآلفين ومتوافقين ومتحدين في الغاية وكانت معرفة مبدء العالم ومصيره ؛ ودراسة الإلوهية وصفاتها وأفعالها وآثارها من أهم عناصر الفلسفة ؛ ولم يحدث بينهما التنافر المزعوم إلاّ بعد ما كلف العقل بأن يتكلف إدراك كل ما في عالم الوجود وأن يحيط بواهب العقل وعلة العلل ؛ وبعد تقهقر العقل الى

مرحلة الطفولة الأولى كي لايحاول أن يفهم سوى العـالم المادي بـواسطة الحـواس التي تخطىء كـما تصيب وتحيـد عن الحق كـما تـتزن وتستقيم ، وساعد عـلى ذلك تحـريف الدّين وإنحـرافه عن أسـاس الفطرة بـالآراء البشرية العاطفيـة ، ومن هنا إفـترق الدين عن العلم والفلسفـة وارتكز على العاطفة ، حينما إرتكزت الفلسفة عـلى الحواس وعـلى العقل الفـجّ المحدود ، فتبدل الإيمان بالشك فنجمت عنه الفلسفة الإرتيابية فتخالفـا بتخالف العاطفة والعقل المحدود بعدما كانا متوافقين حين إلـتزام إهلهما بإطلاق الفكر من تقييده بدائرة محدودة من العاطفة ؛ وتحريـر العقل من حصره في محيط محصور بدائرة المادة الضّيقة ؛ وكانوا لايحولـون بين المـرء وقلبه ؛ وإشتد هـذا الخصام بـين الدين والعلم في القـرن الماضي ، لأن العلم كان مؤسساً فيه على النظرية المادية في اصـل الوجـود وأبديـة المادة وبـذلك عـظم شأن الفلسفـة الماديـة ، وكان الـدين يشتد في نقضهـا ؛ والنعي على معتقديها ، الى أن ظهرت الإكتشـافات العلميـة الحديثـة في هذا القرن وأثبتت أن المادة ليست أبدية ولكنها خـاضعة للنـاموس الحتم الـذي يقضي على جميـع الكـائنـات بـالفنـاء والتّـلاشي ؛ وأوضحت أن المذهب المادي لايستند الى قواعد علميّة ثابتة ؛ وإنّما هو منهاج للتجارب العلميـة فحسب ؛ وبذلـك إلتقى الدين والفلسفـة في مجال واحـد بعـد إفتراق طال عليه الأمد ؛ وسينتهي الأمر بينهما الى الوفاق كـما كانـا في بدء تكونهما ؛ وهذه الحقيقة هي سر مايوجد في الفلسفة من مظاهر الإنعطاف نحو العقيدة الدينية ؛ ولـذلك لايخلوا من هـذا الإنعطاف دور من أدوار الفلسفة ، حتى فلسفة ديكارت ؛ وكانت وقد أثبت التأريـخ أن الفلسفة أعانت على إعداد الشعوب القديمة للمسيحيـة ، لأن المسيحية الخـالصة والفلسفة الصحيحة كانتا متآلفتين ومتعاضدتين ما دامت المسيحية ثابتـة على الخطة الإلهية المرسومة على نامـوس الفطرة ؛ ولمـا تغيّرت وإنحـرفت

عنها أنكرت الفلسفة إنكاراً شديداً وإنتهى الأمر بالفلسفة الى أن إلتمست لها مقراً لايتسلط فيه حزب المسيح (عليه السّلام) فهاجرت الى الفرس وإستظلت بلواء الساسانيين ؛ وكذلك أعانت الفلسفة الشعوب الفارسية والهندية للديانات سيّما الإسلامية التي هي دين الفطرة ودين الطبيعة ودين الإنسانيّة ؛ ولأجل ذلك يرتاح لتعاليمها العقل ؛ ويطمئن إليها الوجدان .

ثم إن علم الإجتماع الحديث قرر أن الأنظمة الإجتماعية ، التي تعد أجهزة الجسم الإجتماعي ، ترجع الى سلسلتين رئيسيتين : الواحدة واسطة وهي الدين ؛ والجنديّة ، والحق الأدبي في القضاء ؛ والأُخرى غاية ؛ وهي العلم ؛ والسياسة ؛ والإقتصاد . فالدين كان واسطة لنشؤ العلم ؛ فما الفلسفة التي هي خلاصة العلم ألاّ الدين مجرداً من الخرافات ؛ وقد ترقت السياسة على كتف العلم مستعينة بالجندية ؛ ثم يقوم الإقتصاد على عاتقي السياسة والعلم معتصماً بالقوانين ؛ ومستنصراً بالقضاء الذي هو الحق الأدبي ؛ ويجب إكساء هذه الأنظمة الإجتماعية الرئيسية بكساء الديموقراطية ، إذاً روح الجسم الإجتماعي التمدنية في نظر علماء الإجتماع هي الديموقراطية وبلفظ عربي « المشورة » العامة بواسع المعنى المقررة في الإسلام ، بنص القرآن الشريف ؛ ولكن بعض المؤلفين في علم الإجتماع الحديث ترجم الديموقراطية بلفظ « الإشتراكية » بواسع المعنى ؛ وإني لاأشك في أنّه أراد بالإشتراكية إشتراك أفكار الجميع في تشريع الأنظمة الإجتماعية وهذه عبارة أُخرى عن « المشورة » ولكن المضللين فسروها بالإشتراكية الهدّامة .

***

الفلسفة الإسلاميّة العامة

وهنا يجدر بي أن أضع أمامكم صفحة أُخرى ربما لاتجدونها في علم الإجتماع الحديث ؛ وهي أن الفلسفة الإسلامية العامة إعتبرت الفلسفة الإجتماعية مساوقة للفلسفة العملية وجامعة للفلسفة الخلقية والفلسفة المنزليّة والفلسفة المدنيّة ، وفلسفة النواميس والفلسفة الإقتصادية وفلسفة التربية .

وتعني الفلسفة الخلقية بمعرفة مكارم الإخلاق للتخلق بها ؛ ومعرفة رذائلها للإجتناب عنها ؛ ومعرفة علاج الأمراض النفسية والخلقية ؛ والطرق التي بها تحافظ على صحة النفس ومكارم الأخلاق ؛ وفائدتها سهولة صدور أفعال جميلة محمودة من الإنسان بإرادته بسبب تخلقه بفضائل الحكمة والعفة والشجاعة التي هي درجات إعتدال القوى الثلاثة وهي العاقلة ؛ والشهويّة والغضبية وهذه الفضائل هي الحدود المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط في هذه القوى الثلاثة ويطلق على مجموع هذه الفضائل إسم « العدالة » فالعدالة الفردية والعدالة الإجتماعية رأس مكارم الإخلاق وأكملها في الفرد والمجتمع وهي المنظمة للحياة النفسية الإنسانية وللحياة الإجتماعية لإنها عبارة عن التعديل والتسوية والمساواة العادلة المقتضية لإعتبار الوحدة والإتحاد في ماتجري فيه العدالة ؛ وهذا هو سر ماقاله شارع الاسلام من أن عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، مع العلم بأن خصلة المحبة أفضل من العدالة ، لأن الإتحاد الحاصل بالمحبة طبيعي حينما يكون الإتحاد الحاصل بالعدالة صناعياً ؛ وإنما تمس الحاجة الى الإنتصاف والعدل حينما تفقد المحبة ، إذ لايحدث خلاف مع وجود المحبة حتى يحتاج الى

الإنتصاف والعدل ؛ ولـذلك كـانت المحبة من أعـظم أركان الـروابط المنزلية والإجتماعية ، ومنبـع السعادة في الحيـاة ؛ ولا يدوم إجتـماع بدون المحبة على درجاتها والمحبة سر الله المخزون الذي تشفى به جميـع الأدواء القوميّة ؛ والترياق الذي تذهب به سموم الإمـراض الإجتماعيـة ؛ وهي إنجـع وسيلة لإقتـلاع الشرور من النفـوس ؛ وإبـادة أنـواع التفنن في الشرور من العالم الإنساني ؛ وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء ؛ وسـارت بهم أسرع مـايكـون الى طـريق الإرتقـاء ؛ ونقلتهم الى درجـة الإسرة الـواحدة فكـانوا كـالجسم الواحـد إذا تألم عضـواً تألم لـه سـائـر الجسـد ؛ ولو تمت المحبـة بين النـاس لمـا رأيت دمـاً يُسفـك ولا عـرضـاً يُهتـك ؛ ولا مالاً يُسرق أو يُنهب ولمـا رأيت المحاكم الأهليـة كالأسـواق مـزدحمة بكـل أنواع القضـايـا ؛ ولاوجـدت المحـاكم الشرعيـة مكتـظة بدعاوي الأقارب لميراثهم ؛ والزوجات لنفقـاتهن ؛ ولو تمت المحبـة بين الناس لبات كل إنسان بين إسرته ومجتمعه على أتم مايكون من الصفاء ؛ وأكـبر مايتصـور من النعيم ، ولكان عيش النـاس في الدنيـا أشبـه شيء بعيش أهل الجنة فيهـا ؛ والمحبة حبـل الله الذي أمـر الناس بـالإعتصام بـه ؛ ولذلـك إعتبرهـا شارع الإسـلام أساس الخـير وجماع الفضـائل ، وجعلها شرطاً للإيمان ؛ فقال النبي (صلّى الله عليـه وآله) : « والـذي نفسي بيـده لاتدخلون الجنـة حتى تؤمنوا ؛ ولاتؤمنـوا حتى تحابـوا ؛ أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ ؟ ، قالوا : بـلى يارسـول الله ، قـال (صلّى الله عليـه وآله) : أفشـوا السلام بينكم » ؛ ولاشـك في أن أهم واجب اليوم السعي لإصلاح العقائد والأخلاق .

الفلسفة المنزلية

ولهـا المقام الأول في نـظر فلاسفـة الإسلام حتى جعلوا نـظام الحياة

المنزلية أساساً لنظام الحياة الإجتماعية ؛ وأصلا لأركان سعادة الأُمّة ؛ وفيها تعرف قوانين تكوين الإسرة وتدبيرها ؛ والحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرادها ؛ وقواعد الإقتصاد المنزلي وأُصول التربية وتهيئة الأطفال جسما ونفساً وخلقاً للقيام بوظائفهم المتنوعة في خدمة المجتمع؛ وإنشائهم على الآداب الروحية والمادية لكي يكونوا رجالاً متزني الجوانب لاتطغي فيهم ناحية على ناحية ، قال الله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ .

الفلسفة الإقتصادية

وهي تبحث في دراسة جهود الإنسان المخصصة لقضاء حاجاته الطبيعية والإجتماعية ؛ والمبذولة في إنتاج الأرزاق وتداولها وتوزيعها وإستهلاكها وبها تعرف القوانين والنواميس التي لها تأثيرها في هذه الشؤن ؛ وللإقتصاد قوانين عامة تشبه الحقائق الراهنة في أنّها لاتقبل التغيير في العصور والأحوال ، « كقانون العرض والطلب » مثلا ؛ وبجانبها قوانين تاريخية لاتلائم إلّا بعض العصور أو الجهات أو الحالات الإجتماعية ؛ والإقتصاد وهو علم المنفعة ، يحتم على الفرد أن يفكر في منفعة نفسه بشرط أن لاتضر غيره ؛ والمنفعة بهذا الشرط صورة عملية للعدل ؛ كما أن العدل صورة خلقية للمنفعة ؛ فمن الغريب الزعم القائل بأن المنفعة والأخلاق لايتفقان ، إذ يحض الأول على الأثرة وحب الذات ؛ ويحض الثاني على الإيثار والتضحية والتآزر ؛ ومنشأه الغفلة عن أن الإقتصاد والأخلاق متفقان في مكافحة كل من يميل الى الإسراف والتبذير ؛ وتشجيع جميع أنظمة التوفير وأن زيادة الإنتاج تساعد على نشر التربية الخلقية ؛ ولقد عني المشرعون بالمسائل الإقتصادية في كل عصر عناية فائقة ؛ فوضعوا القواعد والقوانين التي تنظم الملكية الفردية ؛

والعامة ؛ والأحوال الشخصية من ميراث وعقود مدنية وتجارية ؛ وإهتم الإجتماعيون بها قديماً وحديثاً ، وسجلوا الدراسات الإجتماعية وما ترسمه مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالإشتراكية المتطرفة ؛ والشيوعية ؛ والفوضوية وأمثالها ؛ وكشفوا عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض فيها ؛ وعما في مبادئها من مخالفة القوى الطبيعية ؛ والغرائز الفطرية مخالفة توجب إستحالة تطبيقها في هذا العالم ، لوضوح أن القوى والغرائز والإستعداد ليست متساوية في أفراد الإنسان ، بل هي متفاوتة ومختلفة ؛ ويختص كل إنسان بمزايا خاصة ؛ وبحدود من القوى مخصوصة ؛ فمن الطبيعي أن تعود نتائجها إليه ؛ ويجب بالطبع أن تكون ثمرات قواه مختصة به ؛ كنفس القوى من دون شريك ؛ وللفطرة غرائز ؛ كغريزة الشعور الديني ؛ وغريزة الغيرة على الزوج ، وللطبيعة جند قوي قاهر لايقاوم ؛ ولذلك ما لبثت الشيوعية ومظاهرها من الإسبرطية والإشتراكية ؛ والفوضوية ؛ والفاشستية ؛ والإجتماعية الحكومية ؛ والإجتماعية المسيحية ؛ والمزدكية ؛ والنيجرية ؛ والإسرارية ؛ والولنزية ؛ والأبيقورية ، والكلبية ؛ والديمقراطيسية ؛ والمادية ؛ والدهرية ؛ والإباحية ؛ والماركسية ، والإلحادية ؛ ومذهب التضامن والمذهب الحر ؛ والمذهب التجاري أن تلاشت أمام الجند الطبيعي القاهر ؛ والغرائز الفطرية الراسخة ؛ وطوتها الأيام ؛ وأخفق أصحابها لأن المبدأ الشيوعي بجميع مظاهره هو مبدأ تحويل الشعوب الى مجرد آلات بتجريدها من جميع الصفات الإنسانية التي رعتها الديانات والأخلاق والعقول تحت ثوب الإحياء الوطني ، أو الإنتصار للعمال وتجريدها عن الفكر والعقل المميزين للإنسان عن الحيوان ثم استعمالها كآلات ميكانيكية ؛ وأصحاب المبدأ الشيوعي يسيرون على غير هدى ؛ ويتلمسون النور في

الليـل ؛ وينشدون النـظام في الفوضى ويتمنـون الـوصـول الى شـاطىء الأمان ؛ وهم يتخبطون في بحر الظلمات .

الفلسفة الإسلامية وتاريخ الفلسفة

وينبغي التنبيـه عـلى أن الكتب الفلسفيـة التي ألفهـا الغـربيـون والشرقيون في العصور الأخيرة ، صورت الفلسفة الإسلامية ، في صورة تقشعر من قباحتها هذه الفلسفة ؛ ولايعرفها أهلها إذا عرضت عليهم ؛ وأن الفلسفـة الإسـلاميـة قـد لعبت بهـا أيـدي المغـرضـين من جهـة ؛ والجاهلين من ناحية أُخرى فصورتها على صورة تؤدي إلى تحويل تيـارات العقول والأفكار الى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها ؛ وأن تاريـخ الفلسفـة العام الغـربي أهملهـا ؛ وإنتقـل من العصرين ، الإغـريقي ؛ والمسيحي ، الى العصر الحـديث قافـزاً من القرن الـرابـع الميـلادي الى نهوض ديكـارت ؛ وباكـون ، في القرن السـابع عشر ؛ وسجـل إجمـاع مؤرخي الفلسفــة الحـديثــة عـلى أن مــدرسـة الإسكنــدريـة ، وهي الإفلاطونية الحديثة ، كانت آخر مصباح شع نوره عـلى العقلية البشريـة ثم خبا ، فجمد بخبوه الذهن الإنساني جموداً طال مداه أكثر من إثنا عشر قرناً ؛ وإدعى أن الفلسفة الإسلامية لاتزيد على أنها نظريات يـونانيـة ؛ ولا يـوجد فيهـا شيء من الإبداع والإبتكـار ؛ وأن العالم مـدين بحـريـة الفكر لليونـان ؛ وأن فضل العـرب لم يكن إلاّ نقل الثقـافة اليـونانيـة ؛ وتسليمها الى الغرب ، الى غير ذلك مما يثبت جلياً أن الغربيين لم يفهمـوا الثقـافة العـربية ؛ ولم يستـطيعوا أن يحلّوا طـلاسم الفلسفة الإسـلاميـة لغموض أساليبهـا ؛ فأسقـطوها ـ وهي حلقـة قيمة غـالية ـ عن سلسلة تأريخ الفلسفة العام ، رغم أن الفلسفـة الإسلاميـة زاخرة بـالمبدعـات والمبتكرات ؛ وكنوز الحقائق الراهنة ، في جميع أنحاء المعارف الإنسـانية

السّامية ؛ وأنها فتحت أمام الذهن الإنساني آفاقاً جديدة ؛ وجهته الى البحث عن المثل العليا ؛ ولايستغني عنها من يطلب الفلسفة الكاملة وتساهمت بحظ كبير في حركة الفكر الإنساني في العالم المتحضر ؛ وكانت من أكبر وسائل النهضة الفلسفية الحديثة ، بل من أعظم مصادرها ؛ وليس المقصود من ذلك نبذ الفلسفة الحديثة ؛ كلا ؛ فإن كلاًّ من الفلسفتين قوة عقلية جاهزة وعدّة فكرية ناهضة يجب إستغلالهما ؛ ولايجوز الإستغناء عن كلٍّ منهما ، بل يجب أن نضم نفائس الفلسفة الحديثة الغربية ، إلى حقائق الفلسفة القديمة الشرقية على ضوء العقل والروية لنستخلص منهما مزيجاً إصلاحياً خالصاً ؛ وفلسفة قويمة ، صالحة للحياة والبقاء ؛ وكذلك أراد الله أن تكون الحياة دائماً مزيجاً من صالح القديم والحديث : ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ ؛ ومنشأ هذا الخطأ التاريخي هو الجهل بالفلسفة الإسلامية ؛ وبكيفية نشؤها وإرتقائها ؛ والغفلة عن أن الدور الإسلامي من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشري ؛ ولم يكن إنتاج الدور الإسلامي منحصراً في إحياء بعض النظريات القديمة بل كان عهد إبتكار النظريات الجديدة القيمة ، بإعتراف علماء الغرب .

وهل يتصور إبتكار وإبداع أعظم مما صدر في القرن الثالث عشر الميلادي من فيلسوف الإسلام ومجدد الفلسفة الخواجة نصير الدّين الطوسي من نقضه القاعدة اليونانية القديمة ؛ وهي الواحد لايصدر منه الاّ الواحد ، التي كانت آية ثابتة في الفلسفة اليونانية وقاعدة مسلمة في جميع أدوار الفلسفة الى عصره ؛ وكانت مبتنية عليها أسس الهيئة القديمة ومباحث العقول العشرة وما يتبعها التي ضخمت بها الأساطير ؛ وإتسع فيها نطاق الكتب الفلسفية والرياضية ؛ فإنهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة كوبرنيك وجاليلة ، بعدة قرون وأعجب مافي الأمر أن

الفيلسوف الطوسي ، إتخذ من ملاك برهان إثبات القاعدة المار ذكرها دليلاً على نقضها ؛ وأعظم من ذلك أن الفيلسوف الطوسي برهن على أن « الأجسام متحركة نسبياً » ؛ فأصبحت هذه القضية مبدأ النظرية النسبية التي أنتجتها عدة تجارب قام بها العلماء في القرون الأخيرة ، لغرض الوصول الى غاية تستهدف قياس السرعة المطلقة ؛ وكان أهمها تجربة ميكلسن ؛ ومورلي ، سنة « ١٨٨٧ » ميلادية التي مهدت لظهور النظرية النسبية المنسوبة الى الدكتور ألبرت إينشتاين لأنه قام بتفسيرها وتعليلها في القرن الحاضر ؛ وإندهشت الأوساط العلمية في أنحاء العالم من مفاجئتها لأنها تستدعي قلب التصورات القديمة للزمان والفضاء ، والمسافة ؛ والمادة ؛ وإستبدالها بتصورات أُخرى غريبة ؛ كتصور الحد الرابع ، وإنحناء الخطوط العالمية كما تستدعي قلب أُصول إقليدس الهندسية ؛ ومباديء فلاسفة اليونان الفلسفية والمنطقية ؛ وقوانين نيوتن الميكانيكية .

ونحن إستعرضنا في بعض مؤلفاتنا براهين النظرية النسبية وإنتقدناها نقداً علميا ؛ وأوضحنا أن شوط الفيثاغوريين في هذه النظرية كان أوسع من أشواط ميكلسن ، وأنيشتاين لإعتبارهم النسبة صفة لازمة لجميع الموجودات ، بل جعلوها جوهر الكون ؛ وقالوا : « النسبة نظام الكون الشامل » والمعيار في هذا النظام ، إعتبار أبعاد متساوية ؛ ووحدات قياسية .

ولايخفى أن هذه النظرية الفيثاغورية مغالطه نشأت من عدم التميز بين وحدة الحساب ووحدة الهندسة .

ومن أعظم الإبتكار في الفلسفة الإسلامية ، نظرية الحركة الجوهرية ، التي هي أساس مبدأ التحول والتطور ؛ وناموس النشؤ

والإرتقاء بأصح المعاني ؛ وقد إبتكرها وأثبتها ، صدر فلاسفة الإسلام ، محمّد بن إبراهيم في القرن السادس عشر الميلادي ، وقررها على أساس برهاني متين ؛ واثقاً من كونها حقيقة راهنة فإتخذ منها دليلاً على حدوث العالم ؛ وبرهاناً على إثبات الصانع ؛ وكان ذلك قبل ثلاثمأة سنة من ولادة داروين في سنة « ١٨٠٩ » ميلادية ؛ وزملائه الذين نسبت إليهم هذه النظرية التي فسّروها بمعنى محدود قاصر لا يساعده برهان ؛ ولاتدعمه تجربة ؛ فاتخذ منها شبلي شميل وأتباعه سبيلا الى الإلحاد ؛ وإنكار الصانع ، لأنهم لم يصلوا الى حقيقتها الصحيحة البرهانية ، هذا مضافاً الى أن جماعة من العرب المسلمين ؛ أمثال إبن مسكويه ؛ وإبن خلدون وأصحاب إخوان الصفا ، سبقتهم الى القول بالتطور بالمعنى الصحيح ؛ ولذلك قال الأُستاذ دريبر ، الأمريكي ، في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : إن مذهب النشؤ والإرتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهباً حديثاً ، كان يدرس في مدارس العرب المسلمين ؛ وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا إليه ؛ وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضاً ، « إنتهى كلامه » .

الإبتكار البديع

في الفلسفة الإسلامية

أوجدت الفلسفة الحديثة ؛ والعلوم المادية زعماً يجوز تسلسل العلل والمعلولات في عالم الوجود لا إلى نهاية ؛ وبحجة أن البراهين العشرة المسجلات في الفلسفتين ، اليونانية ؛ والإسلامية ، على إمتناع التسلسل وبطلانه ، مبتنية على أُسس وهميّة ؛ وأُصول نظرية محضة ، لم تدعمها تجربة ولاحس فهي كلها غير صحيحة ؛ ولم ينحصر أثر هذا

الـزعم في الفلسفة فحسب بـل شمل الـدّين أيضاً ، لسـده باب إثبـات الصانع بالبرهان العقلي ، لأن الدين قرر وجود صانع العالم والدليل عليه أنه لو لم يكن صانع للعالم لزم إمـا الدور البـاطل بـالضرورة أو التسلسل المستحيل بالبراهين .

ولكن رئيس فلاسفة العرب والمسلمين ـ إبن سينـا ـ الذي كـان هو المعـول عليه شرقـاً وغربـاً في قواعـد الحكمة والفلسفـة والطب وسـائـر العلوم ؛ وقد إعترف له الجميع بالفضل والعـظمة ؛ فـإفتخر بـه الشرق وأخذ عنه ومدحه الغـرب وإنتفع بتصـانيفه أبـطل هذا الـزعم قبل ألف سنـة تقريبـاً بتقريـره برهـان الوسط والـطرف ، عـلى إمتنـاع التسلسـل وبطلانه ، وإبتناه على مقدمة بـدهية حسيـة لايمكن إنكارهـا ؛ وهي أن من المحال وجود الوسط بدون وجود طرفين ؛ فأنقـذ به الفلسفـة والدين من الإنقـراض ؛ وهذا الـبرهان الحسي الـذي ذكره إبن سينـا في إلهيات الشفاء ، إرتضاه جميع الفلاسفة بالقبـول ؛ ووصفه صـدر الفلاسفـة في كتابه « الأسفار الأربعة » بأنه أسد البراهين في هذا البـاب ، « وملخص بـرهان الـوسط والطرف » هـو أننا إذا فـرضنا معلولاً ؛ ولـه علة ولعلته علة ، كـان المجموع عبـارة عن طرفـين بينهما وسط ؛ ولكـل واحـد من الثلاثة خاصية ؛ فخاصية الطرف المعلول أنه معلول وليس علة لشيء ؛ وخاصية الطرف الآخر أنه علة للوسط ولمعلول الوسط أي أنـه علة للكل وليس معلولاً لشيء وخـاصيـة الـوسط أنـه معلول لـطرف وعلة لـطرف آخر ، سواء كان الوسط واحداً أو أزيد من واحد ؛ وسواء تـرتب الأزيد من واحد ترتيباً متناهياً أو غير متناه ؛ فإن لجميع مابين الطرفـين خاصيـة الوسط ؛ وإن كان غير متناه ؛ فليس يجوز أن يكون سلسلة علل موجودة وليس فيها علة غير معلولة وعلة أُولى فإن جميع غير المتناهي كواسـطة بلا طرف ؛ وهذا محال .

وهنا إسمحوا لي أيّها الأساتذة الكرام أن أستنتج بالإستلزام من هذا البرهان الحسي الفلسفي ومبناه البدهي بعد مرور ألف سنة ، قضية حسية بدهية أُخرى عسى أن نتخذ منها دليلاً وبرهانا فلسفياً وحسياً لثبوت دين الإسلام بعد ثبوت غيره من الأديان الإلهية .

قال إبن سينا : وجود الوسط بدون وجود طرفين محال ؛ ونقول وجود الوسط بعد وجود طرفين واجب وضروري ، بالحس والبداهة ولا شك في أن الإعتدال هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ؛ فإذا ثبت وجود التفريط ؛ وثبت أيضاً وجود الإفراط ثبت وجود الوسط طبعاً وعقلاً وهو الإعتدال « توضيح ذلك » :

أن الأديان الإلهية كلها صادقة ومنزلة من الله تعالى وهي متحدة في الجوهر ؛ وكلها تدعوا الى معرفة المبدء الحق ومعرفة المعاد ؛ والإختلاف بينها لاتتعدى حدود مزايا كانت الأحوال تقتضيها ؛ والسر الطبيعي لإختلافها في التعاليم والشرائع هو إختلاف إستعداد البشر في أدوار تدرجه على ناموس الإرتقاء ؛ كما أن دروس العلم الواحد تختلف في المدارس الإبتدائية والثانوية والكليه والجامعات حسب إختلاف الإستعداد في التلامذة ، قال الله تعالى : ﴿ أنّا أنزلنا التورية فيها هدى ونور ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جائك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أُمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ المائدة .

نعم إن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه ربّ العالمين ؛ ولم يفاضل بين الناس في ما به قوام حياتهم الجسمية ؛ فهو لا يرضى أن يفاضل في ما به قوام حياتهم الروحية ؛ ولقد تقرر في علم مقارنة الأديان الإلهية الكبرى في العالم ؛ وهي اليهودية ؛ والنصرانية ؛ والإسلام ؛ أي الدين الموسوي ؛ والدين العيسوي ؛ والدين المحمّدي (صلّى الله عليه وآله) ؛ أن الدين الموسوي الذي جاء به موسى كليم الله (عليه السّلام) كان مطابقاً لما كان يقتضيه زمانه بسبب إغراق الناس في المادة إفراطاً لدرجة تأليه الملوك ولهذا إستهدفت شريعته الإلهية توجيه الأفكار الى الرب صانع العالم الذي لاشريك له وردعهم عن الشرك متكفلة لسعادتهم الدنيوية المادية أكثر من الروحية ؛ وليس في التوراة المنسوب الى موسى (عليه السّلام) إشارة الى خلود بعد الموت وثواب في الآخرة على عمل صالح في الدنيا بل كل ما فيها من جزاء الأعمال وعود بالمكافئة في الدنيا ؛ كالوعد بطول العمر ؛ والشفاء من الأمراض وإعطاء النسل الصالح ؛ وتكثير المال وغلة الأرض والإنتصار على الأعداء ؛ وتوطئة أكناف المعيشة ؛ وتمهيد سبل الرفاهية ؛ والتسلط على الغير ؛ وإما الذين يعبدون غير الرب ويرتكبون المنكرات المقررة في التوراة فهناك وعد ووعيد بتسليط الأعداء عليهم ؛ ومنع الأرض عن إعطائهم غلتها ؛ والسماء عن صب أمطارها ؛ وأمثال ذلك من مصائب الدنيا وآفاتها ، التي لم يكن يردعهم عن الشرك والمنكرات سواها لعدم إستعدادهم لإدراك تفاصيل المعاد والشؤون الروحية وبواطن الحقائق لأنغماسهم في المادة والماديات ؛ فكان موسى كليم الله (عليه السّلام) رجل المبدء ؛ وصاحب الغرب والتنزيل ؛ والى ذلك أُشير في القرآن المعجز الخالد ، بقوله تعالى ﴿ **وماكنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر** ﴾ والغرب رمز المادة ولما كان من الحقائق الراهنة الثابتة في

الفلسفـة أن الإنتقال من الإفـراط الى الإعتدال مـوقـوف عـلى وسـاطـة التفريط ؛ ولامندوحة لكل من يروم أن ينتقل من الإفـراط إلى الإعتدال من أن يسلك طـريق التفـريط ؛ فـلأجـل ذلـك ولإرتقـاء الإستعــداد البشري بعقيـدة التوحيـد والإنصراف عن تـأليـه البشر بتعـاليم الـدين الموسوي جاء دين الله العيسوي بواسطة عيسى روح الله (عليه السّلام) مشبعاً بالروحيات التي تفضل السعادة الأُخروية من الـزهد والـرهبانيـة على السعادة الدنيوية لحكمة إقتضتها العناية الربانية ، لتقـريب الإغراق المادي الدنيـوي الذي لم يفـارق الدين المـوسوي الى التعـديل بـالإذعان بالمعاد الكامل أيضاً بعد الإذعان بالمبدأ ؛ ولم يضع السيد المسيح (عليـه السّـلام) شريعة دنيـوية ؛ ولم يتعـرض بذلـك تلاميـذه الحواريـون من بعده ؛ وبذلك إنفصل الدين المسيحي عن سياسة الدنيا بعد أن تخلصوا من سلطة البـابا الـزمنية وسـائر رجـال الدين ؛ ويبقى أتبـاعه في الـدنيـا مـطلقي الأيدي يـواجهون كـل زمان بمـايناسبـه من الشرائع والأحكـام السياسية ، وبذلك كان عيسى (عليه السّلام) رجل المعـاد ؛ وصاحب الشرق والتأويل ؛ والى هـذا أُشير في كتـاب الله المعجز الخـالد ، بقـوله تعالى ﴿ **واذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكـاناً شرقيـاً** ﴾ ؛ والشرق رمـز الـروح وهـذه الصفـة ثـابتـة لمـريم ولإبنهـا عيسى (عليـه السّـلام) بشهـادة قـولـه تعـالى ﴿ **وجعلنـا إبن مـريم وأُمـه آيـة** ﴾ أي وجعلناهما معاً آية ؛ وكان حق العبارة أن يقول : آيتين ، لإنهما إثنـان ؛ ولكن جهة الإعجاز فيهما واحدة ؛ وذلك أن مريم ولدت من غير زوج ؛ وولـد عيسى من غير أب ؛ ولـو كان زوج لمـريم لكان أبـاً لعيسى (عليه السّلام) فهما آية واحدة ولـذلك يجـوز نسبة مـاورد في شأن أحـدهما الى الآخـر ؛ فثبت وجـود الإفـراط وهـو الـدين المـوسـوي كـما ثبت وجـود التفريط ؛ وهو الدين المسيحي ؛ وهما طرفان ؛ ويستلزم وجودهما وجود

الوسط والإعتدال ؛ وهو الدين المحمّـدي (صلى الله عليـه وآله) أعني الإسلام ، الذي جاء بالإعتـدال التام ؛ فـالإسلام ليس شرقيـاً وروحياً محضاً ؛ ولا غربيّـاً وماديّـاً صرفاً ، بـل جامـع بين السعـادتين ومتكفّـل لجميع مصالح البشر الدنيوية والأُخروية فهو دين الإنسانيّة ودين الفطرة ودين الطّبيعة .

نعم ترقت الإقوام البشرية جيلاً فجيلاً ؛ وكان لها في كل مرحلة من مراحل سـيرها وإرتقـائها دين ينـاسب قومـاً مخصوصـاً منها وأخيـراً جاء الإسلام وقد بلغت الإنسانية رشدها ؛ وتهيأت بواسطة الشرائع الإلهيـة السابقة عليه للكمال الدائم ؛ وإقتضت في علم الله ضرورة لزوم التحول في وسائل إرتباط جميع الأقوام البشرية عـامة ؛ أن يبعث الله تعـالى خاتم أنبيائه (صلّى الله عليه وآله) في مركـز الشرق المتوسط الـذي كان بمثـابة قلب العالم المعمور في ذلك الوقت ، بدين الإسلام العـام الخالـد الممتاز من سائر الأديان الإلهية بـإستهدافـه السعادة المـزدوجة ، لكي يجمـع به مجموعة الأقوام البشرية كافة تحت رايـة آلهية واحـدة ؛ فكان دينـاً وسطاً عرف لكل من الجسم والروح حقه ، وبنيت أحكـامه عـلى الإعتدال من غير إفراط ولاتفريط ؛ وكان نظاماً كاملا شـاملاً لا يقف نفعـه على الأُمـة الإسلامية وحدها ، بل هو عـام للمجموع البشري ، إذ قـد أسس على قاعدة المساواة أمام القانون الإلهي وإحترام الحقوق ؛ وقرر أنظمـة عامـة للمجمـوع البشري ؛ وركز ضروب الإصـلاح الإجتـماعي عـلى أصـل راسخ عام صالح لكل الأزمنة ولجميع الأُمم والبيئات ؛ فأحرز الإسلام بتعاليمه السـامية حـاجات العقـول وحـاجـات القلوب وجمع بـين العقل والعـاطفة وأثبت أن العـاطفة الـدينية هي القـوة المعنويـة العليا المعـدلة للميول البهيمية والغرائز الحيوانية التي تلازم الحالة البشرية ؛ ولاتقـوى أية ثقافة عقلية عـلى كبحها كـما هو مشـاهد محسـوس فلقد شـاهدنـا أن

الحرب تزيد هولاً ووحشة كلما إزداد تقدم العلم وأنه أمضى أسلحتها ؛ ولذلك صارت الدعوة الى الإسلام عامة ودائمية وخالدة ؛ وكلف به جميع البشر على إختلاف قومياتهم الى الأبد ، لإستجماع الإسلام عناصر الخلود ؛ وموجبات عموم الدعوة ، إذ أسست تعاليمه الاصلية - أُصول الدين الإسلامي - على صرائح العقول السليمة الفطرية المجردة عن شوائب الأوهام وأسست تعاليمه الفرعية ؛ وقوانينه المستقصية لجميع الشؤن الإجتماعية والفردية على مقتضيات الفطرة ؛ والغرائز الطبيعية الإنسانية التي تثبت في كل زمان ؛ وتصلح لكل قوم ؛ ومن الواضح أن كلا من العقل والطبيعة لازم ذاتي لوجود كل فرد من الإنسان على إختلاف عناصر البشر وأقوامه ؛ ومن المحال زوالهما عن الإنسان ما دامت الدنيا ؛ وهذا هو السرّ لكون الإسلام ديناً عاماً خالداً وصالحاً لكل عصر وزمان ، وموافقاً لكل قوم وأمة ؛ ولايقبل النسخ مادامت الفطرة الإنسانية باقية في العالم وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان .

إن الدين عند الله الإسلام

الإسلام ، دين إلآهي يشمل كل شأن من الشؤن العالمية كمايُنير أمام المسلم السبيل في كل مايتعلق بالإمور الدينية ثم هو بعد ذلك عقيدة وعبادة وسياسة وإجتماع ؛ وهو لايعرف الفوارق الإقليمية والشعوبية ؛ وهو يمزج بين السلطتين ، الدينية والدنيوية بحيث يشملها الدين الإسلامي جميعاً ؛ وهو دين الفطرة ودين الطبيعة ؛ ولذلك قرر في تعاليمه كل ماتتطلبه طبيعة الإنسان بصفة أنه مدني بالطبع من أنظمة إجتماعية وإقتصادية وسياسية وإدارية وحربية وإحترام النواميس الطبيعة

كما قرر المثل العليا لاصول العقيدة والتشريع والأنظمة والتعاليم والمباديء والأخلاق والحقوق والإقتصاد والعدل الإجتماعي .

وقرر أن يسود القانون الأخلاقي في نظام العالم ؛ وأوجب ضمان السلم وتنمية التعاون الإقتصادي العام على جانب ضمان حقوق الفرد ؛ ولم يكلف الإسلام الإنسان إلّا بما لو ترك وشأنه لتعلق به من نفسه لأنه نتيجة قوى عقله وعواطفه ؛ ولو أدرك الناس كافة روح الإسلام وفقهوا كنه مايرمي إليه لما بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر ، لأنه مطلوب كل روح ؛ ومرمى كل قابلية ؛ وأنشودة كل إستعداد ؛ ومطمأن كل إحساس ؛ ومنتهى كل عقل من معنى الدين والإيمان ؛ ولولا أنّ الإسلام ينطبق على كل قابلية وإستعداد ؛ ويلائم كل عاطفة وإحساس لما كلف الخالق العادل به عموم خلقه ؛ ولمّا جعله ديناً خالداً لاينسخه دين .

الإسلام حارب الفقر والجهل والمرض بتشريعه الزكاة والخمس والصدقات وبحثه على الإحسان ويجعله طلب العلم فريضة على كل مسلم ؛ وبإعتباره النظافة من الإيمان ، وبإيجابه الإجتناب من عدوى الأمراض وعالج الفقر الخلقي الذي هو أهم الأمراض الإجتماعية والفردية بتعليمه المعروف : إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق ؛ وصفوة القول إن الإسلام « دين » يصل الإنسان بربه ؛ و « شرع » ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض ؛ و « سياسة » يحدد صلات المسلمين بغيرهم من الأُمم ، و « أخلاق » ترفع الإنسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال .

ومن أهم تعاليم الإسلام القانون العام الذي يجب أن يكون قاعدة للحكومة الإسلامية مع تركه لذويه إنتخاب الشكل الذي يرونه صالحاً

لـزمانهم ؛ وذلـك القانـون هو الشـورى قـال الله تعـالى : ﴿ وأمـرهم شـورى بينهم ﴾ وقال تعـالى : ﴿ وشاورهم في الأمـر ﴾وماكـان النبي (صـلّى الله عليه وآلـه) في حاجـة الى هذه المشـورة ؛ وهو مـاينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يـوحى ولكن أراد الله تعالى بتـوجيه هـذا الخطاب إليه (صلّى الله عليه وآله) أن يكون أُسوة ، للمسلمين كافـة فلا تجـري أُمورهم إلاّ على أساس الشورى في الأمر لا في ولي الأمر .

ومن هـذا البيان المـوجز يمكن الـوصول الى سر إنتخـاب الله تعـالى رسـوله الخـاتم من الشعب العربي البـاسل الكـريم الجديـر من الناحيـة الفطرية بأن يحمل للعالم أجمع مهمة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيـادته (صلّى الله عليه وآلـه) وهذا سرّ تـأييده بـالقرآن العـربي المعجز الخـالد الذي يساير الإسلام في البقاء بنفسه ، لابمجـرد ذكر لخـبره ؛ ولقد جـاء القـرآن الكريم بـالنـامـوس الأعـظم لكـمال الحيـاتـين ، الـدنيـويـة ؛ والأُخروية ؛ وهو كافل لكل مايهم البشر لسعادته في دنياه من أخـلاق ؛ وثقـافة ؛ وعلوم ؛ وتشريـع ؛ ففي التشريـع الـذي ينـظم شؤن الأُمـة والأُمور المدنية والجنائية والأحوال الشخصية ، والعلائق الدولية ، جـاء القـرآن بالآيـات القانـونية ؛ وهي آيـات الأحكام ، التي هي الأسـاس الأول في التشريع الإسلامي ؛ وهذه الآيات عـلى قلتها تعـرضت لجميع مـايصدر من المكلف من أفعـال وأعـمال ؛ فتعـرضت الى العبـادات من صـوم وصلاة وخمس وزكاة وحـج وجهاد ؛ والى الأُمـور المدنيـة ؛ كبيع وإجارة وهبة وصلح ومزارعة ومساقاة ووكـالة وحـوالة وربـا ونحوهـا ؛ والى الأُمـور الجنائية ، من قتل وسرقة وزنا وقطع الطريق ونحـو ذلك ؛ وإلى نـظام الأُسرة ؛ وعوامـل التربيـة والأحوال الشخصيـة ، من زواج وطـلاق وميراث ونحـوها ؛ والى الأُمـور الدوليـة ؛ كـالجهـاد وعـلاقـة المسلمين بالمحاربين ومـا بينهم من عهود وغنـائم الحرب ومـا الى ذلك ؛

والقرآن بهذه الآيات القانونية وسائر آياته قرر القوانين الكلية والأُصول الأوّلية حتى يكون في نص القانون سعة بحيث يمكن أن يطبق على مايجد من حاجات ويحدث من جزئيات مفوضاً بيانها الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقوله تعالى : ﴿ ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ﴾ فسنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وخلفائه المعصومين مقتبس من نور كتاب الله الكريم ظهرت بها تفاصيل ماجاء في القرآن الكريم ، وتاركاً تخرّج أحكام الجزئيات في زمن الغيبة لإجتهاد المجتهدين المستجمعين لشرائط الإفتاء ؛ وهذا هو الذي دعى الشيعة الإمامية الى فتح باب الإجتهاد لأنهم أعرف المسلمين بأسرار الإسلام .

ففي الإسلام تشريع مدني وجزائي راق عادل جامع ؛ ولو أن الغربيين وجدوا في الدين المسيحي مثل هذا التشريع الإسلامي لما دعوا إلى فصل الدين عن السياسة ، لأن دعوتهم تستحيل حينئذ الى فصل الشيء عن نفسه ؛ وهو عين المحال ؛ وينبغي أن ألفت الأنظار ، إلى أنّ تعاليم الإسلام التكليفيّة والوضعية كلّها فطرية طبيعية ؛ وأساسها الأوامر والنواهي الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين ؛ وبما أن الحكم الشرعي يصبح فعلياً بآخر عناوينه ؛ فالشاي المباح بعنوانه الأولي مثلا يحرم شربه إذا كان مضراً بالجسم ، ويجب شربه إذا كان علاجاً منحصراً لمرض ؛ ويكره شربه إذا كان مؤثراً في مناعة الجسم بحيث قد يسبب عجزه عن مكافحة ميكروب المرض لو أصابه ، فالأحكام الشرعية الإسلامية كلها طبعية وتقدمية من خواصها أن تصلح وتعالج ، لاأن تهدم وتبني ، نعم إنّ تعاليم الإسلام إنّما هدمت معالم الشرك وأركانه وأُسسه ؛ وفيما عدا ذلك فهي إصلاحية تكميلية ؛ والتعليمات التقدمية هي التي تصلح العيوب . معترفة بما لغيرها من ميزات الحيوية التي تؤهلها للبقاء .

الإسلام . دين عملي مثالي في آن واحد لأنه مزج بين المادة والـروح وإستخلص منهما مزيجاً ربانياً يجمع بين السعادتين الدنيويه والأُخـروية . إذ جعل الأعمال بالنيات ؛ فالتجارة ؛ والكسب والسعي لتحصيـل المال إذا كـان المقصود منـه الإنفاق عـلى واجب النفقة أو التـوسعة في معـاش عائلته أو بنية صرفه في وجوه الخير والبر والصالح العام يعتـبر في الإسلام عبـادة ـ بالمعنى الأعم للعبـادة ـ ومقربـاً الى الله تعالى . ثمَّ قـرر الإسلام تمـركز كـافة أعـمال البشر تحت عنـوان « حب الخـير »الـذي أراده الله في الكون ﴿ **وإنه لحب الخير لشديد** ﴾ .

فتعاليم الإسلام تتـطلب تنجيزاً وحتميـة في النتائـج والمقدمـات ؛ وتعمل للحاضر بينما ينظر الى المستقبل العام الخـالد ؛ ولاتفصـل عصراً من عصر ولاعهـداً من عهـد ، وإنّمـا يعتـبر العهـود والعصـور حلقـات متصلة ، لإتصال السير على ناموس الإرتقاء بحركة جـوهريـة في صميم القانون ؛ وبما أن أفعال المكلفـين وأعمال البشر في عـالم المادة دايلكتيكي مادي ، إهتم الإسلام بتعديل هذه الجهة بالجهة الروحيّة لتلائم إغراض الدين الخالد ؛ فجعل الأعمال بالنيات ؛ والعقود تابعة للقصود ؛ وأثبت ملكية الفرد كنتيجة طبيعية لقوى الفرد وغرائزه ؛ وجعل الفقراء شركـاء مع الأغنياء في أرباحهم السنوية لافي رؤس أموالهم ؛ وأمن بذلك معيشة الفقـراء ورفاههم وأزال الإسـلام ماتـوهمه الأغبيـاء الجهلة من أن الدين والأخلاق هما العمود الفقري للنظام الرأسمالي فشنوا عليهما حربـاً شعواء كجـزء من برنـامج القضـاء عـلى رؤوس الأمـوال وأدوات الإحتكـار في المجتمع البشري ، بتحريمـه الربـاء في كتاب الله الكـريم بقولـه تعالى : ﴿ **أحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ وتشديده في هذا التحريم بقولـه تعالى : ﴿ **فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ والرباء هو تعاطي جزء كبير من المال أو مـايقابله لقـاء قرض أو معـاملة كمية لاتنـاسب مـع المعـاملة أو المبلغ

المقروض والمدة لذلك القرض ، قال إرسطاطاليس : « إن النقود عاقر لايمكن أن تلد ففرض زيادة على القرض أمر مخالف للطبيعة » وحرمته المسيحية أيضاً ؛ وأخيراً بقي اليهود وهم الأُمة الوحيدة التي قامت في مختلف الأقاليم وأكناف الأرض طيلة ألوف من السنين ، بإستعمال هذه الطريقة التي نبذها البشر كافة منذ أقدم الأزمنة ؛ وكان إستئثار اليهود بالسلطة المالية وإستبدادهم بالعالم من أكبر العوامل لقيام حكومات إشتراكية محضة تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة ؛ ولكنها أيضاً أفرطت إفراطاً هداماً وأصبحت تتلمس طريقها في الظلام فأضطرت الحكومات غير الإشتراكية الى التماس الخلاص عن ذلك وعلاجه بتأسيس البنوك ؛ وليتهم يهتدون الى أن شعاعاً واحداً من أشعة الإسلام يجلوا عن العالم ذلك الظلام الدامس ؛ وهو تحريم الرباء ؛ فليعملوا بالشرع الإسلامي لأنه شرع عادل يفضل « كما يعرف من درس القانون المقارن » الشرائع الوضعية كلها ويستطيع الدعاة الى الإسلام أن يقيموا الدلائل القاطعة على ذلك ؛ فإذا كانت الطوائف غير المسلمة تقنع بالقانون الفرنسي مثلاً لأنه عادل فكيف تأبى أن تقنع بالقانون الإسلامي وهو أعدل منه ؛ وإن قيل أن الحكم الإسلامي يثير مسألة الأقليات التي هي الشبح المخيف الذي يحول بين الناس وبين الجهر بحقائق الدين فالجواب أن الإسلام ضمن للأقليات أن تكون حقوقها السياسية والشخصية محفوظة مثل حقوق الأكثرية فالأقليات تعرف أن الإسلام شرع عادل وأغرب من ذلك مايجري في بلاد إسلامية من نزع التربية الإسلامية ودروسها من نظام المدارس بحجة أن المدارس لأبناء الوطن كلهم لاللمسلمين وحدهم لجهلهم بأن التربية الإسلامية تربية خلقية سامية لاضرر مطلقاً على عقائد النصارى مثلاً إذا تربوا عليها ؛ وماذا يضر المسيحي ، إذا علم أن الكذب رذيلة ومفتاح المنكرات

والمعـاصي والزنـا فاحشـة والسرقة منكـرة والخمـر أم الخبـائث ؛ أيكـره المسيحيون أن يربي أولادهم على الصدق والأمـانة والعفـاف ؛ أليس من الـواجب أن يدرسـوا القرآن عـلى أنه أبلغ كتـاب في العـربيـة خـارق في الفصاحة للعادة البشرية ؛ وأن يدرسوا كتاب نهج البلاغـة المتضمن من عجـائب البلاغـة وغرائب الفصـاحة وجـواهر العـربية وثـواقب الكلم الدينية والدنيوية مالا يوجد مجتمعاً في كلام ولامجموع الأطراف في كتـاب كما يدرس القرآن في العراق في الصفوف كلها حتى صف « البكالوريـا » وكثـير من الطلاب غـير المسلمين في الثـانويـة المركـزية ببغـداد يحفظون القـرآن ويفهمونـه وكذلـك كثير من الأسـاتذة غـير المسلمين في بـيروت يحفظون كثيراً من خطب نهج البلاغة معتقدين أن القـرآن ونهج البلاغـة دعامتان للأدب العربي الذي يتطلبـه ما يلزم عـلى الشرق الإسلامي من المبادرة الى توحيد الثقافـة ، لوضـوح أنه متى تـوحدت العقـول والأفكار توحدت القلوب والأهداف ؛ وهذا هو العلاج الوحيد لتوحيد فرق التوحيد، التي في طليعتها الشيعة الإمامية وهي طائفة من المسلمين عرفت الإسلام حق معـرفته بـإرشاد إمـامها أمـير المؤمنين عـلي بن أبي طالب الـذي رباه رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله) منـذ طفـولتـه وعلمـه أسرار الـدين والعلوم وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حقه « أنا مدينـة العلم وعلي بابها » وهذا هو السر في أن مذهب الشيعة الإمامية يقوم على توحيد الله في ذاته وصفاته ومعبوديته وأفعاله وآثاره ؛ وأن الله جل شأنـه واجب الـوجود بـذاته ولـذاته وفي ذاتـه ومنـزه عن التجسّم والحلول والـتركيب والنقائص ؛ ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والحيوة والإرادة والعدل ونحوها ؛ وأن صفاتـه الحقيقية عـين ذاته وهـو الواحـد الأحـد لاشريك لـه في الألوهيـة ولا في المعبوديّـة ولا في الفـاعليـة ولافي الخالقية والرازقية ؛ وأن جميع ماسواه من العالم الموجود صنيعه لاإله غيره

ولاحول ولاقوة إلاّ به له الخلق والأمر ولامؤثر في عـالم الوجـود غيره ، ثم الإيمان المطلق بالنبي محمّد بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله) وأنـه خاتم النبيـين وسيد الـرسل ومعصـوم من الخـطأ والخـطيئـة ؛ وأن الله أرسله بشريعـة الإسلام وبـالقـرآن الكـريم وهـو الكتـاب المـوجـود في أيـدي المسلمين بلا تحريف ؛ وإن كل من إعتقد أو إدعى نبوة بعد نبوة محمّد بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله) أو نزول وحي أو كتاب من الله كافر ؛ وأن جميع الإنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم والرسول الأمين رسل من الله وعباد معصومون إبتعثهم الله لدعـوة الخلق الى الحق ؛ وأن الأهم هو الإيمان بما جـاء في القرآن الكـريم من أن الله يعيد الخـلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ولولاه لما صح التشريع ؛ وأن الجنـة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والحساب حق ، والنـاس مجزيون بأعمالهم ؛ ويجب الإيمان بكل ماجاء به خاتم الأنبيـاء (صلّى الله عليه وآله) وبالفرائض الإسـلامية كلهـا وهي الصلوة والزكـاة والخمس والحـج والجهاد والأمـر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر ؛ ومـودة آل النبي (صلّى الله عليه وآلـه) التي هي أجر الـرسالـة بنص القرآن الشريـف ؛ وبها يرتبط مابعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) الى ماقبل وفاته حسبما يقتضيه كون الإسلام ديناً عـاماً خـالداً وعليهـا ترتكـز الإمامـة التي هي رئـاسـة في الـدين والـدنيـا ؛ ومنصب إلهي ، ليكـون الـدين كله لله ، والطاعة كلها لله لما ورد في القرآن الكريم من قوله تعـالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾ لوضوح أن إطاعة الرسول (صلّى الله عليه وآله) إطـاعة لله وكـذلك إطـاعة أُولي الأمـر الذين نصبهم الله وعينهم إطاعة الله لاطاعة الناس فيما يختارونه بـأهوائهم من دون أمـر من الله ورسوله ولأجل ذلك قال الله تعالى في سورة محمّد : ﴿ يـاأيها الـذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم ﴾ومن هذا البيـان

ظهر لزوم فتح باب الإجتهاد في زمن غيبة الإمام وعدم حضور الخليفة أمام فقهاء المسلمين والمجتهدين الجامعين للشرائط اللازمة لإستنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ومن الإجماع والعقل بإعتبار أنهما يرجعان الى الكتاب والسنة وأما القياس فهو مظهر لامثبت حسبما صرح به جميع علماء المسلمين .

الإسلام تسليم بالأديان الإلهية كما نزلت من عند الله وتصديق بالأنبياء والرسل من دون تفريق بينهم وبذلك ضمن أحسن الوسائل لإستخلاص الإتحاد والوفاق ، ونشر راية السلام على جميع البشر ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ .

إن الناس تختلف في الطاعة بسبب إختلافهم في المعرفة ، فمن عرف أن دين الله الحق منزه مثله عن التكثر والتعدد والتغير والمناقضة ولاتبديل لكلماته ؛ وعلم أن الأديان الإلهية كلها قوانين صالحة لأوقاتها وأزمانها ، أنزلها الله تعالى لصالح عباده ؛ وأن كلها واحدة في الجوهر من ناحية الله وأما التغيير فإنما هو من ناحية الخلق حسب إختلاف إستعداد البشر فهو لايشك في أن تغيير القانون والشرع من الله الحاكم المطلق والآمر بالحق لاغرو فيه لتبدل المصالح ؛ ويعلم أن أمتثال قانون الله الجديد والشرع الذي أنزله هو إمتثال الله تعالى فلا يصعب عليه إتباعه وإمتثاله ، ولايتعصب للشرع السابق القديم المنسوخ بالشرع اللاحق ، لأن هذا التعصب عصيان لله المشرع للشرع الجديد لوجوب إمتثال الله المشرع والإعتقاد بأن كل شرع من شرائعه حق وصدق في وقت نزوله ؛

وكل منها مصدق للآخر ؛ ويجب أن يحكم على الأديان والمذاهب بالنظر الى سيرة أرقى ممثليها ، لاإلى إنحرافات أحط اللآخذين بها ، فإن جرينا على هذا عرفنا كيف يكون تنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقاد ؛ وكيف يحب بعضنا بعضاً وكيف لايبغض بعضنا بعضاً على طريقة الغلاة والمتعصبين ؛ وأما الجاحد بمعرفة القانون والشرع ؛ والغافل عن معرفة المشرع والمقنن فهو يتعصب للشرع القديم ويقف عند إمتثاله ؛ ولايتركه ؛ ولايؤمن بشرع الله الجديد ، لأنه متوغل في عالم التضاد والكثرة والمناقضة ؛ وكان نصيبه الحيرة والضلالة والقيل والقال والخصومة والوبال ؛ ولايصل الى ساحل الحقيقة أبداً ؛ وهذا في مستوى المنكرين لله .

الإسلام ومراتب الوحدة

قرر القرآن الكريم ودين الإسلام القويم مراحل للوحدة والأُخوة « المرحلة الأُولى » الوحدة الإسلامية ؛ والأُخوة الإيمانيّة ، المشار إليهما ، بقوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ **فاعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا** ﴾ « المرحلة الثانية » الوحدة الدينية ؛ أو توحيد الأديان السماوية ، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب * تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله * فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون * كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ البقرة .

« المرحلة الثالثة » الوحدة الإنسانية ؛ والأُخوة البشرية ، المشار

إليهما بقوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ حيث اثبت التكريم الإلهي لنوع الإنسان ، لالخصوص المتدينين بالأديان الإلهية ؛ ولالخصوص المسلمين والعرب ؛ وماألطف التعبيرعن الإنسان بلفظ « بني آدم » ليذكرهم أنهم جميعاً أولاد شخص واحد ؛ وهذا معنى الأُخوة ؛ ومن الواضح أن الأُخوة تستدعي المحبة بين الأُخوة ؛ والمحبة تمنع من وقوع النزاع والحرب والخصام فيستطيع البشر أن يصل بهذا التعليم الإسلامي الى السلام العام .

ونحن إتباعاً لتعاليم القرآن الكريم بدئنا رسالتنا بدعوة كافة المسلمين الى الوحدة الإسلامية الشاملة لأربعمائة مليون مسلم من حدود الصين الى شاطىء المحيط الأطلسي ؛ والمبتنية على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع بإعتبارنا الوحدة العربية والقوميات الإسلامية بمثابة معدات أساسية وأركان ضرورية يجب تحقيقها لأجل بناء الوحدة الإسلامية عليها ؛ فسعي أُمتنا العربية التي هي منبت الدين الإسلامي إلى وحدتها حجر الأساس للوحدة الإسلامية ، وقمنا بهذه الرحلة الشاقة الحافلة بتوفيق يتلوه توفيق ؛ وفتح مبين يتلوه فتح مبين وأخذنا نجوب الأرض ونركب البحر ؛ ونزور الأقطار العربية والعواصم الإسلامية ، ووهبنا نفسنا لكافة أقطار الشرق الإسلامي ؛ فأيدنا الله بأكابر المصلحين ؛ وعلماء المسلمين ؛ وزعماء الأُمم ؛ وبناة المجد الخالد ؛ وغطارفة الثورة على التقاليد المضرة ؛ ورجال مخلصين الذين بمؤازرتهم تتقدم الأعمال ؛ وتتقوم الآمال وتشاد صروح الإيمان ؛ ومجد الأوطان ونجحت دعوتنا هذه نجاحاً بلغ الى دور العمل ؛ وكان العامل الأكبر لنجاحنا أننا شرحنا مذهب الشيعة الإمامية التي هي طائفة عظيمة من المسلمين عرفت الإسلام حق المعرفة لأنها أخذت تعاليم الإسلام من أعرف الناس بها

بعد النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو علي بن أبي طالب باب مدينة علوم النبي (صلّى الله عليه وآله) ؛ وأملنا وطيد باننا متى حققنا الوحدة الإسلامية ووحدنا كلمتنا ، سنتصل بمؤتمر الأديان العام ؛ ونسعى الى التفاهم العالمي ؛ ونعمل للوحدة الدينية وتوحيد جهود الأديان الإلهية في سبيل تحقيق أهدافها المشركة وأغراضها السامية مع العلم بأن التفاهم بالحسنى هو الجهاد الإسلامي في زمن غيبة الإمام وإنحلال الخلافة الإسلامية ، **﴿ فياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلّا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله * فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون ﴾** ولانرضى بأن تبقى شعوب الأرض طعمة سائغة لفئة متشحة بثوب الدين تمتطي بالتفرقة ظهورها ؛ وبيدها لجام الجهل ؛ ومهماز الطمع ؛ وياأيها المسلمون ، **﴿ لاإكراه في الدين ﴾** ؛ ويأمركم الإسلام بإحترام الأديان المنزلة ولاتخافوا من ضيق المكان في الآخرة فالجنة عرضها عرض السماوات والأرض أُعدت للمتقين .

ثم بعد تحقيق الوحدة الدينية يجب علينا أن نلتفت الى أن شرور العالم المادي تغمر الإنسانية وتطغى على مابقي في النفوس من هيبة وإحترام للنظم الإلهية وإن من الواجب درء هذا الخطر ؛ ومحاربة الشهوات الجامحة والإباحية التي يئن منها العقلاء فنوجه الدعوة في المرحلة الأخيرة الى النوع البشري والمجتمع الإنساني ؛ وندعوهم الى الوحدة البشرية ؛ والأُخوة الإنسانية المرتكزة على التكريم الإلهي والشرف الإنساني ؛ فإن تنمية وسائط الإخاء البشري ؛ وتحكيم العقل الذي يميز الإنسان عن سائر أنواع الحيوان ، سيؤديان الى كبح جماح غرائز حيوانية ركبت في الإنسان فيوصلان البشر الى فهم مافي الأديان من معان روحية سامية ومكارم عالية ترد الإنسان الى مواطن الشرف

والفضيلة .

إني أعتقد أن منشأ إنحطاط الشرق لاسيما الشرق الإسلامي والعربي إختلاف النزعات ، والتعصبات البغيضة التي إن عادت علينا بشيء فإنما تعود بالخسران المبين والخيبة الفاضحة كما أن بلاء العالم أجمع هو الإفراط في شعائر القومية المتطرفة ومنشأ الفشل هو إختلاف الأهداف الناشيء من إختلاف النزعات الثقافية والقومية والدينية والطائفية حتى أصبحت الأديان في نظر الفريق الأكبر عبارة عن أحزاب سياسية يعمل كل لشد أزر حزبه ومن هنا وقع الخلاف بين الدعاة الى الوحدة العربية وبين الدعاة الى الوحدة الإسلامية ؛ وفشلت جهود المصلحين ؛ وساعد على فشلهم أن الدعاية للإتحاد في أُمتنا الإسلامية والعربية كانت ولاتزال ناقصة غير مأخوذ بأطرافها من جميع النواحي ؛ فكلما نسمعه ونطالعه في هذا الشأن محدود المسافة ؛ فيجب أن نبدء دعوتنا الإصلاحية بتوحيد النزعات في إسلوب يحرر الفكر الإنساني ويجرده عن الأشكال والصبغات التي تفرغها عليه العداوات الدينية والخصومات القومية والنزعات المختلفة والنعرات الطائفية وسائر عوامل التفريق لكي يشعر المفكر المستمع لإرشادنا أنه قد تسامي عن مستوى الخلافات وإرتقى الى عالم أعلى يتحد فيه الشعور ويتفق أتجاه العقول وتجمع الكل غاية واحدة تملك عليهم مشاعرهم وتقوم عندهم مقام العقيدة هي الولع بالحقائق الراهنة والخير العام ؛ والمستمعون المفكرون بإنصرافهم لهذه الغاية التي تؤلف بينهم يطرحون وراء ظهورهم جميع الفوارق والإعتبارات مهما كانت صبغاتها ، ويصبحون في عالم مجرد عن القيود فيه تلتقي الناس كلهم أصدقاء متآخين ومتضامنين في العمل الصالح ؛ فليعلم الشرق أن :

عثرة الشرق في طريق المعالي — لم يقله شيء سوى التوحيد

وليعمل الشرق اليوم يداً بيد لتحقيق مراحل الوحدة المار ذكرها ليساوي بقية الأمم الحية ؛ وينبذ العنعنات والتعصبات البغيضة وليطمئن المسلمون وسائر المتدينين بالأديان الإلهية بأن خضوع غير المتدينين من البشر لعامل الإخاء الإنساني ؛ وقبولهم التكريم الإلهي يقربهم من فهم مافي الدين من المعاني السامية العامة بل يوصلهم الى حظيرة الدين الإسلامي الذي قرر هذه الأُخوة في القرآن الكريم فتزول أو تخف عوامل التفرقة وهذا إنتصار للدين على الإلحاد ؛ وكذلك إستجابة أهل الكتاب الى دعوة القرآن ؛ وقبولهم لكلمة سواء بيننا وبينهم « أي كلمة التوحيد » ينتهي الى التوحيد الإسلامي الذي لم يقع فيه شيء من الشوائب التي وقعت في الأديان الأُخرى ، من الحلول ؛ والإتحاد ؛ والتشبيه ؛ والتعطيل وغيرها مما يخل بمقام الألوهية ؛ وبعد قبول هذا التوحيد المحض الخالص والإعتقاد بالصانع الواحد القديم المنزه عن كل مالايليق به ؛ والإذعان بتكاليفه الدينية ، يصبح ثبوت المعاد أمراً ضرورياً لابد منه لئلا يكون التشريع بدون جزاء ولغواً ؛ ولم يرد هذان الأصلان « التوحيد والمعاد » في دين من الأديان بالشكل الواضح الجلي الذي قرره الدين الإسلامي الحنيف « من توحيد الذات ؛ وتوحيد الصفات ؛ وتوحيد الأفعال ؛ وتوحيد الآثار » الذي جاء به نبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله) فالإعتقاد بالتوحيد وبالمعاد الجسماني بهذا الشكل يحقق طبعاً معنى التصديق بنبوته ؛ وهذه الثلاثة . هي : « أُصول الدين الإسلامي » .

وإني أيها الأُخوان الكرام في ختام كلمتي هذه أبتهل الى الله أن يجمع الكلمة وأن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للأسلامية والإنسانية وأن ينير لكم الطريق ، ويهديكم لسواء السبيل ؛ وماأردت إلاّ الإصلاح ماإستطعت وماتوفيقي ألاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب ؛ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

الخطبة الثانية

الخطبة الثانية

محاضرة الإمام الزنجاني في الجامعة السورية وتعليقات الصحف عليها ، نقلاً عن جريدة الإنشاء الدمشقية ١٢ شوال ١٣٥٥ ـ ٢٣ كانون الأول ١٩٣٦ .

رجال الكتلة والحكومة والنواب والأساتذة يستمعون

كان مساء أمس موعد الحفلة التي دعى إليها النائب السيد فخري البارودي لسماع محاضرة الإمام المصلح الحكيم الشيخ عبدالكريم الزنجاني مجتهد الشيعة الكبير في مدرج الجامعة السورية ؛ وقد حضر الحفلة رئيس المجلس النيابي الإستاذ فارس الخوري ، ونائب الرئيس الإستاذ لطفي الحفار ووزير الداخلية والخارجية سعدالله الجابري ، والإستاذ شكري القوتلي ؛ والإستاذ جميل مردم ؛ والإستاذ رياض الصلح ضيف دمشق ، والأمير مصطفى الشهابي وزير المعارف ؛ والنواب السادة فخري البارودي ؛ والدكتور إحسان الشريف ؛ والدكتور توفيق الشيشكلي ؛ وعبدالقادر السرميني ؛ والدكتور ناظم القدسي ؛ كما حضرها الإستاذ العلامة محمّد كرد علي رئيس المجمع العلمي ؛ وجمهور كبير من رجال العلم والفضل وغصت القاعة من كبار الأساتذة ومن عليه القوم حتى إضطر لإغلاق الأبواب ؛ ولكن الطرق المتوالي على الباب الخارجي دفع السيد فخري البارودي لأن يخرج ليردع الطارقين ؛ وفي الساعة السادسة إعتلى سدة الجامعة النائب فخري

البـارودي وقدم الإمـام المحاضر الى المـدعوين بعبـارة لطيفـة ؛ فـوقف الإمام المصلح الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني وألقى إرتجالاً محـاضرة ممتـازة لم تسمع دمشق مثلهـا ؛ وبين الامـام المحاضر أن آداب الأُمم من أهم العـوامل المؤثـرة في تكوين أخـلاقها ؛ وأن أخـلاق الأُمم من أقوى الأسباب الموجدة لعقائدها ؛ وسرد أدلـة كثيرة في تـأييد هـذه النظريـة ، وأثبت بأدلة قوية أن الدين الإسلامي هو دين الإجتماع والمسـاواة والعلم والعمل والأخلاق والآداب كما هو دين الإشتراكية العـادلة ؛ وتكلم عن نظرية داروين من الملحدين وعن النظريـة النسبية لآنيشتـاين وأفاض في حديث الوحدة الإسلاميـة التي يدعـوا إليها ؛ وتكلم عن حـالة سـوريا فقال : « إن هذه البلاد هي بلاد الحرية » وإمتدح الإمام المحاضر دمشق العاصمة العربية ؛ وقال : إن البلاد السورية لاتزال محافظة على التقاليد الإسلامية والعربية ؛ فقد رحب به الزعماء الـوطنيون والعلماء البـارزون وأساتذة الجامعة ومختلف طبقات الأُمة السورية الكريمة ، مؤيدين دعوته ورسالته ؛ وكان الإمام المحاضر شديد الإيمان والعقيـدة بالنـظرات التي أوردهـا في محـاضرتـه التي إقتنـع الحـاضرون أجمع بصحتهـا ؛ وختم محاضرته بتهنئة الأُمة السـورية بعـودة الحياة الإستقـلالية عليهـا ؛ وحي رجال الكتلة الوطنية ؛ ورجال الحكومة الدستوريـة وإنتهت المحاضر في السـاعة الثـامنة ؛ فهنـأه الـزعـماء الحـاضرون ؛ وقبـل بعضهم يـده ، وسيلقي الإمام الزنجاني غداً في الجامع الأُموي دروساً دينية قيمة .

نص رقعة الدعوة

مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر

سيلقي الإستـاذ الحكيم الإمـام الكبـير« الشيـخ عبـدالكـريم

الزنجاني » محاضرة عنوانها « التوفيق بين الدين والإجتماع ؛ والسبيل الى النهوض بالمسلمين ؛ والتقريب بين الفرق الإسلامية » في مدرج الجامعة السورية « موعد المحاضرة ، الساعة السادسة من مساء الخميس الواقع في ١١ شوال سنة ١٣٥٥ » .

نقلاً عن جريدة « ألف باء » الدمشقية ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦ .

فلسفة الدين الإسلامي

جمعت المحاضرة التي ألقاها الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني نخبة صالحة من نوّاب الأُمّة ووزرائها وعلمائها وشبابها ؛ وقد شرح الإمام المحاضر فلسفة الدين الإسلامي ببلاغة وبحجة دامغة أخذت بألباب المستمعين ؛ وأثبت أن الإسلام دين إجتماعي ، سياسي إشتراكي معتدل ؛ ثم بين بلباقة أنه يرتكز على الوحدة الإسلامية وإنتهى من محاضرته الإرتجالية ؛ وقد ملك على السامعين قلوبهم وعواطفهم وفي ختام المحاضرة التي دامت ساعتين هناءه دولة رئيس المجلس النيابي ؛ وقبل يده رئيس المجمع العلمي وإنصراف الحضور معجبين به ومؤمنين بدعوته .

نقلاً عن جريدة« الأيام » الدمشقية ٢٧ كانون الأول ١٩٣٦ العدد ١٢٧٣ .

محاضرة الإمام الزنجاني في الجامعة السورية

وزع مكتب فخري البارودي للدعاية والنشر رقاعاً للدعوة لحضور المحاضرة التي يلقيها الإستاذ الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني على مدرج الجامعة السورية ؛ وفي موعد المحاضرة وهي الساعة

السادسة مساء يوم الخميس المنصرم تسارع الكثيرون لتلبية هذه الدعوة حتى غص المعهد وشرفاته وأكثرهم من عليه القوم وكبار الأساتذة والشباب المثقف وكان يتقدمهم جلوساً في المقاعد الأمامية حضرة رئيس مجلس النواب وعدد غير قليل من النواب الأكرمين ؛ وفي الساعة السادسة تماما دخل الإمام الزنجاني ؛ وإرتقى الدكة وجلس في المقعد المنفرد المخصص له يحيط به الوقار والجلال وأجال بصره في القوم كأنه يطلب إليه الإنصات لما يقول ؛ وساد السكوت والصمت والكل مرهف الأذن ، متطلع البصر ، منتظر إبتداء المحاضرة ؛ وقبل أن يبدأ الإمام المحاضر وصل معالي وزير الداخلية والخارجية والزعيم رياض الصلح وجلسوا الى إخوانهم النواب ؛ وتقدم النائب السيد فخري البارودي فقدم الإمام المحاضر للحضور بعبارة طيبة ؛ وعاد إلى مكانه فابتدأ الإمام الزنجاني القول : وأخذ بإمتداح الآداب في الأُمم . وأن مجد الأُمم آدابها ؛ وإنما الأُمم الأخلاق مابقيت . وتطرق الى الدول المستعمرة التي تقيد الأديان والمذاهب وتبذل قصارى جهودها في تبديل آداب الأُمم بينما هي تتظاهر بتعظيم أديانها .

وإنتهى الإمام الزنجاني من محاضرته وقد بلغت الساعة الثامنة فهنأه الحاضرون بصفته « رسول الوحدة الإسلامية » وإنصرف الإمام المحاضر محاطاً بطائفة كبيرة من كبار المستمعين .

نقلاً عن جريدة « الأيام » الدمشقية ١٨ شوال ١٣٥٥ ـ ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ العدد ١٣٧٧ .

حديث الإمام الزنجاني

نشرنا في عدد أول أمس خلاصة عن المحاضرة القيمة التي ألقاها

الإمام الكبير الشيخ عبدالكريم الزنجاني في الجامعة السورية ، تلك المحاضرة الإرتجالية التي يصعب على الكاتب أن يلخصها دون أن يذهب برونقها ويشوه محاسنها ؛ ولكنا أقدمنا على تلخيص بعض ماجاء فيها ليطلع القراء على الفكرة السامية التي حامت محاضرة الإمام الزنجاني حولها ؛ وإن كانت هذه الفكرة لاتتسع صفحات عديدة لتلخيصها ؛ ونقول الآن :

الحفاوة البالغة التي قوبل بها الإمام الزنجاني من رجال الحكومة أو رجال الوطنية ورجال العلم والدين والشباب والأعيان كانت أقل مايجب على دمشق أن تظهره أمام فضيلته .

نص الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه محمّد وآله الطاهرين وصحبه الصالحين .

السلام عليكم ورحمة الله :

قال الله تعالى : ﴿ **فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أُولئك الذين هداهم الله وأُولئك هم أُولوا الألباب** ﴾ آداب الأُمم من أهم العوامل المؤثرة في تكوين أخلاقها وأخلاق الأُمم من أقوى الأسباب الموحدة لعقائدها ؛ والعقائد هي الدوافع نحو الأعمال المؤدية الى السعادة ، والنظر إلى القاعدة الفلسفية : « الشيء يستند إلى أسبق علله » فإنّ سعادة كل أُمّة وعظمتها تستند الى آدابها وأخلاقها ؛ ونجد كل أُمة أخلاقها وآدابها :

وإنما الأُمم الأخلاق ما بقيت وإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فالأخلاق هي الدعامة الأولى للسعادة ؛ والعلم هو الدعامة الثانية ؛ فإذا إجتمعتا في أُمة بلغت من العلياء كل مكان ؛ ولم يخطىء علماء النفس ؛ وأساتذة التربية ؛ وفلاسفة الإجتماع حينما قالوا : (الأخلاق أفضل من العلم وأنّها في المرتبة الأُولى حينما يكون العلم في المرتبة الثانية) مع العلم بأنّ أحسن الحالات وأقربها الى الكمال أنّ تتمتع الأنّفس البشرية بالقسط الأوفى من الأخلاق والقسط الأوفى من العلم في صفقة واحدة ؛ وبعد هذه المرتبة حالة أُخرى هي أنّ تتحلى الأنّفس البشريّة بفضيلة الأخلاق والتهذيب بينما تكون خلواً من العلم والثقافة ؛ وهذه هي أحسن الحالات بعد المرتبة الأُولى وأخفها شروراً وأبعدها من الأذى ؛ وأما الحالة الثالثة ؛ وهي أنّ تخلو الأنّفس البشرية من فضيلة الأخلاق والتهذيب فيها إذا إكتسبت قسطاً قل أو كثر من علوم الحياة ؛ فهذه هي أشد الحالات خطراً على المجتمع ؛ وكم رأينا دولاً إستكملت من العلوم والإختراع وفنون القتال وأسباب القوّة والبطش ما جعلها تبسط سلطانها ونفوذها وتتوسع في فتوحها وغزواتها لاتلبث أنّ تنحدر إنحداراً سريعاً نحو الإنكماش والتضاؤل ؛ ولاتلبث أنّ تفقد سريعاً مكانتها العالية التي كسبتها بفعل القوة الغاشمة ؛ وقد يؤول أمرها الى الزوال والإضمحلال ؛ وسرّ ذلك أنّها إكتفت بالعلوم والإختراع والقوة وتركت مكارم الأخلاق وسبل الحق والإنصاف وإذا فقدت الأنّفس البشرية فضيلتي الأخلاق والعلوم كان الإنسان في هذه الحالة الدنيا أقرب الى البهائم من كل شيء آخر في هذه الحياة ، لوضوح أنّ كمال كل شيء في ما أختص به فكمال الفرس في العدو السريع وإذا عجز عن ذلك نزل منزلة الحمير ولايستحق سوى حمل الأثقال ؛ وكمال

السيف في صرامة القطع فإن فقدها نبذه الشجعان ؛ وكمال الإنسان في فضيلتي الأخلاق والعلم ؛ فإن فقدهما نزل إلى مرتبة أُولئك ﴿ **كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾ .

أثبت التاريخ أنّ زوال الأُمم لم ينشأ عن إنحطاط ذكائها بل عن إنحطاط أخلاقها وآدابها ؛ والعيان يغنينا عن البيان ، هذه الحكومات المستعمرة قد جرت عاداتها في مستعمراتها على تقرير حرية أديانها ؛ والتظاهر بإحترام شعائرها الدينية ؛ وفي الوقت ذاته تبذل قصارى جهودها لإتخاذ التدابير اللأزمة لتبديل آدابها وأخلاقها الموجب لزوال عقائدها وتغيير محور أعمالها لكي تحمل أثقال الإستعمار بالإختيار .

لم تنهض أُمّة من الأمم ؛ ولم يثبت في ميدان الحياة شعب من الشعوب ولم تسر على سنن العدل والحكمة والرقي حكومة من الحكومات مالم تعتصم بالأخلاق الفاضلة ، والمزايا العالية والآداب والمكارم السامية لأنّ الخلق في علم الإجتماع شبيه بالعنصر الثابت لكل نوع من أنّواع الكائنات ؛ فخلق كل أُمة هو على تطورها في حياتها وهو يقرر مستقبلها ؛ وأمّا التأثير العقلي فضعيف على تفاوت فيه ؛ وهذه قاعدة مسلمة صحيحة مبرهنة صدقها العلم والتجربة وجاء بها الدين الإسلامي ؛ وأثبتها الفقه الإسلامي الذي هو آداب ورسوم قررها شارع الإسلام لترتيب الثواب أو العقاب عليها ؛ أو لتمييز الحقوق أو لحفظ النظام ؛ والآداب الإسلامية مجموعة من شعلة النور تضيء آفاق النفوس والأرواح ؛ وقوة إلهية تفعل فعلها في القلوب فتؤدي الى صفاء النفس وسمو الروح وتحريرهما من سلطان المادة وفتنة الرذيلة وتحلية النفس بالفضيلة ؛ ولقد كان العرب أيّام سقوطهم ذوي عقول أرقى من عقول أجدادهم القاهرين ؛ ولكنهم سقطوا لأنّهم فقدوا صفاتهم الأخلاقية التي كانت السبب في عظمة آبائهم الأولين ؛ فأضاعوا الجد

والمثابرة والعزيمة الصادقة والجلد الذي لايعرف الوهن ؛ وفقدوا المقدرة على التفاني في نصرة الحق والدين ؛ ولابد لهم من الرجوع الى ماكانوا علية ؛ وماهذا الإنحطاط إلّا عوارض موقتة سببتها بعض الطوارىء ؛ وهي لاتلبث أنّ تزول ؛ فإذاً يمكن للأُمة أنّ تسير إلى الرقي بقليل من العلم والعرفان وتبلغ ذرى المجد والسؤدد متى كان الخلق الصحيح سائداً بين أفرادها ؛ فالخلق هو الذي ستقوم عليه النهضة العربية والإسلامية المنشودة .

وصفوة القول : أنّ محنة الأخلاق أشد المحن ؛ وبالتعاليم الأخلاقية نادى الأنبياء (صلّى الله عليهم وسلم) والحكماء والفلاسفة والمصلحون والمهيمنون على تربية النشىء وتعليمه في مختلف العصور ، لأنّها روح الدين والإيمان ؛ ووسيلة إتحاد الأُمة ؛ وقوة النهضة السياسية ومحور الحركة الوطنية ؛ والسد المنيع دون تأثير المبادىء الهدامة في المجتمع ؛ وهذا هو السر في إهتمام الدين الإسلامي بالأخلاق وبالعلم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « أنّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق » وقال (صلّى الله عليه وآله) : « الخلق وعاء الدين » وقال (صلّى الله عليه وآله) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم إلّا إنّ الله يحب بغاة العلم » وقال الله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم** ﴾ وقد إعترف بذلك عدو الأديان الدكتور شبلي شميل في كلامه الذي هذا نصه : « إنّ في القرآن أحوالاً إجتماعية عامة وفيها من المرونة مايجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان حتى في أمر النساء حيث كلفهن بأن يكن محجوبات عن الريب والفحشاء وأوجب على الرجل أن يتزوج بواحدة عند عدم إمكان العدل ؛ وإنّ القرآن قد فتح أمام البشر أبواب

العلم والعمل للدنيا والآخرة بعد أن أوصد غيره من الأديان تلك الأبواب فقصرت وظيفة البشر على الزهد والتخلي عن العالم الفاني » فالإسلام دين الآداب ودين الاخلاق ودين العلم ودين العمل ودين الفطرة ودين الطبيعة ودين الإجتماع ودين العدل وفيه تفسير كل شيء من أسرار الكون ؛ وفيه حل كل معقد من مشاكل الحياة ؛ وتبيان كل شيء من شبؤون الجماعات .

قال الله تعالى : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا** ﴾وقال الله تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ ؟ وقال سبط رسول الله وإبن أمير المؤمنين الحسن إبن علي بن أبي طالب إمام الشيعة : « إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » . الإسلام دين ينظم الأمم ويدعوا المتدينين به من مختلف الأجناس والعناصر إخواناً متساوين في الحقوق والتكاليف وإنّ أكرمهم عندالله أتقاهم فبتقرير المساواة جعل لكل مسلم حقاً أن ينال بالسعي والعمل أرقى الدرجات ؛ وبتقريره التفاضل أوجد في المسلمين الجد والنشاط للعمل والسعي لنيل العزة والإعتماد على النفس مع التوكل على الله وأزال الخمود والخمول والكسالة والبطالة ؛ وكذلك قرر الإسلام الإشتراكية العادلة بتقريره إشتراك الجميع في مرافق الحياة قال الله تعالى : ﴿ **ولكم مافي الأرض جميعاً** ﴾ وبتقريره إختصاص كل إنسان بنتائج عقلة وقواه وفكره وأعماله ؛ ولولا هذا الإختصاص إمتنع تطبيق المبادىء الإشتراكية طبعاً مع إختلاف القوى والغرائز حسب التكوين ؛ فالإختصاص في رؤس الأموال والإشتراك في الأرباح والمنافع حيث جعل للفقراء والمساكين المعوزين حقاً معلوماً على الأغنياء بنسبة معينة محدودة بأسم الزكاة والخمس ونحوهما بحيث لو إمتنعوا من أدائها طوعاً أجبروا عليه وهي

حقوق شرعية معينة محدودة لايمكن فيها الزيادة والنقص ؛ وهذا دواء للفوضوية ؛ وحصن منيع يدرأ عن المجتمع الإسلامي أخطار الشيوعية والإشتراكية الهدامة وبه يتجلى المثل الأعلى للعدل الإجتماعي والإقتصادي .

ثمّ إعطفوا أنظاركم الى أسرار تشريع الصلاة وما تضمنت من إستعراض جميع من بلغ الرشد من أربعمائة مليون مسلم خمس مرات في كل يوم وليلة في صفوف منتظمة بكل سكينة وخشوع ووقار ، الأمير بجانب المأمور ؛ والخادم بأزاء المخدوم ؛ والفقير بحذاء الغني ؛ والضعيف بجانب القوي ؛ والرفيع مع الوضيع ؛ والسيد بصف المسود ؛ والكل منكسر لله ذليل بين يدي ربّ عظيم قاهر ، دون ميزة لبعضهم ولاأفضلية فيما بينهم ، وكلهم يستقبلون الكعبة المشرفة ويتجهون الى بقعة أشرقت منها شمس الهداية المحمّدية (صلّى الله عليه وآله) ويتلون النشيد الإلهي والسبع المثاني ويوجهون قلوبهم ونفوسهم الى المبدأ الواحد ؛ والإله الفارد ؛ وفي ذلك وحدة الشعور وتوحيد المشاعر ؛ والمفاداة في سبيل نصرة الحق والتمرين على النظام ؛ والطاعة والإتباع والإنقياد للإمام ؛ وفي جميع ذلك تعويد لهم على أسس للعدل الإجتماعي من المساوات والحرية والإئتلاف ؛ وصفاء النفس من كدر الشوائب وإتصافها بجلائل الخصال والمكارم ؛ وأُمهات الفضائل وعدم الإعتداء على أحد في ماله وحقوقه وعرضه ونفسه وهذا كاف للسلم العام ، مضافاً الى أن الخضوع والخشوع لله يزيلان الطمع وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وحب المادة الذي هو منشأ الحروب .

ومن الجدير بالذكر أنّ مقدمات الصلاة تكافح المبادىء الهدامة مضافاً الى أنها تشيد أسس النظافة والصحة والثقافة وشرف الإنسانية إذ يتكرر للمصلي في كل صلاة أن من أهم شروط صحة الصلاة إباحة ماء

الوضوء ؛ وإباحة تراب التيمم ؛ وإباحة لباس المصلي وساتره ؛ وإباحة مكان الصلاة ؛ وإباحة مايسجد عليه ؛ فإذا كان شيء من هذه الأُمور مغصوباً بطلت الصلاة إذ لايجوز التصرف في مال الغير وملكه فإنّه نتيجة عمله ومحصول قواه وغرائزه وكل إنسان يملك فوائد عمله ويختص بثمرات جهوده ونتائج قواه وغرائزه مثل إختصاصه بتلك القوى والغرائز ولايشاركه أحد في ذلك فيعتقد بحكم الحس واليقين بأن الإختصاص وملكية الفرد من الحقوق الطبيعية والفطرية للإنسان ، وأنّ إنكارها خروج على ناموس الطبيعة والفطرة ؛ والناس جميعاً متفقون في مقتضيات الفطرة ؛ وبما أنّ الإسلام دين الفطرة ودين الطبيعة قرر في تعاليمه هذا الإختصاص الطبيعي وجعل ملكية الفرد من أهم تعاليمه ؛ وجعل إنتزاع ملكه وماله منه بدون رضاه غصباً وحراماً ومبطلاً للصلاة ؛ وبمرور السنين تصبح هذه العقائد الحقة كملكات راسخة في قلوب المصلين ؛ وتكون أُموراً طبيعية وفطرية عندهم فيستحيل أن تجد المذاهب الإشتراكية المتطرفة والمبادىء الهدامة التي تقاوم الطبيعة وتنازع الفطرة ؛ وتنفي الإختصاص ؛ وتنزع الملكية من الفرد وتتداخل في شؤون الإنسان بينه وبين ربّه ، سبيلاً الى قلوب المصلين ، ﴿ إنّ **الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ .

ثمّ إسرح نظر الفكر في أسرار تشريع الصوم لكي تعلم أن هذه العبادة الدينية التي يقصد بها التقرب الى الله تعالى بترويض النفس ؛ والجسد لرفع الإنسان بروحه من حضيض الحيوانية الى أرفع مقام أدبي يليق بكرامته الإنسانية ، تبعث في الأُمم الإسلامية لغة الإحساس التي بها تنبعث من صميم نفس الصائم عاطفة ليست في طوق اللغة ولايغني في تذوقها الوصف ؛ فتخلق في النفوس عناصر الشفقة والرحمة والحنان والرأفة والرفق والإيثار ، الى جانب قوة الإرادة ورباطة الجأش والقدرة

على مغالبة الشهوات ومكافحة الأهـواء والتدريب عـلى الخشونـة وروح المفادات في سبيل إعـلاء كلمة الله وشـأن الأمة ، والـدفاع عن العقيـدة عـلى غرار الأمم الحيـة ؛ وتؤهل النفـوس للخصال الكـريمـة والمبـادىء الإجتماعية القويمة التي هي الهـدف للأديـان الإلهية ولـلإنسانيـة ؛ وينبه القلوب لضرورة التكـافـل بـين الأقـويـاء والضعفـاء ؛ وبـين الأغنيـاء والفقراء ؛ وبذلك يحصل التضامن الإجتماعي ويتوحد الشعـور العام ؛ وترسخ ملكات إجتماعية يسود بها العدل الإجتماعي والسلام العام .

الصـوم ، مبـدأ أدبي سـام ؛ ومـواسـاة شـاملة ؛ ومسـاواة كـاملة لمختلف الطبقات أمام القانون الإلهي وعبادة إسلامية كفيلة بتثقيف عامة المسلمـين وإيجاد عنـاصر الرجـولة الكـاملة فيهم لحـد يجعلهم يتحملون بجلد وصبر أشد المحن وأعظم الكوارث ؛ وينـدفعون الى التضحيـة في سبيل البر وإقامة أعمال الخير من فيض فضل الله عليهم .

الصوم بمركزه الديني وهيبته الأدبية له شأن عظيم في تحديـد التمعن في صنوف المتاع المادي ؛ وتوجيـه العقول والأذواق إلى صـالح الفـرد في ضمن صـالح المجتمـع ؛ وتكوين أُمـة ذات غرض إنسـاني سام مـتزنـة الجـوانب لاتطغى فيهـا الخشونـة والقسوة والأثـرة على الـرأفة والشفقـة والإيثـار ؛ والثمرة النهـائية لهـذه العبادة الإسـلامية تـوحـد الـوجهـة ، وإجتماع الكلمة ؛ وقيام دولة الحق على وجه الأرض .

فـإتضح أن الإسـلام بحق دين إجتماعي ، أخـلاقي ، سيـاسي ، عمـراني ، إقتصادي ، معتـدل وجامـع للسعادات المزدوجة ، تـوجـه صـاحب الإسلام نحـو المغرب ثمّ الى المشرق ؛ ثمّ قـال مـابـين المشرق والمغـرب قبلتي ، الإسـلام جعـل فـارقـاً بـين الـذين يعلمـون والـذين لايعلمون ؛ فكان هذا منشأ وزارة المعارف وقال الله تعـالى : ﴿ وأعدوا

لهم ما إستطعتم من قوة ﴾ فكان هذا منهاجا لوزارة الدفاع ووزارة الصنايع ووزارة المواصلات والأشغال ؛ ووزارة الإقتصاد ؛ وفي قوله تعالى : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ تدليل للوزارة الخارجية ؛ وقال الله تعالى : ﴿ أوفوا بالعقود ﴾ أي بالعهود والعهد مايصدره الملك والأمير الى ولاته « كعهد أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) الى مالك الأشتر واليه في مصر » والوفاء بالعهد ضمان للأمن العام وهذا إشارة الى وزارة الداخلية وفي قوله تعالى : ﴿ فاحكم بينهم بالعدل ﴾ إشارة الى وزارة العدلية .

الإسلام : دين العلم ولذلك قرر لزوم تحصيله والعلم كمال نفساني وصفة إبداعية للنفس الناطقة ؛ والعلوم ـ وهي كمالات النفس الناطقة المجردة ذاتاً ـ لاتتحيز في مكان ولا تختص بجهة ، لأن المكان والجهات من لوازم المادة ؛ فالعلوم كالنفس المتصفة بها لاتوصف بأنّها شرقية ولا بأنّها غربية توصيفاً حقيقياً ؛ ولكنها توصف بهما توصيفاً مجازياً لأجل أن تدوينها أو تعليمها كان في الغرب أو في الشرق ؛ وهذا توصيف عرضي خارج عن حدود ذواتها ومن باب وصف الشيء بصفة متعلقه فلايوجب تكثراً ولاتبايناً في جواهر العلوم ؛ وبما أن النفس الناطقة مفطورة بطلب الكمال والعلم مطلقاً حثت الأديان سيما الدين الإسلامي الخالد على طلب العلم ولو بالصين ؛ وجعل طلبه فريضة على كل مسلم من دون تفريق بين ماكان تدوينه في الشرق وبين ماكان تدوينه في الغرب ؛ ولكن يجب رعاية الترتيب في تعلّم العلوم ورعاية أستعداد الطالب ، لأن العلم بمنزلة الغذاء للروح فكما أن أغذية الجسد تختلف بإختلاف الحالات والمناسبات ؛ فالصالح من الأغذية للشاب لايصلح للطفل الرضيع ، والصالح للصحيح لايصلح للمريض والصالح للمزاج القوي لايصلح للمزاج الضعيف ؛ فكذلك العلوم يجب أن يلاحظ في تعليمها وتعلمها

إستعداد المتعلم بروحه ونفسه ومحيطه وبيئته ؛ وأن يـراعي الأصلح منها فالأصلح ؛ والأهم فالأهم ؛ وهـذا سر تقسيمها إلى إبتـدائية ومتـوسطة وعالية ؛ وهو السبب لرعاية الأقدمين الـترتيب الطبيعي في مـوضوعـات العلوم لكي يتكـون لمتعلم بسبب العلم السـابق في الـترتيب إستعـداد تحصيل العلم اللاحق على وجه يترتب عليه الأثـر المقصود منـه ؛ ولأجل ذلك أوجب الحكماء والفلاسفة أن يقدم تهذيب الأخـلاق وتقويم الفكـر ببعض العلوم الرياضية التي مبادئها حسية ، على الشروع في دراسة علم المنـطق ؛ ويقدم تعلم المنـطق عـلى دراسـة الفلسفـة ؛ ويخشى أن يؤدي إهمال الترتيب الى الفوضى الثقافية التي تخشى مغبتها .

إنّ منـاهـج التعليم في الشرق العـربي والإسـلامي ـ حيث أنّها من وضع الاغيار وبعضها من وضع العدو الذي لايريد الخير لهذه البـلاد بل لايريد لها إلّا الجهل ليسهـل الإستعمار ـ لم يفتـح لها ولابقـدر سم الخياط منفذاً الى تلك الناحيـة الضرورية من الثقـافة الحقيقيـة خوف أن يتسـع فيتسرب المتعلمون إليه ويخرج الشرق من قبضة الغرب وسيطرته ولو بعد حين .

فيجب على من دخل هذه المدارس أن لايقتصر على مناهـج التعليم المقررة فيها ؛ فإن هذه المناهج سقيمـة وعقيمة وحشـو للأدمغـة بلفائف لاتجدي في علم ولاعمل ؛ ولذا لانجد في المتخرجين منها على كـثرتهم في كل عام ثقافة صحيحة ولاوطنية صادقة ولاإلـتزاماً بـالدين والأخـلاق ، بل لانجد على الأكثر إلا شباباً مستهتراً يركض وراء ملاهيه وقتـل الوقت في نواديه وقهاويه فـلا بضاعـة ولا صناعـة ولا فن ولا زراعة ؛ والبـلاء مخيم عـلى البلاد ؛ فمن واجب المتعلم أن يشق لنفسـه طريقـاً ؛ ويفتـح بالجد والنشـاط والعمل المتـواصل أبـواباً من الإبـداع والإختراع ؛ وأن

يكون حريصاً على العلم العملي والفن النافع في إستخراج أسرار الطبيعة وكنوز الكائنات ؛ وإيّاه أن يطوي سني دراسته ليحصل على وظيفة يعيش من راتبها ويرتضع من أخلافها فيكون رجلاً إتكالياً ساقط الهمة صغير النفس فيموت فيه روح الطموح وعزة النفس وعلو الهمة ؛ والوظيفة أسوء لجام للأحراريكم أفواههم ويميت شعورهم وإحساسهم ؛ وكم رأينا من يتوقد حماساً وغيرة وكانت الآمال معقودة على نهضة أمثاله حتى إذا كبلوه بأغلال الوظيفة لم نسمع له بعد ذلك ذكراً ولم نجد له عيناً ولاأثراً .

فعلى الشعوب والحكومات الإسلامية والعربية أن تعيد النظر في وضع مناهج صحيحة للتعليم وللإصلاح العام قبل أن يؤخذ على أيديها فلاتستطيع أن تستعد وحينئذ تشعر بمضض الإهمال في الوقت الذي لايفيد هذا الشعور ولايدفع الضيم ؛ فليست الثقافة أن نعرف أوهام المشرق والمغرب وإنّما الثقافة أن نعرف مايجب أن يعرف ؛ وما أقول هذه الحقائق وحدي وإنّما يعرفها خلق كثير لايصدهم عن الجهر بها إلاّ الخوف من الإتهام بالتعصب والرجعية ؛ فأن من المعلوم أن الأخلاق الحسنة المستندة الى العلم الصحيح دولة أعز من دولة السلطان ؛ وللمعاش أخلاق يحسنها من يعرفون كيف تجمع الثروة وكيف يخلق الأنصار والأعوان ؟ وقوة الرجل أن يقف حيث وقفته الفطرة وهذا الإصلاح العام المنشود لايستوحى من الخيال ؛ ولايفرض من قوة خارجة عما هو الموجود إنّما هو يجب أن يكون وليد الحقيقة والوضع القائم وصنيع المؤثرات الإجتماعية والفكرية ومقتضيات الأحوال والنزعات الشرقية والتعاليم الإسلامية . وأن يقوم بها الرّاسخون في العلم الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقررات العقل السليم والبحث العلمي والتفكير الحر ومعرفة نفسيّات الأُمم العربية والإسلامية المرتكزة في

الشرق على الدين مثل إرتكاز نفسيات الامم الغربية على القومية والوطنية المحضة ؛ وأن يكون لهم الإحاطة بأسرار التشريع الإسلامي العظيمة ؛ ولايتوقع هذا الإصلاح من الذين طرحوا من أول نشأتهم في حجر من يجرعهم الإلحاد والرذيلة ولم يعرفوا شيئاً من الأخلاق الصحيحة الصالحة لبلادهم ولم يعرفوا شيئاً عن الإسلام وحقائقه وأسراره ، غير أنهم سلموا لهذا الحاضن على أثر الفطام ؛ فصبغوا بصبغته يظنون أن أول مانفث فيهم في مؤسسات الثقافة أو في مراكز الدعايات الهدّامة ، من السم أو السحر لم يقله أحد قبل من غشّهم ، حتى قاموا يتبجحون بماخدعوا به يعدونه كشفاً جديداً ونظرية حديثة تليق بعصر النور والعلم ؛ فصارت مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس ، واستحالوا الى زنادقة خونة ملحدين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الآخرين وهم لايعقلون ؛ وصارت علومهم العصرية ناراً محرقة أحرقت عواطفهم وعقائدهم ومكارمهم ، وأخذوا يتسابقون الى الشر مسيرين وهم يظنون أنهم مخيرون لقد عميت عليهم المسالك وهم لايفقهون فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

ويجب أن لايتوقع هذا الإصلاح الشامل من حملة الألقاب العلمية العالية الذين أكملوا علومهم في معاهد الغرب العالية وقضوا شطراً من العمر في بلاد أوربا وعرفوا سر سحر باريس والبعض منهم أدرك ليلة مرقص الفنون الجميلة في باريس وخلاصة المنظر في تلك الليلة رجوع الإنسان الى الطبيعة دون تقيد بأي قيد كان ويفعل في تلك الليلة كل مايمكن فعله ولاحرج ولاغضب .

زارني في دمشق وفد مسلم من حملة الألقاب العلمية الباريسية وطلبوا مني بإسم الكرامة الإسلامية أن أمنع الناس من البكاء في مجالس عزاء سيدنا الحسين إبن فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)

بحجـة أن البكاء من مختصـات النساء ولا يليق بـالرجال ؛ وأن بكـائهم يجلب شـماتة غـير المسلمين علينـا ؛ فقلت لهم : سـاعـدوني في جـواب المسلمـين الذين سنـطلب منهم ترك البكـاء في مجالس العـزاء ؛ فيـما إذا قالوا : ليس البكاء في الشرق الإسلامي من مختصات النساء ؛ وقـد ذكر التأريخ كثرة بكاء الأنبياء والأولياء والأئمـة والخلفاء والعلماء ؛ وجـاء في القـرآن الكـريم : ﴿ وليبكـوا كثيـراً ﴾ وليس هـذا الـطلب إلاّ نـزعـة غربية ؛ ومع ذلك نحن مستعـدون لإمتثالكم بـترك البكاء ، عـلى شرط أن يـترك هؤلاء الاساتـذة المقترحـين رقصهم الـذي تعلمـوه في معـاهـد ومـراقص الفنـون الجميلة في بـاريس ، إذ لاشـك في أن الـرقص من مختصات النساء ولا يليق بـالرجـال ؛ ولا يرقص إلاّ من كـان همه الـترف والنعيم والأصبـاغ والتلوين وتصفيف الـطرة وصقـل الجبـين والغـرة ؛ وتـرديد الجعـود وتـوريـد الخـدود ؛ وتعـديـل القـوام ؛ وحلق اللحيـة والشـارب وإقتداء بـالأجانب ؛ والعكـوف على مسـارح اللهـو والأنس والطرب ؛ والترف ليس مما يزيل النعم فقط بل ويجلب الذل والسقوط ؛ والتخنث والأنوثة ؛ فهل أنتم فاعلون ، فسكتوا ثمّ إنصرفوا .

إخواني : إني حينما أجد في نفسي هدوء الفلاسفة لما أنعم الله تعالى علينا من معرفة أسرار دينه وتفاسير كتابه المبين ؛ وحقايق العلوم الحقة ، يلجئني مـاأشاهـده من وضـع المجتمـع الإسـلامي والعـربي الى صيـاح المصلحين هذبوا من تتولون أمره ففي إصلاح الفرد إصـلاح الأُمّة ؛ وفي تهذيب الشعب إصلاح الرؤساء والحكام ، رأيت جماعة تشكوا من عـدم قيام الحكومـة بوظـائفها ؛ فقلت لهـا إنّ لكل شيء خـاصية فهـو صالـح مادامت موجودة فيه ؛ وإذا زالت الخـاصيّة عنـه أصبح فـاسداً ؛ وعـدم قيام الحكومة بوظائفها عبـارة عن فسادهـا ولكن شكايتكم هـذه إعتراف منكم بفسـاد أنفسكم بمعنى عدم قيـامكم بوظـائفكم لقـول رسـول الله

(صلّى الله عليه وآله) : « كيفما كنتم يولّى عليكم » وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « إذا فسد العالِم فسد العالَم » والمقصود من فساد العالِم تركه وظيفته أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى : ﴿ **لولا ينهاهم الربّانيون والأحبار عن الإثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون** ﴾ .

فمن واجب كافة المسلمين أن تقتدي بالعلماء الربانيين والعظماء الصادقين والمراجع المخلصين الذين تطأطأ لفضلهم الرؤوس وتخشع لهيبتهم القلوب جديرين بكل إعتبار وإحترام وتعظيم ، يفيدون الأُمم الإسلامية في دينها ودنياها بعلم صحيح ؛ وإرشاد مفيد ؛ وإصلاح متين ؛ وفي طليعتهم علماء النجف الأشرف كعبة العلوم الدينية والفلسفية ، تقصدها الوفود الإسلامية من جميع القارات ليتفقهوا في الدين وينشروه في العالم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ؛ وإن النجف الأشرف قلب الأسلام النابض ؛ وعلمه الخفاق ؛ ومصباحه الوهاج الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون وهو يرسل أشعة العلوم والإيمان والتقى ومكارم الأخلاق الى مشارق الأرض ومغاربها ، وبفضل علماء النجف الأشرف إنتشرت روحانية الأسلام في أقطار الأرض ؛ وإهتدت الأُمم الإسلامية والعربية الى مافيه مصلحتها وهكذا أخذ المهتدون سمتهم في طريق الحياة الخالدة مقتدين بنوابغ أعلامه الذين شقوا الصالح منها في وسط المشاكل المدلهمة والظلمات المتكاتفة ؛ وتوالت الأجيال على هذه الأُمم وهي تستنير بشموسه وأقماره ونجومه السواطع فتنسج على منوالهم ؛ وتعوذ بهم في الطواريء ، إلى أن أصبح مجموعهم قليلاً جداً وباتوا أشبه بالكواكب السيارة بعد أن كانوا شهباً متناثرة ؛ فحرصت الأُمم الإسلامية على مكانتهم الرفيعة ومنزلتهم السامية وغدت تتمسك بهم في مزالق الشبه ؛ ومهاوي الشكوك ، تقوم إذا قاموا

وتقعد إذا قعدوا .

الإسلام دين الإتحاد ؛ وقرر أن التفرقة تكشف عن فقدان العقل ، قال الله تعالى : ﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون ﴾ والإسلام سلاح لايغلب ولكن هل سمعتم أن سلاحاً يقاتل بغير جند ، أوجند ينتصر بلانظام ، الإتحاد نظام الأُمة الإسلامية وأهم العوامل المؤثرة في إخفاق الدعايات المبثوثة ضد التعاليم الإسلامية في هذا الزمان الذي فشى فيه داء الإلحاد في العالم وإشتدت فيه الوطأة وعظم المصاب ؛ وأصبحت الأُمم الإسلامية على شفا جرف الهلاك لابد لها في هذا الموقف من أحد المصيرين ، إما نصر يكونه الإتحاد وتعلوا به الى مدار الأفلاك أو خذلان يخلقه التنازع والإختلاف تهوي به الى مقر الأسماك ؛ ومن المعلوم الواضح أن الإختلاف إنّما هو في فهم الدين لافي صميم الدين ؛ والإتحاد عماد الدعوة الإسلامية وبها تحل المودة والرحمة والإئتلاف ، محل الوحشية والجفاء والإعتساف ؛ وبالإتحاد تحصل الأُلفة وتجمع الكلمة ؛ ويوجد التفاهم وتسهل الدعوة الى تعاليم الحق ، قال الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرّقوا ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وقال عليه السلام : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا إشتكى عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » فصلاح حال الأُمة الإسلامية بإنضمام أفرادها وشدة إرتباط بعضهم ببعض إرتباطاً يوجب لها الوحدة الحقيقية تعيش بروح واحدة ؛ وترمي إلى هدف واحد وتكون بمثابة الجسد الواحد السالم بحيث يسعى كل فرد من المجموع لخدمة المجموع ؛ وإذا تألم فرد منه تألمت سائر أفراد المجموع ؛ وهناك تصير الأُمة بأفرادها كأنها بنيان مرصوص فتتضاعف القوة وتتوحد ؛ ولايتسرب إليها الفساد ؛ وتدرء الأخطار والكوارث عنها بفضل قوتها

المجتمعة ؛ وصارت أُمة صحيحة حية صالحة قوية لها مجدها وكيانها وعزها وشأنها كما كان المسلمون كذلك في صدر الإسلام فلما بلغ عددهم ثلاثين ألفاً دوخوا العالم وملكوا قرني الشمس في نصف قرن وأسسوا إمبراطورية إسلامية عظيمة ، أما إذا إنقطعت علاقة الفرد من المجموع وزال ذلك الرباط ؛ وتمزقت تلك الوحدة وصار كل فرد فضلاً عن أنّه يشتغل لنفسه ويعمل بمفرده يسعى لهدم أخيه والإضرار به وخرابه فقد خرب بيت الجميع وإنهدم صرح الأُمة من أساسه وهوى على رأسه وفسدت الأُمة بأجمعها ؛ وزال عنها كل عزّ وملكة ؛ ووقعت في أسوء الهلكة وأصبحت فريسة للذئاب ؛ كما تشاهدون أننا اليوم أربعمائة مليون مسلم ولانجد لنا أثر حياة المسلمون عبيد وأسراء حيث ماتلقّاهم ؛ وتتلخص نقائص المسلمين اليوم في جهلهم بدينهم الإسلام وإهمالهم العمل بمقرراته وإنا لنتسائل هل هذا معنى إنقطاع علاقة المسلمين بالإسلام ؟ وإذا كان الأمر كذلك فإلى أين سينتهي المطاف بالمسلمين ؟ في صدر الإسلام كان الإسلام في مقابل الكفر وأصبح الآن في مقابل النفاق ، « اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله ؛ وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة » . الإسلام نظم علاقة الإنسان بالخالق والخلق ؛ ومزج بين مصالح الدين والدنيا ؛ وهذب الأخلاق ؛ وصان الحقوق ؛ ولم يترك صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها وأفاض على الناس من نور تشريعه مالم ينزل مثله على سائر الأنبياء ، إذ إستقصى الشؤون الإجتماعية الشاملة على جانب الشؤون الفردية والأعمال الأخروية ؛ وأوضح أن البشر إنّما خلق لحكمة سامية هي عبادة مبدع الكائنات وحده « والعبادة » إما إعتقادية قلبية كالإيمان بالله وبرسوله (صلّى الله عليه وآله) أو بدنية محضة كالصلاة والصوم ،

أو « مـالية » كـالـزكـاة والخمس ، أو مـركبـة من مـالي وبـدني كـالحـج والجهاد ؛ والعبادات لاتقام على وجهها إلاّ بوسـائل هي صحـة الفكر ؛ وسلامة البدن ؛ وذات اليد ؛ ولهذه الوسائل وسائل تسبقها كالزراعة ، والصنـاعة ؛ والتفقـه في الـدين ؛ وبعض العلوم النـظريـة كـالمنـطق أو الكونية كالطب والهندسة وسائر العلوم الرياضية ؛ وكل مـايتعلق بأُمـور الدنيا وأُمور الآخرة ؛ وليس في إستطاعة الفـرد من الناس أو الـرهط من الناس الإستقلال بهذه الوسائل كلها ، فأحتـاج الناس بمقتضى فـطرتهم ومـاخلقـوا من أجله الى التعـارف والتعـاون ولاتعـارف ولاتعـاون إلاّ بـالإجتماع ؛ فـالإجتماع هـو الذي تقتضيـه الفطرة ؛ وبـه تنتظم العلوم وتبلغ المدنية الفاضلة أشدهـا ؛ فيتهيأ للنـاس أن يعبدوا الله عـلى بصيرة ويتقربوا إليـه بضروب من الأعمال الصـالحة لاتحصى ؛ وبمـا أن الإسلام دين الفطرة إهتم بذلك فقرر توزيع الأعمال ، قال الله تعـالى : ﴿ **فلولا نفـر من كل فـرقة منهم طـائفة ليتفقهـوا في الدين ولينـذروا قـومهم إذا رجعـوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ وهـذا تقريـر للإجتـماع ، ويظهـر إيثار الإسلام للإجتماع على العزلة في كثير من الأحكام والآداب ؛ فانظروا الى مادعى إليه على وجه التوكيد من إقامة الصلوات الخمس في جمـاعة ؛ ثمَّ مافرضه من الإجتماع العـام في يوم من الإسبـوع لصلاة الجمعـة ؛ وعين للحج وقتاً في السنة فكان في حكمة هذا التعيـين إلتقاء أُمم الإسـلام من بلاد وأقطار مختلفة على صعيد واحد لكي يتكون به مؤتمر إسلامي عام في كل سنة ؛ وشرع ليوم عيد الفطر وعيد الأضحى صـلاة تؤدي في جماعـة وتـوصل بـوعظ وإرشاد ؛ وشرع إقـامـة ولائم في مثـل عقـد النكـاح أو البنـاء ؛ ويوم سـابع الـولادة ؛ وحث على إجـابة الـدعـوة ؛ ودعى الى الإجتماع في أوقات السرور كـأيام الأعيـاد ودعي الى الإجتماع في أوقـات المكـاره والشدائـد ؛ كالإجتـماع لصلاة الكسـوف ؛ والإجتماع لصـلاة

الميت وتشييع جنازته حتى يكون الإجتماع مالئاً لمواطن السرور والحزن ؛ ولايبقى للعزلة الجافية مظهر في حال ، دعى الإسلام الى الإجتماع وشرع للإجتماع بصورة عامة وللإجتماع الإقتصادي بكيفية مخصوصة أحكاماً عادلة ؛ وآداباً فاضلة ؛ وحقوقاً متكافئة متبادلة ؛ كالحث على القرض الحسنة ، والمهادات ؛ وقضاء الحاجات والإحسان ، مضافاً الى تشريع الزكاة والخمس وسائر الحقوق الشرعية التي تستهدف إزالة الفقر والحاجة عن المجتمع الإسلامي وهي أنجع دواء للفوضوية ؛ وتحريم الربا والميسر ووضع عقوبات للإعتداء على الأنفس والأموال والأعراض الى مايشاكل هذا من الأحكام القضائية والنظم الأساسية والآداب التي تحمي الإجتماع من كل نقيصة وتجعله مصدر خير وسعادة ؛ وعالج بها مشكلة الفقر التي هزت الأمم والعالم ؛ وفيها تجلى المثل الأعلى للعدل الإجتماعي الإقتصادي ؛ وأصبح النظام الإقتصادي الإسلامي أكبر معجزة كافية لمعالجة الفقر ومايتبعه من الجهل والمرض ؛ ولأهمية الإستغناء الإقتصادي إعتبره الإسلام دعامة الإستقلال المعبر عنه في الفقه الإسلامي بكلمة « حفظ بيضة الإسلام » ونظم الإسلام للمرء حياته من بدء تكوينه الى حين وفاته حتى لقد دخل مع الرجل بيته وحكم بينه وبين زوجته ؛ وبين ماله عليها وما لها عليه ؛ وفصل فيما عسى أن يقع بينهما من الخصومات ، بل حكم بينه وبين نفسه ؛ ثمَّ لم يدعه بعد وفاته فقسم ميراثه ؛ وبين طرق تكفينه ودفنه ، الى غير ذلك مما ينتظم به شؤون الأفراد والجماعات ويهيء للمسلم أن يعيش عيشة راضية ؛ وحيث أنّه تشريع إلهي فالعمل به طاعة مستوجبة للثواب ومخالفته معصية متوعد عليها بالعقاب الأُخروي زيادة على ماقرر فيه من عقوبات دنيوية ؛ ولاغرو فقد شرعه الله لعبادة وهو أعلم بهم وبحاجاتهم من أنفسهم ؛ ولايخفى أن التعاليم الإسلامية ـ من أصلية وفرعية ـ تتطلب

مؤلفـات كلاميـة وفقهية مـترتبـة عـلى تـرتيب طبيعي تجلب الأنـظار وفي إسلوب مؤثـر يـلائم روح العصر ؛ وهـذا هـو الـذي حـدا بنـا إسـوة بالمجتهدين الإماميين الى أن ألفنـا كتاب « التـوحيد » في علم الكـلام ؛ ورتبنا بعض مؤلفاتنا الفقهية ورسائلنا العملية ترتيبـاً طبعياً يبـدأ بماقـرره الإسـلام من آداب وأحكام للجنـين منـذ إنعقـاد النـطفـة في الـرحم ؛ فأحكام شهور الحمل ؛ ثمّ أحكام الولادة ؛ فمسائل الرضاع ثمَّ أحكام الفطام ومابعده فأحكام التربية وتهذيب أخلاق الطفل ثمَّ مايلزم عمله في السنـين من السادسـة الى العاشرة من عمـره ثمَّ أحكـام البلوغ ومـاتجب مبادرته الى تعلمه والعمل به من حين بلوغه الى حين وفـاته ؛ ثمَّ أحكـام الوصية وأحكام الأموات . وتنتهي الى أحكام الميراث .

ويمكن الأنتبـاه من هذا البيـان الى أن الإجتهاد في الفقـه الإسلامي من لوازم الدين الإسلامي العام الخـالد ؛ وسـد بابـه مناقض لأغـراض الإسلام الجوهرية في هذا الزمن الذي لم يبق فيه طريق لمعرفـة أحكام الله تعالى سوى الإستنبـاط من كتاب الله المجيـد وسنة الـرسول (صـلّى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار ؛ وحيث أن ذلك لايمكن أن يكلف به جميـع المكلفين لكي لايختل النـظام في معاش النـاس ومعادهم ، لاجـرم صار النـاس على صنفـين . فصنف عـلى عهـدتـه تعيـين الأحكـام الشرعيـة وإستنبـاطها من الأدلـة الشرعية وصنف عـلى عهدتـه سائـر الأُمـور التي تتوقف عليها إستقامة النـظام الدنيـوي والثاني يـرجع الى الأول في أخـذ الأحكام المتعلقة به ؛ فالأول هو المجتهد والثـاني هو المقلد ، وهـذه سنة الله في عباده وبلاده ، مضافاً الى إستقلال العقل بـه ؛ وهذا لايختص بـه أهل ملة بل هو جار في جميـع الملل والأديان وذلـك لأن تقليد الجـاهل في كل أمر من العـالم به أمـر فطري وطبيعي مـرتكز في نفـوس العقلاء حتى صـار من سيرتهم لـزوم رجوع الجـاهل الى العـالم في جميع الأُمـور ؛ وقد

قرره الإسلام وهو دين الفطرة والطبيعة مع التصرف في الكيفية بـإعتباره عدة شروط لمرجـع التقليد أحـدهما شرط حيـاة المجتهد في جـواز تقليده إبتداء حسبما تقتضيه مادة السؤال الوارد في قوله تعالى : ﴿ **فـاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون . . . الخ** ﴾ ومن الواضح أن الإلـتزام بتقليد الحي في كل عصر يبعث نشاطاً عاماً وإهتماماً جديـداً تامـاً بالـدين في كل جيـل ؛ ثمَّ إن من الـواضـح أن سلطان الخـالق ـ جلت قـدرتـه ـ عـلى مخلوقاته أسمى أنواع السلطنة ؛ وأعلى أنحاء الولاية ؛ ولقد تفرعت من هذه الولاية الإلهية والسلطنة الربوبية ولاية النبي (صلّى الله عليـه وآله) وهي المنوه بها في قوله تعـالى : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنـين من أنفسهم** ﴾ . ثمَّ تفرعت من ولاية النبوة ولاية الإمـامة المشـار إليها في حـديث الغديـر المـروي بالـطرق الصحيحـة المتـواتـرة في كتب الفـريقـين ، فقـد مهـد رسول الله (صلّى الله عليـه وآله) لـولاية الإمـام بقولـه : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قـالوا : بـلى ؛ فقال (صـلّى الله عليـه وآلـه) : من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه » . . إلخ ، لكي يكون هـذا التمهيد قـرينة قطعية على أنّه (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) أراد معنى الأُولى بالتصرف من كلمة المولى وبذلك أظهر أن ولاية الإمام فرع لولاية النبي (صلّى الله عليه وآله) ومـرتبة منهـا ؛ ولأجل ذلـك أمر الله تعـالى بطاعتـه في قولـه تعـالى : ﴿ **أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأُولي الأمر منكم** ﴾ ويؤيـد ذلك ماجاء في أحاديث مستفيضة من أن الإمام حجة الله على الناس وأن له سلطنة مطلقة على الرعية من قبل الله تعالى وهذه الولاية أصل مذهب الشيعة الإمامية ودعامته التي بني عليها ؛ وإن الشيعة تعتقد بأن الإمامـة أصـل مـذهبي يـوجب علو الـدرجـات في الآخـرة ؛ ولكنهـا ليست من أُصول دين الإسلام لأنها ثلاثة وهي التوحيد ؛ والنبوة ؛ والمعاد ؛ فكـل من إعتقد بتوحيد الله تعالى وبنبـوة خاتم الإنبيـاء محمّد (صـلّى الله عليه

وآله) وبالمعاد الجسماني وإعترف لساناً بالشهادتين وعمل بما جاء به النبي (صلّى الله عليه وآله) فهو مسلم عند الشيعة له ماللمسلمين وعليه ماعليهم وإن لم يعتقد بالإمامة ، قال : الأُستاذ الأكبر لعلماء الشيعة في « كتاب أُصول الإسلام والإيمان » « فائدة » : إعلم أن أُصول الإسلام عند فقهائنا ثلاثة ، التوحيد ، الرسالة ، المعاد ؛ فمن أنكر واحداً منها يكون خارجاً عنه ؛ كما أن الشيعي معتقد بهذه الأُصول الثلاثة أعني التوحيد والنبوة والمعاد فهو مسلم عند جميع طوائف المسلمين من أهل السنة وإن لم يعتقد بالخلافة ؛ فالخلاف في الخلافة والإمامة ليس خلافاً في أُصول الدين الإسلامي عند الفريقين ؛ وليس يسوغ في حال من الأحوال أن يقتتلوا على خلاف في الخلافة أصبح في ذمة التاريخ ولايستطيع القتال والنزاع أن يعيده الى الوجود بعد أن إنحلت الخلافة وأصبحت هي الخلافة نفسها مسألة تأريخية بحتة ؛ وأصبح كل الخلاف خلافاً في التاريخ وخلافاً في الإجتهاد وفي فهم الدين لاخلافاً في صميم الدين الإسلامي ، هذا في أُصول الدين الإسلامي ؛ وأمافي فروع الدين فإن الآراء والمذاهب الفقهية التي تتوزع المسلمين اليوم مع سلامة جوهرها من كل شائبة ، أدت الخلافات فيها الى فتن بين أشياعها في أدوار شتى وسالت بين أهلها دماء غزيرة في بقاع كثيرة من الأرض وقد كان حصة مصر وسوريا منها موفوراً ؛ فكثيراً ماأدى الجدال بين الشافعية والحنفية وبينهم وبين الحنابلة الى معارك سالت فيها الدماء ؛ فإذا كانت قد هدأت هذه الثائرة بينهم منذ نحو جيل فما ذلك إلّا بسبب التطور الذي حصل في العقول في مدى القرن الأخير ، وهذا التطور نفسه هو الذي يلهم النفوس اليوم وجوب تضييق مسافة هذه الخلافات التي تؤدي الى ظاهرة الإختلاف في الأعمال الموجبة للفتن ؛ وأقوى ظاهرة مانراه بين الشيعة والسنة ؛ فقد تباعدوا وطال عليهم الأمد في هجر بعضهم

لبعض ؛ وتوالت على ذلك عصور ليست بـالقليلة فكان في الأمـر متسع للأراجيف المختلفة والتمويهات الكاذبة والدعايـات الفارغـة الجوفـاء ؛ وأخـذ كل منهم يعـزو الى أخيه أقـوالاً أبعد في التصـور مماكـان يشـاع في الأسـاطير كـل ذلك لعـوامل سيـاسية خلقهـا بعض الملوك وتأثـرت لهـا الأجيال وتوارثها الأعقاب فتفرقت شيعاً لأسبـاب أقل مـاتوصف بـه أنها لاتثبت للنقد والتحليل ؛ ولآراء فقهيـة إتسع صـدر التاريـخ الإسلامي لألوف منها نشرها أصحابها في مختلف الممالك الإسلاميـة ولم يكن لها أثـر سوى مقارعـة الحجة بـالحجة ومنـاهضة الـدليل بـالدليـل ؛ وليس فيها مايدعوا إلى إثارة حرب أو سفك قطرة من دم ؛ أو إلى تجريح أو تشهير أو تكفير ، ولايوجد رأي في الفروع عند مذهب الشيعة يكون مخالفاً لجميع المذاهب السنيّة الأربعة ؛ فالخلاف الفرعي بين مذهب الشيعة الإماميـة وبـين المذاهب السنيـة الأربعة لايـزيد عـلى الخلاف بـين هذه المـذاهب الأربعة بعضها مع بعض ؛ ولقد وقع الخلاف بين الشافعية والمالكية عن البسملة هـل هي جزء من القـرآن أو ليست جزءاً منـه ؛ فلو كـان هـذا الخلاف وقع بين الشيعة والمالكية فماذا تكون الحال ؟ كان أقـل شيء يقع هو أن يكفر المختلفـون بعضهم بعضاً هـذا خلاف عـلى القرآن والتـواتر ومنكـرهما كـافر وخـلاف يتعلق بـالصـلاة وهي فقـار الإسـلام وعمـود الـدين ؛ ولكنه حـدث بين الشـافعية والمـالكية ، وقـام بين السلف فلم يكفر بعضهم بعضاً ولم يمنع أحد من الصلاة وراء مخالفة ، ذلك لأن سوء التفاهم بينهما لم يبلغ درجته مع الشيعة ؛ ولأن السلف كان رائدهم جميعاً الإنصاف العلمي والإخلاص للحق ؛ فكان المخالف يـرى أن صاحب الرأي الآخر يبني مارآه على دليل قام عنده أو أثر صح لديه ؛ ولايخطر لـه أنه خالف لشهوة أو غرض ؛ وهذا الإنصاف والإخـلاص للعمل والحق هـو الذي نسعى إليـه فالخـلاف مع الإنصـاف لايجـر إلى التفـرق ولا الى

الفتن ؛ فمن المؤسف جداً أن يتخذ من هذه الإختلافات العرضية بعض الطوائف الإسلامية أداة هدم لمعالم الدين الإسلامي وكيانه الإجتماعي وسهاماً ترمي بها من سواها تصيب الصميم ؛ وغير خفي أن الإغراض الإسلامية المعنوية والعملية لايمكن تحقيقها إلّا بتنقية إيمان المسلمين من الشوائب المفرقة وتوجيهه توجيهاً نافعاً ؛ وتنمية وسائط الإخاء الإسلامي ؛ وتقريب وجهات النظر في المذاهب الإسلامية ؛ وجمع كلمة طوائف المسلمين التي تجمعها كلمة التوحيد وقواعد الإسلام ، ويؤلف بينها كتاب الله وسنة رسوله (صلّى الله عليه وآله) والتمسك بالثقلين فجدير بنا أن نوجه ندائنا « أولاً » إلى إخواننا السنيين ؛ ونقول أن الشيعة مع إعتقادهم بالنص في الإمامة ؛ وربط مابعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) الى ماقبلها لايعتبرون الإمامة من جملة أُصول الإسلام ، بل يقولون أن كل من إعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد وما جاء به النبي (صلّى الله عليه وآله) من الله فهو مسلم ولو لم يعتقد بالإمامة والمسلم أخو المسلم ؛ فأهل السنة ، مع إعترافهم بعدم النص على الخلافة وإنها حدثت بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) وأما قبلها فلم يكن في الإسلام والمسلمين إسم من الخلافة ولامن الخليفة كيف يتوقفون في الحكم بإسلام الشيعي المعتقد بالوحدانية والرسالة والمعاد ؛ وبجميع ماجاء به نبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله) من الله تعالى ولو لم يعتقد بالخلافة أو لم يخلص للخلفاء ؟ ويجعلون هذا مانعاً من تحقيق الوحدة الإسلامية ؛ ثمّ نوجه ندائنا « ثانياً » الى إخواننا الشيعة ونقول إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) هو المؤسس لهذه الوحدة الإسلامية التي ندعوا إليها فلقد جاء صريحاً في « نهج البلاغة » في خطبته المعروفة بالشقشقية مانصه :

« ولكني أسففت إذا سفوا وطرت إذ طاروا » يريد أنّه سكت عن

مـطالبة حقـه ووافقهم ولم يخـالفهم في شيء ؛ فكيف يتـوقف شيعي عن قبول ماأسسه أمام الشيعة الأعظم أبو الأئمة وسراج الأُمـة أمير المؤمنـين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) .

أماوإن الخلافة منحلة ؛ والإمام (عليه السّلام) غائب ؛ ومايعـود الى درجـات الآخرة فحكمـه الى الله مالـك يـوم الـدين ؛ ومـايعـود الى الشؤون الـدنيـويـة والإجتـاعيـة فـلامنـدوحـة من أن يقـوم بهـا الأُمم الإسـلاميـة وعلمائهم الـذين أصبـح واجبهم في كـل جهـة مضـاعفـاً ؛ ومسؤليتهم عن الدين الذي هم حفاظه أكثر خطورة من قبل ؛ فقد كـان العلماء فيما مضى يكتفون بإلقاء ماعندهم من العلم الى تـلامذتهم فيؤدون بذلك كل الواجب عليهم ؛ أمـا اليوم فهم مسؤلـون عن دفع الشبهـات التي يلقيها الأجانب على الإسلام ، وعن إرشـاد النشيء وتثبيت العقيدة عنده ؛ والحيلولة بينه وبين الإفتتان بمايملك خصـوم الإسلام من القـوى المادية والمدنية البـاهرة ؛ ومن واجب علماء الـدين ومراجـع المسلمين أن يستقصوا أحوال الشعوب الإسلاميـة ؛ وأن يقفوا عـلى جل مـاهي عليه من خير وشر في كل لحظة ليبصر وها في سبيلها ويبعثوا في صدورها الهمم والغيرة ؛ ويتقدموا عنها بالدفاع والإحتجاج حتى يجمعوا كلمتها وينـالوا ثقتهـا « ومن لم يهتم في شؤون المسلمـين فليس منهم » وأن يـدفعـوا عن الدين بأنفسهم وأموالهم ؛ وأن ينفروا خفافاً وثقـالاً ينشرون الإسلام في البـلاد ؛ وينصرونه ويـدفعـون عنـه إفـتراء المبشرين في جميـع الجهـات ليعزهم الله وينصرهم ويثبت أقدامهم ؛ ولو قام العلماء بـواجبهم الديني « مخلصين له الدين » لتوحـدت المقاصـد ؛ وإجتمعت الكلمة وإتسعت الأفكـار ؛ وزكت النفـوس ؛ ونجحت الأعـمال ؛ وتحققت الآمـال لأن العلماء ينصحون بنصح الله ؛ ويتكلمون بلسان رسـوله ؛ ومن لانصـح له فلا همة له ومن لاهمة له فلا دين له ؛ وفي الحـديث الصحيح « الـدين

نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وهذا الحديث يقضي على العلماء أن يتدخلوا في كل شأن من شؤون العقائد ؛ وأن يدفعوا كل فرية يفتريها الخصوم على أهل التوحيد ؛ وأن ينصحوا في كل وقت وحين ؛ وأن ينتشروا في الأرض لنشر كتاب الله تعالى غير وانين ولاسائلين في آباء ولاأبناء ولاإخوان ولاأزواج ولاعشيرة ولاأموال ولاتجارة ولامساكن يرضونها ، قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال إقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ وإني في سفري هذا الذي لاشك في أنّه من سبل الجهاد قمت بماأمكن من واجبي ودعوت الأُمم الإسلامية الى الإتفاق والوحدة فوجدت الإقبال العام في مصر والهند وفلسطين والأردن ولبنان وسوريا .

وماشاهدته في سوريا من الحالة يستدعي الغبطة والسرور فهنالك أُمة حية تمكنت من المحافظة على آدابها القومية وأخلاقها الدينية طيلة مدة الإستعمار فنهضت كالأُمم الراقية تعمل لحفظ كيانها ؛ والحياة سارية في جميع طبقاتها ؛ وإني أُهنيء الأُمة السورية الكريمة بمانالته من الحياة الدستورية نتيجة مثابرتها ومساعي زعمائها ، وفي الختام نبتهل الى الله « جلت قدرته » في أن يحقق للعرب والمسلمين ماعقدوه علينا وعلى سائر أعلام الدين وقادة المسلمين من كبار الآمال في الحال والإستقبال إنّه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله .

الخطبة الثالثة

الخطبة الثالثة

محاضرة الإمام الزنجاني في الجامع الأموي في دمشق وتعليقات الصحف عليها

نقلاً عن جريدة « فتى العرب » الدمشقية العدد « ٨٣١٨ » ١٥ شوال ١٣٥٥ ـ ٢٨ كانون أول ١٩٣٦ .

يوم الوحدة الإسلامية

المسلمون الذين فرقتهم السياسة في قرون يوحد صفوفهم الإمام الزنجاني في ساعة

. . . وكانت المحاضرة الرائعة التي ألقاها الإمام المجاهد الشيخ عبدالكريم الزنجاني مرتجلاً في الجامع الأموي من أفضل المحاضرات الرائعة النافعة التي شهدتها دمشق ؛ وكان للبراهين الفلسفية والمنطقية والإستنتاجات العميقة الغور من القرآن الشريف وللبيان الساحر الذي للإمام الزنجاني أبلغ أثر على الجماهير الغفيرة من عيون دمشق وعلمائها ورجال الحل والعقد فيها ؛ ومع أن المحاضرة دامت زهاء ساعتين فقد كان المستمعون يرجون أن تكون أكثر من ذلك وكان « شباب محمّد » أسبق الشباب العاملين في سبيل الوحدة الإسلامية إلى الإلتفاف حول الإمام الزنجاني والسعي لتحقيق فكرته السامية ؛ فكرة الوحدة الإسلامية « لا التقريب بين المذاهب الإسلامية فحسب كما جاء في الدعوة التي وجهت لإستماع محاضرة الإمام الزنجاني في الجامعة » فقد أعدوا تحت قبة النسر في الجامع الأموي منبراً عالياً للإمام الزنجاني

تـزاحـم الناس والعلماء حـوله بـالمناكب بـين جالس وقـاعد ـ وقـد تجاوز عددهم أربعين ألف نسمة ـ فألقى الإمـام الزنجـاني عليهم درساً بليغـاً دعى فيه لجمع كلمة المسلمين ولأداء أجر الرسالة والوحدة الإسـلامية ، بـأساليب علميـة جذابـة ؛ وإمتد الـدرس نحواً من سـاعتـين خلب بـه الألبـاب وإسـترعى الإعجـاب ؛ وخضـع جميـع المستمعـين لـرسـالتـه السامية ؛ ثمَّ وقف العلامة المجاهد الإستاذ الشيخ بهجت البيـطار وأثنى عـلى الأمام الـزنجاني ثنـاء جميلاً ؛ وقـال إن سوريـا التي لم تعـرف معنى للتفرقة بين المذاهب الإسلامية تبتهـج بإعـلان الوحـدة الإسلاميـة على ضوء إرشاد الإمام الزنجاني وسئل المستمعـين هل يجيبـون إقتراح الإمـام الزنجاني ويؤيدون الوحدة الإسلامية على الكيفية التي يدعوا إليها الإمام الزنجاني ويحرصون عليها ؛ فكان الجـواب من الجميع بـالأبحاث ؛ ثمَّ تزاحم الناس بالمناكب يصـافح العلماء الإمـام الزنجـاني ويشكرونـه على جهـاده الجبار ؛ ومسـاعيه الحسنـة وعمله المبرور ثمَّ يشكـرون الإستـاذ البيطار لأنه عـبر عن رأيهم أحسن تعبير في كلمتـه القيّمة ؛ وقبَّـل الناس من مختلف الطبقات يد الإمام الزنجاني ، مظهرين له الطاعـة وشاكـرين له مساعيه وداعين له بالتـوفيق ؛ وخرج الإمـام الزنجـاني ومعه البيـطار وظبيـان وسائـر العلماء في مظاهـرة دينية رائعـة الى خارج المسجـد حيث هتف شبـاب محمّد لـرسول الـوحـدة الإسـلاميـة وسـار مـوكب الإمـام الزنجاني بين الصفوف المزدحمة وهتـافها الى الـدار التي يقيم فيها يـرافقه عدد كبير من الأساتذة والعلماء والعظماء ، هذه خلاصة ماشهدتـه دمشق في يـوم الجمعة ١٣ شـوال سنة ١٣٥٥ و ٢٤ كـانون الأول سنـة ١٩٣٦ الذي أطلقنا عليه إسم « يوم الـوحدة الإسـلامية » وصفـوة القول ؛ أن مافرقته السياسة في قرون أزاله الإمام الزنجاني في ساعة ختمت « والحمد لله » بإعلان وحدة الأُمة الإسلامية ؛ وجمع شملها وكلمتهـا ؛ وقد كـان

جهاده مبروراً وسعيه مشكوراً ؛ وسلاحه الذي تسلح به ـ وهو الإخلاص في العمل ؛ والدعوة بالحكمة ، والتضحية بالنفس والنفيس لأجل تحقيقه والسعي للوصول إليه بالعلم الصحيح ؛ والعقل الراجح ـ أمضى من الأسلحة التي إستعملتها السياسة في قرون ؛ وظننت أنّها صدعت الصفوف صدعاً لايمكن أن يجبر كسره ؛ ولكن رسول الوحدة الإسلامية الإمام الزنجاني الحكيم وضع الجبر على الكسر ؛ ونحن ننتظر من الإمام الزنجاني أن يواصل مساعيه المشكورة وجهاده الخالد حتى يضم مؤتمر واحد جميع المذاهب والفرق الإسلامية ؛ ويعيد الى الإسلام مجده ؛ وينظم الوحدة الإسلامية تنظيماً صحيحاً وماالمؤتمرات العربية ، والوحدة التي سعينا ونسعى لتحقيقها من إقليمية وقومية إلّا نواة للوحدة الإسلامية الكبرى .

وقد رأى العرب من عطف مسلمي إيران والهند والأفغان على قضيتهم الفلسطينية مايثلج الصدور ويبشر بصون حرمات هذا الجزء من وطنهم من أن تعبث به الصهيونية الشريرة الفاسدة .

وسبق أن قلنا أن سوريا لاتعرف معنى للتفريق بين المذاهب الإسلامية سيما بعد أن آمنت برسالة الإمام الزنجاني الإصلاحية ؛ وقد أهدانا أمس فضيلة الأُستاذ الشيخ محمّد علي ظبيان المسلم المخلص المؤمن برسالة الإمام الزنجاني كراساً ضمنه عقيدة المسلمين في سوريا وهذا نص المادة السادسة منها :

« أعتقد أن المسلمين جميعاً أُمة واحدة يربطها العقيدة الإسلامية وأن الإسلام يأمر بالإحسان الى جميع الناس ؛ وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء الإسلامي بين جميع المسلمين وإزالة الجفاء والإختلاف بين طوائفهم وفرقهم » فأكبرنا إيمان سوريا برسالة الإمام

الـزنجـاني ؛ وإستمـرارهـا عـلى العمـل المتـواصـل لتحقيق الـوحـدة الإسلامية ، وأن يلمس رسول هذه الوحدة والمجاهد من أجلها « الإمام الزنجاني » هذا السعي ؛ ويرتاح إليه ؛ وتجد فكرته السامية تربة صالحة في سوريا فتنموا وتترعرع وتؤتي أكلها بإذن ربّها .

عيد الوحدة الإسلامية

والذي نقترحه على جمعية التمدن الإسـلامي ؛ وعلى مجلتهـا المسماة بأسمها والتي سدت فراغاً كبيراً في عالم الصحافـة عندنـا أن تحتفل بمثـل هذا اليوم في كل عام ؛ وأن يتعاقب على منبر الخطابة فيه الخـطباء ـ عـلى إختلاف مذاهبهم التعبدية ـ حتى إذا مـاتمت الوحـدة في جميع بـلاد العالم الإسـلامي أقر المؤتمـر الإسلامي الـذي يتـولى الأمـر هـذا العيـد يعيـده المسلمون ويدعونه « عيد الوحدة الإسلامية » .

***

نقـلاً عن مجلة « التمدن الإسـلامي » الدمشقيـة : ذو الحجة عـام ١٣٥٥ العدد العاشر : السنة الثانية .

زار دمشق من كبار مجتهدي النجف الأشرف الأُستاذ الإمام الأكـبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، داعياً الى توحيد كلمة المسلمين حاثاً عـلى توثيق عروة أهل السنة والشيعة بصورة خاصة ؛ فلقي أجمـل الترحيب ؛ وألقى مرتجلاً محاضرة قيمة في هذا الموضوع في مدرج الجامعة السورية ؛ فإزدحم المدرج ورواقه بنخبة البلد الصالحة ، ونـظراً لما رآه من الإقبـال ألقى أيضـاً عقب صلاة الجمعـة تحت « قبة النسر » في مسجـد بني أُميـة درسـاً عامـاً يحوم حـول مايـدعـوا إليـه ؛ وإنتهى الـدرس وقـد إستـدر الدموع ، وغير الأفكار والعقـائد وإرتحـل فضيلة الأُستاذ الشيـخ بهجت

البيطار ملبياً دعوة الإمام الزنجاني وداعياً الى الإخاء الإسلامي ؛ ونظراً لما رآه من بالغ الحفاوة والتأييد أجاب دعوة ثالثة ؛ فذهب الى « حي الميدان » فألقى في « جامع الدقاق » ـ أول مسجد بناه المسلمون بعد فتح الشام ـ درساً عقب صلاة الجمعة من يوم ٩ شعبان ١٣٥٥ وخطب بعده في هذه المرة أيضاً فضيلة الشيخ محمّد علي ظبيان ملبياً دعوة الإمام الزنجاني . . إلخ .

* * *

نقلاً عن جريدة « ألف باء » الدمشقية ٢٤ كانون الأول ١٩٣٦ .

شباب محمّد يوجهون دعوة عامة للشعب

لقد عرف الشعب الدمشقي خطورة المهمة التي زار دمشق من أجلها الإمام الجليل الشيخ عبدالكريم الزنجاني ؛ ألا وهي توحيد الطوائف الإسلامية ؛ وإعادة الدين نقياً كما كان على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؛ وقد تشرف بزيارته فريق من شباب محمّد ورجوه أن يتكرم بإلقاء درس عام في الجامع الأُموي عقب صلاة الجمعة في ١٢ شوال ١٣٥٥ و ٢٥ كانون الأول ١٩٣٦ فتفضل بتلبية إلتماسهم ، وتحقيق طلبهم فشباب محمّد يشكرون لفضيلة الإمام الحكيم الزنجاني أريحيته هذه ، ويدعون الشعب الكريم لإستماع حكمه الفياضة ؛ والإرتشاف من مواعظه الشافية .

* * *

أتمّ الزنجاني خطبة الإمام السجاد

قال العلامة الشهير السيد محسن الأمين العاملي مرجع الشيعة في

دمشق في مجمع حاشد بالشيعة :

لم يذكر التاريخ أنّ شيعيّاً إرتقى منبر الجامع الأُموي منذ بنائه في صدر الإسلام الى الآن سوى إمام الشيعة السجاد علي بن الحسين زين العابدين (عليه السّلام) ولكن السياسة الأُموية قطعت خطبة الإمام السجاد (عليه السّلام) ولم يستطع أحد من الشيعة أن يصعد هذا المنبر وأن يتم تلك الخطبة المقطوعة منذ تاريخ قطعها الى الآن ؛ والذي أود أن أُسجله بمداد النور والفخر لزعيم الشيعة الإمام الشيخ عبدالكريم الزنجاني هو أن سماحته هو الشيعي الوحيد الذي إرتقى هذا المنبر في الجامع الأموي خطيباً لأول مرة في تاريخ الشيعة ؛ وفي تاريخ الجامع الأموي وفي تاريخ دمشق ؛ وأتم على ذلك المنبر تلك الخطبة السجادية التي قطعتها السياسة الأُموية على الإمام السجاد (عليه السّلام) في سنة ٦١ هجرية وجاء هذا الإتمام بعد مرور ١٢٩٥ سنة على قطعها .

نص الخطبة الثالثة

وهي الخطبة التي ألقاها الإمام الزنجاني في الجامع الأُموي في دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسر ولاتعسر وإحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ؛ وإجعلني من جندك فإن جندك هم الغالبون ؛ واجعلني من حزبك فإن حزبك هم المفلحون ؛ وإجعلني من أوليائك فإن أوليائك لاخوفٌ عليهم ولاهم يحزنون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما فتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ؛ ودلنا عليـه من الإخلاص في توحيده ؛ ومنَّ علينا بمحمّد (صلّى الله عليـه وآله) خـاتم أنبيائه دون الأمم الماضية والقـرون السالفـة بقدرتـه وحكمته ، ووفقنـا لأداء أجر رسالته ، صلّى الله عليه وآله وصحبه وعترتـه وسلم . قال الله تعالى :

﴿ ولتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير ويأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكـر * وأُولئـك هم المفلحـون * ولاتكـونـوا كـالـذين تفـرقـوا وإختلفوا من بعد ماجاءهم البينات * وأُولئك لهم عذاب عظيم * يـوم تبيض وجوه وتسود وجوه * فأمـا الذين إسـودت وجوههم * أكفـرتم بعـد إيمانكم فـذوقوا العـذاب بماكنتم تكفـرون * وأمـاالـذين إبيضت وجوههم ففي رحمة الله * هم فيها خالدون ﴾ .

« آل عمران »

إخواني : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : ماسأُحـدثكم في هذا اليوم قد يكون بعضه مخالفاً للتقاليد التي تـرسخت لكم ؛ ولكن يمكنكم أن تعتقدون أنّها الحقيقة بلامراء .

إنّ الإسلام دين عام خالد أسست أُصوله عـلى حكم العقل السليم كماقررت فروعه مطابقة لمقتضيات الفطرة والطبيعة ؛ ولقد ثبت في علوم الـطبيعة أنّ المحيط لايمكن أن يؤثـر بتغيير في جـوهـر سلولات الفكـر ؛ فالتكامل لايحدث تغييـراً في العقل نعم يمكن أن يحـدث كمالاً ونضـوجاً فيه فلذلك لم يتغيـر ولن يتغير حكـم من الأحكـام التي إستقل بهـا العقل

مادامت الدنيا فلايمكن الى الأبد تغيير في أُصول الإسلام المقررة طبق العقل السليم سيما بعد إقترانها بالقرآن المعجز الخالد الذي يسائر الإسلام بنفسه لابمجرد ذكر لخبره ؛ فكان لابد في بقاء الإسلام الخالد مصوناً من التغيير ؛ وبقاء تعاليمه محفوظة من التحريف وإستمرار تطبيقها عملياً مطابقاً للحق الواقع ، من مراقبة عمومية شاملة إجتماعية كاملة فلأجل ذلك شرع الإسلام وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المسلمين وجوباً كفائياً يسقط بعد قيام من فيهم الكفاية فأصبحت مجموع الأُمة الإسلامية تراقب كل فرد من المسلمين ؛ وهذا هو الواجب الأهم الذي كنا به خير أُمة أخرجت للناس ؛ وفي « نهج البلاغة » من كلام أمير المؤمنين (عليه السّلام) : « فإنَّ الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين يديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف ؛ والنهي عن المنكر ؛ فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك المناهي » ولكن وجوب هذه المراقبة مشروط بشروط منها : معرفة المعروف شرعاً ومعرفة المنكر ؛ ومنها : الأمن من الضرر على الآمر والناهي أو غيرهما من المسلمين بمالا يتحمل عادة ؛ وغيرهما من أُمور إستقصاها الفقه الإسلامي وهي شروط يصير بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة للخير الذي أراده الله تعالى : ﴿ وإنّه لحب الخير لشديد ﴾ وبماأن الأوامر والنواهي الشرعية واردة على نهج القضايا الحقيقية فتتعلق على الموضوعات النفس الأمرية لاعلى الموضوعات الخارجية ولاعلى الموضوعات الذهنية ، ومن الواضح أن تقييد المتعلق يستلزم التقييد في موضوع الحكم الشرعي ؛ وتقييد الموضوع يوجب تحديداً في الحكم يخرجه عن الإطلاق حسبما فصل في علم أُصول الفقه ، فوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حكماً عاماً ولامطلقاً « لأنّهما لايجبان إلا على مستجمع الشروط الشرعية وحينما يكونان وسيلة للخير » ولهذا

أوجبهما الله في الآية الشريفة على أمة من المسلمين وهي العارفة بالشروط المقررة المار ذكرها ؛ وأقحم فيها جملة ﴿ يدعون الى الخير ﴾ فلو كان غرضه تعالى الإطلاق لقال : فلتكن منكم أُمة يأمرون بالمعروف وحينئذ إنتقى التناسب بين الآيتين المتواليتين ؛ ولكنه تعالى قال : **﴿ فلتكن منكم أُمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ﴾** . . إلخ فظهر من ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكونان وسيلة للخير وقد يتخذان أداة للشر و « الأول » : واجب ؛ وهو ماكان مستجمعاً للشروط المقررة في الإسلام والمؤدية الى الخير المطلوب للشارع ويوجب الإتحاد والإتفاق وهو المأمورية في الآية الأُولى ؛ و « الثاني » حرام وهو الذي تنقصه الشروط المشروعة فيؤدي الى الشر والتفرقة والإختلاف بين المسلمين المذكور في الآية الثانية ومن هذا ظهر وجه التناسب بين الآيتين كما ظهر سر إقتحام جملة ﴿ يدعون الى الخير ﴾وتبين أيضاً سبب تخصيص الحكم والوجوب العيني بأُمة من المسلمين مع ثبوت الوجوب الكفائي على جميعهم وثبت أيضاً وجوب منع غير العارف بالشروط عن التصدي للآمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وفي الحديث الصحيح عن عبدالله بن المبارك قال : أخبرنا الأحلج عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر : ياأيّها الناس خذوا على أيدي سفهائكم ؛ فإني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : « أنّ قوماً ركبوا البحر في سفينة وإقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ؛ فأخذ رجل منهم الفأس فنقر مكانه ؛ فقالوا : ماتصنع ؟ فقال : مكاني أصنع به ماشئت ؛ فإن أخذوا على يديه نجى ونجوا ؛ وإنّ تركوه غرقوا وغرق » .

أيّها الإخوان ، نحن في هذا العصر أحوج مانكون إلى أن يعرف بعضنا آراء بعض ، وعلى ضوء المعرفة يقوى الإتصال ؛ ويدوم الإخاء

وماكان شيء يحزنني ويهيّج بلابل صدري سوى ماأُشاهـد من إتخاذ الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة لإيجاد الخلاف بين المسلمين فنرى فرقاً متعـددة متناحـرة في الإسلام ؛ وكـل منها ينتسب إليـه ويستدل بـه عـلى معتقـده ؛ وكل منهـا ينطق بـالشهـادتـين ويـدين بـالشعـائـر والأركـان الإسـلامية من صـلاة وصيام وزكـاة وحج ومـايتبع ذلـك من معامـلات وحـدود وآداب ثمّ تراهم بعـد ذلك يتبـارون في النضال ؛ ويحـاول كـل فريق أن يفني الفريق الآخـر ؛ فإذا لم يستـطع السبيل الى ذلـك عمد الى التفسيق والتجـريح ثمّ الى التشهـير والتكفـير ، بـل رأينـا أن المسلمـين يلقـون من إخـوانهم المسلمـين أضعـاف مـايلقـون من أعـدائهم الأذى والإضـطهاد ، بينـما نـرى الـطوائف الأُخـرى وإن تبـاينت في كثـير من أُصـولها ؛ وتشعبت في أكـثر فروعهـا ، لايمنعها ذلـك من ضم صفوفهـا وإتحاد كلمتها في حين أن كثيراً منهـا يدين بعقـائد التفـريق والتمييز بـين الطبقات كما هو معروف في الديانة الهندوكية وبـرغم ذلك فهم يتبـادلون كل معونة في إدراك خيرات الحياة والإستمتاع بـطيبات الـوجود من بـذل وتضحية وإيثار حتى أدركـوا من أسباب النجـاح مبلغاً يحسـدون عليه في التقدم أدبياً ومادياً وصناعياً وتجارياً وبالجملة علماً وعملاً بينما نرى المعارك تفتك بالأُلـوف من المسلمين في بعض البـلاد تلبية لـدعوة التفـريق التي ينشرها الجهال بالحقائق وبأخطار العواقب بإسم النهي عن المنكر أو الأمر بالمعروف وبالأحرى ماتخيله منكراً وهو من المعروف أو توهمه معروفاً وهو من المنكر في الواقع ، رغم أن الإسلام دين التسامح ومنـذ نشأ الإسـلام الى اليوم عرف تسامحه لامع الفروع من شجرته والمذاهب من ملته بل مع الخارجين عنه والتابعين لغيره من الأديـان ، الاسلام الـذي كان من أول يوم يصل أسباب المحبة والإخاء بين البشر لايمكن أن يأذن للمسلمين أن يحفر بعضهم خنادق لبعض لأن هـذا أحب فلانـاً وذاك مال إلى فـلان ؛

وإذا كان الإسلام هو واضع الحجر الأول في بناء حرية الفكـر فجديـر به في هذا العصر أن يكون أول من يرفع علم هذه الحرية وقد إتسـع صدره لألوف من الآراء نشرها أصحـابها في مختلف ممـالك العـالم الإسلامي ولم يكن لها أثر سوى مقارعة الحجة بالحجة ومناهضة الدليل بالدليل فجدير بالمسلمين أن يحافظوا عـلى هذا الـتراث المجيد تـراث التساهـل والحريـة والعمل على جمع الكلمة بـدلاً من تمزيقهـا ؛ ولكن المسلمين إلتـووا عن هذه الحجة فوقعت بينهم الخصومات الأليمة لأسباب أقل مـاتوصف بـه أنّها لاتثبت للنقد والتحليل ؛ والكل يدين بـالإسلام ويتـوجه بقلبـه الى الله وبوجهه الى القبلة ويتمسك بالقرآن الكريم وبالسنة النبـوية (صـلّى الله عليه وآله) هذه التي سموها فوارق ليست ترجع في الحقيقة إلّا لأحد أمـرين ؛ أمّا لعـوامل سيـاسية قـديمـة تـأثـرت بهـا الأجيـال وتـوارثهـا الأعقاب ، وإماالآراء فقهية وهي قائمة حتى اليوم وليس فيها مايدعوا إلى إثارة حرب ؛ وأقوى ظاهرة مانراه بين الشيعة والسنة فقد تباعـدوا وطال عليهم الأمد في هجر بعضهم لبعض ، وتوالت على ذلـك عصور ليست بالقليلة ؛ فكان في الأمر متسع اللأراجيف المختلفة والتمويهات الكـاذبة والدعايات الفارغة وأخذ كل واحد منهم إلى أخيه أقوالاً أبعد في التصور مماكان يشاع في الأساطير أليس من العجب أن يظن إنسان بإنسـان أن له ذنبـاً ؛ أو أنّـه نجس العـين ؛ أو أن جـبرئيـل أخـطأ الـطريق في تسليم الـرسالـة ؛ والقرآن الكـريم في كل بلد إسـلامي شيعي أو سني يقول : ﴿ نزل به الروح الأمين عـلى قلبك لتكـون من المنذرين ﴾ ثمَّ يقـول : ﴿ محمّد رسول الله ﴾ ولكن فقد التواصل وإنعدام التقارب من شأنـه أن يؤدي الى هذا العبث المنكر ؛ وهذا نص دعاء إمام الشيعة زين العابدين السجاد علي بن الحسـين (عليه السّـلام) لأهل الثغـور من المسلمين في العهد الأُموي مع العلم بأنّـه كان مـوتوراً من الأُمـويين الـذين قتلوا أباه

الحسين وإخوته وأعمامه وإسرته وسَبُوا نسائهم ، « اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد (صلّى الله عليه وآله) وحصن ثغور المسلمين بعـزتك ؛ وأيـد حماتها بقوتك ، وأسبغ عطاياهم من جدتك ، اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد ؛ وكثر عدتهم ؛ واشحذ أسلحتهم ؛ واحـرس حوزتهم ؛ وامنـع حـومتهم ؛ والف جمعهم ؛ ودبّر أمـرهم ، وواتر بـين ميرهم ؛ وتـوحد بكفاية مؤنهم ؛ واعضـدهم بالنصر ؛ وأعنهم بـالصبر ؛ وألـطف لهم في المكـر ، اللهم صلِّ عـلى محمّد وآلـه ؛ وعـرفهم مـايجهلون ؛ وبصرهم مالايبصرون ، اللهم صلِّ على محمّد وآلـه ؛ وأنسهم عند لقـائهم العدو ذكر دنياهم الخداعة الغرور ؛ وأمح عن قلوبهم خطرات المال الفتـون ؛ وإجعل الجنة نصب أعينهم ؛ ولـوح منها لأبصـارهم ماأعـددت فيها من مسـاكن الخلد ؛ ومنازل الكـرامة ؛ والحـور الحسان ؛ والأنهار المـطردة بأنواع الأشربـة ؛ والأشجار المتـدلية بصنـوف الثمر ، حتى لايهم أحـد منهم بـالإدبار ، ولايحـدث نفسه عن قـرنه بفـرار ، اللهم أفلل بـذلـك عدوهم ؛ وأقلم عنهم أظفارهم ؛ وفرق بينهم وبين أسلحتهم ؛ واخلع وثـائق أفئدتهم ؛ وبـاعـد بينهم وبـين أزودتهم ؛ وحـيرهم في سبلهم ؛ وضللهم في وجههم ؛ واقطع عنهم المدد ؛ وأنقص منهم العدد ؛ وإملأ أفئـدتهم الـرعب واقبض أيـديهم عن البسط ؛ واخـزم السنتهم عن النـطق ؛ وشرد بهم من خلفهم ؛ ونكـل بهم من ورائهـم ؛ وإقـطع بخزيهم أطماع من بعـدهم اللهم عقّم أرحام نسـائهم ؛ ويبس أصلاب رجـالهم ؛ واقطع نسـل دوابهم وأنعـامهم ؛ ولاتـأذن لسـمائهم في قـطر ولالأرضهم في نبات ، اللهم وقوِ بذلك محال أهل الإسلام ؛ وحصن به ديـارهم ، وثمر بـه أمـوالهم وفـرغهم عن محـاربتهم لعبـادتـك ؛ وعن منابذتهم للخلوة بك حتى لايعبد في بقاع الأرض غيرك ، ولاتعفـر لأحد منهم جبهة دونك ، اللهم أغز بكل ناحية من المسلمين على من بـإزائهم

من المشركين ؛ وأمددهم بملائكة من عندك مردفين ، حتى يكشفوهم الى منقطع التراب قتلاً في أرضك أو أسراً أو يقرُّوا بأنك أنت الله الذي لا إله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك ، اللهم واعمم بذلك أعدائك في أقطار البلاد من الهند والروم والترك والخزر والحبش والنوبة والزنج والصقالبة والديالمة وساير أُمم الشرك التي تخفي أسمائهم وصفاتهم وقد أحصيتهم بمعرفتك ؛ وأشرفت عليهم بقدرتك ، اللهم إشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين ؛ وخذهم بالنقص عن تنقصهم ؛ وثبطهم بالفرقة عن الإحتشاد عليهم ، اللهم أخل قلوبهم عن الأمنة ؛ وأبدانهم من القوة ؛ وأذهل قلوبهم عن الإحتيال ؛ وأوهن أركانهم عن منازلة الرجال ؛ وجبنهم عن مقارعة الأبطال ؛ وإبعث عليهم جنداً من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر تقطع به دابرهم ؛ وتحصد به شوكتهم وتفرق به عددهم ، اللهم وامزج مياههم بالوباء ؛ وأطعمتهم بالأدواء وارم بلادهم بالخسوف ، والح عليها بالقذوف ؛ وافرعها بالمحول ؛ واجعل ميرهم في أحص أرضك وأبعدها عنهم ، وامنع حصونها منهم أصبهم بالجوع المقيم والسقم الأليم ، اللهم وأيّما غاز غزاهم من أهل ملتك أو مجاهد جاهدهم من اتباع سنتك ليكون دينك الأعلى وحزبك الأقوى وحظك الأوفى فلقه اليسر وهيء له الأمر ؛ وتوله بالنجاح وتخير له الأصحاب واستقوله الظهر ؛ واسبغ عليه في النفقة ؛ ومتعه بالنشاط ؛ واطف عنه حرارة الشوق ؛ وأجره من غم الوحشة ؛ وأنسه ذكر الأهل والولد ؛ وأثر له حسن النية ؛ وتوله بالعافية ، وأصحبه السلامة ؛ واعفه من الجبن ؛ وألهمه الجرأة وارزقه الشدة ؛ وأيده بالنصرة ، وعلمه السير والسنن ؛ وسدده في الحكم ، واعزل عنه الرياء ؛ وخلصه من السمعة ، واجعل فكره وذكره وظعنه وإقامته فيك ولك ؛ فإذا صاف عدوك وعدوه فقللهم في عينه ، وصغر

شأنهم في قلبه ؛ وأدل له منهم ولاتدلهم منـه ؛ فإن ختمت لـه بالسعـادة وقضيت لـه بالشهـادة فبعد أن يجتـاح عدوك بـالقتل وبعـد أن يجهد بهم الأسر وبعد أن تأمن أطراف المسلمين ؛ وبعد أن يولي عدوك مدبـرين ، اللهم وأيّمـا مسلم خلف غازيـاً أو مـرابـطاً في داره أو تعهـد خـالفيـه في غيبته ؛ أو أعانه بطائفة من ماله ؛ أو أمده بعتاد أو شحذه على جهاد ؛ أو أتبعه في وجهه دعوة ؛ أو دعى له من وراءه حرمة فأجر له مثل أجـره وزناً بوزن ومثلاً بمثل ؛ وعوضه من فعله عوضاً حاضراً يتعجل به نفع مـاقدم وسرور مـــاأتى إلى أن ينتهي بـه الــوقت إلى مـاأجـــريت لـه من فضلك وأعددت له من كرامتك ، اللهم وأيّمـا مسلم أهمه أمـر الإسلام وأحـزنه تحزب أهل الشرك عليهم فنوى غزواً أو هم بجهاد ؛ فقعد بـه ضعف أو أبطأت به فاقة أو أخره عنه حادث أو عرض لـه دون إرادته مـانع فـأكتب إسمـه في العابـدين ؛ وأوجب له ثـواب المجاهـدين ؛ واجعله في نـظام الشهداء والصالحين ، اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد صلاة عـالية عـلى الصلوات مشرفـة فـوق التحيـات صـلاة لاينتهي أمـدهـا ؛ ولاينقـطع عددها ؛ كأتم مامضى من صلواتـك على أحـد من أوليائـك إنك المنـان الحميد المبدىء المعيد الفعال لما يريد » .

أنـظروا رحمكم الله إلى هذا الـدعـاء الـذي دعى بـه إمـام الشيعـة للمسلمين في أواسط القرن الأول الهجري وأكثريتهم الساحقة كـانت من السنيين لامن شيعته ، ودققوا النظر العميق في مضـامينه العـالية ؛ ومـا تضمنه من أُصول فن الحـرب وأسباب الإنتصـار ؛ وموجبـات المعنويـة للجيش الإسلامي الذي إبتهل الإمام الى الله تعالى جلت قدرته أن يحقق مـا عقده المسلمـون عليه من الفتـح وكبـار الأمـال من مختلف الـطوائف الاسـلامية ؛ وهـل يعني هذا سـوى الوحـدة الاسـلاميـة ؛ والتضحيـة بـالنفس والنفيس في سبيل كـافـة المسلمـين من الشيعـة والسنـة ، حتى

تعلموا أن دعوتنا الى الوحدة الاسلامية وإهدار الفروق والإختلافات ليست حدثاً جديداً إقترحناه في هذا الوقت لأغراض خاصة وفرضناها على الشيعة أو على المسلمين فرضاً إعتباطياً بل هذا من سيرة الشيعة الإمامية التي ساهمت في تشييد أركان التوحيد وتثبيت كيان الإسلام منذ الصدر الأول حتى الآن ، تبعاً لإمامهم السَّجاد زين العابدين (عليه السّلام) وسائر أئمتهم منذ القرن الأول الهجري بل منذ صدر الإسلام بل من عهد النبي (صلّى الله عليه وآله) الذي غرس بيده بذرة التشيع في حقل الإسلام وإنّما رجعت بكم الى الوراء ثلاثة عشرة قرناً لإعتقادي بأنّه لاسبيل الى تنظيم المستقبل سوى تشخيص الحاضر ؛ ولايمكن تشخيص الحاضر بدون معرفة الماضي ؛ كماأن معرفة الطبيب ماضي مريضه خير وسائل التشخيص والعلاج .

إخواني : الشيعة الإمامية أعرف المسلمين بأسرار التشريع الإسلامي وبطون كتاب الله المعجز الخالد تعلموها ممن لم يشرك بالله طرفة عين ؛ وكان أول من آمن من الرجال برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يتجاوز عمره ثلاثة عشر سنة ؛ وهو الكاتب الأول للوحي الإلهي ؛ وإعتبره القرآن نفس النبي (صلّى الله عليه وآله) في آية المباهلة وعلمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علومه فقال (صلّى الله عليه وآله) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » . وقال (صلّى الله عليه وآله) : « علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي » . وقال (صلّى الله عليه وآله) : « من آذى علياً فقد آذاني » . وقال (صلّى الله عليه وآله) : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » . وقال (صلّى الله عليه وآله) : لسعد بن مالك الشهيد وقد شكى علياً الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « فو الله لقد علمت أنّه جيش في سبيل الله » . ولايختلف الرواة والمحدثون في أن النبي (صلّى الله عليه وآله) طالما ردد هذه

العبارة وهو ينظر إلى علي « هـذا أخي » . وقال عمـر بن الخطاب « كنـا ننظر الى علي في أيام النبي (صلّى الله عليه وآله) كما ننظر الى النجم » .
وقـد أشار عـلي (عليه السّـلام) الى تعهد رسـول الله إياه بخـطبته التي تسمى بـالقاصعـة وفيها يقـول : « وقد علمتم مـوضعي من رسول الله (صـلّى الله عليه وآلـه وسلم) بالقـرابة القـريبة والمنـزلـة الخصيصـة ؛ وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ؛ ويمسني جسده ؛ ويشمّني عرفه ؛ وكان يمضغ الشيء ثمَّ يلقمنيه وماوجد لي كذبة في قول ؛ ولاخطلة في فعل ؛ ولقد قرن الله به (صلّى الله عليه وآلـه) ، من لـدن أن كان فـطيـماً أعـظم ملك من مـلائكتـه ، يسلك بـه طـريق المكارم ؛ ومحاسن أخـلاق العالم ، ليله ونهاره ؛ ولقـد كنت أتبعه إتبـاع الفصيـل أثر أمـه ، يرفـع لي في كـل يـوم من أخـلاقـه علماً ؛ ويـأمـرني بالإقتداء به ؛ ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ؛ فأراه ولايراه غيري ؛ ولم يجمع بيت واحد يـومئذ في الإسـلام غير رسـول الله (صلّى الله عليـه وآله) ؛ وخديجة ؛ وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ؛ وأشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الـوحي عليه ، (صـلّى الله عليه وآله وسلم) فقلت : يارسول الله ، ماهذه الـرّنة ؟ فقـال : « هذا الشيطان أيس من عبادته إنّك تسمع ماأسمع ؛ وترى مـاأرى ، إلاّ أنّك لست بنبي ؛ ولكنـك وزيـر وإنّـك لعـلى خـير ، الى أن قـال (عليـه السّـلام) : وإني لمن قوم لاتـأخذهم في الله لـومة لائم ، سيـماهم سيـما الصـديقـين ؛ وكـلامهم كـلام الأبـرار ، عـمار الليـل ومنـار النهـار ، متمسكون بحبل القرآن ، يحيون سنن الله وسنن رسوله ، لايستكـبرون ولايعلون ولايغلون ، ولايفسدون ، قلوبهم في الجنان ؛ وأجسـادهم في العمل » . فلايوجد لدى الشيعة مشكلة في أحكـام الإسلام وقضـاياهـا المتنوعة إلاّ وإنهم يعرفون حلها وتعليلها .

ومن أمثلة ذلك أن الله تعالى أمر رسوله بالمشورة حيث قال تعالى : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ وهذا لايلائم اللوم الذي نزل به القرآن لقبوله (صلّى الله عليه وآله) مشورة أصحابه في الأسرى ؛ وكذلك لايلائم قبوله المشورة في وقعة أحد التي من بعدها نزلت آية المشورة ، عدم قبوله مشورتهم في الحديبية وقوله (صلّى الله عليه وآله) بالغضب « أنا رسول الله » ؛ ولكن الشيعة على بينة من الأمر ويعلمون أن في صدر الآية دلالة على المقصود إذ قال الله تعالى : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم وإستغفر لهم وشاورهم في الأمر** ﴾ أي تأليفاً لقلوبهم وللمستشار شروط يكون بإستجماعها جديراً بالمشورة وقبول رأيه كما في أُحد ؛ وحينما لم تتوفر تلك الشروط لايقبل رأي المستشار كما وقع في الحديبية ؛ فهذه المشورة قررت أخلاقياً في المصاديق لافي الكبريات الكلية ، نظير أحل لكم الطيبات ؛ ولكل فرد حرية في إختيار مايرغب فيه من الطيبات ؛ وفي تفاسيرنا للقرآن الكريم أن الإنسان أكرم الكائنات على الله تعالى خلقه في أحسن تقويم وحلاه بالعقل السليم فقال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ فأثبت التكريم الإلهي لنوع الإنسان ؛ وبهذا التكريم إمتاز الإنسان عن سائر الموجودات وصار أشرفها وأختص بالقدرة على إستخدام مافي الوجود وتسخير المادة وقوى الطبيعة ، ولكن الإنسان مع هذه المنح كلها ضعيف الجسد ، تؤلمه النسمات ؛ واهن الجلد تستفزه الخطرات ، شديد الهلع تستطيره الهواجس قال الله تعالى : ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾ وقال أمير المؤمنين : « ماأضعف بني آدم ، تؤلمه البقة ؛ وتنتنه العرقة ؛ وتقتله الشرقة » وهذا الضعف لاينافي تكريمه ، ولاتناقض بين الآيتين كما زعم بعض الجاهلين ، بل هذا الضعف منشأ كرامته ومنبع سعادته ، لأن الضعف يولد الحاجة ؛ والحاجة تفتق وجه الحيلة فيستعمل عقله

ومواهبه وغرائزه وأفكاره ، في الإختراع والإكتشاف ويتأكد بهذه الآية الكريمة ماقرره علم الإجتماع من أن القوة البدنية تؤخر التطور الإجتماعي ؛ وضعفها يعجله لأن الفرد الضعيف يضطر الى الإستعانة بالجماعة ؛ والى الدهاء والحيلة ؛ وهما من أدوات الإجتماعية كما يتأيد ماقرر في علم الإقتصاد من أن الحاجة هي منشأ الفعالية البشرية ، والباعث الأصلي للحركة الإقتصادية فهي إذاً المحور الوحيد الذي تدور عليه المعاملات الكونية لأن الإنسان المتأثر بعامل الحاجة يشعر طبعاً بوجوب العمل على تهيئة الأساليب التي تكفل له وفاء حاجاته ؛ فالحاجة منشأ أقوى شعور دافع للإنسان الى الكدح والمثابرة على العمل وتغلب ميله الفطري الى الراحة والسكون ، ولذلك كانت الحاجة هي العنصر الأصلي في الفعالية الإقتصادية ؛ والباعث الأقوى للرقي الإجتماعي فهي أم الإختراع ؛ ولولاها ليبقى الإنسان هملاً خاملاً لافرق بينه وبين العجماوات والحاجة وليدة الضعف فإذاً الضعف منشأ كرامة الإنسان ؛ والسبب لإهتمام علماء الشيعة بتفسير القرآن الكريم أنهم وكافة الشيعة يعلمون أن القرآن الكريم كتاب الله أي خطابه لعباده ورسالته الى الناس كافة ومن حق الرسالة أن تقرأ بدقة وعناية ؛ ومن واجب الخطاب أن يفهم ليعمل بمافيه ، لأن القرآن كتاب الله الذي أنزله على رسوله الأمين ليبلغه للناس ؛ ويبينه لهم وقد جمع فيه كل مايكفل سعادتهم في معاشهم ومعادهم ولم يغادر شيئاً ممايضمن لهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة إلّا بيّنه لهم كل البيان ؛ فهو نور يهدي به الله من إتبع رضوانه سبل السلام ، ﴿ ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ وقد يسره للذكر ليدبروا آياته وليتذكر أُولوا الألباب فلا يجوز للمسلمين أن ينصرفوا عن فهم القرآن المبين وتدبره ؛ وأن يكتفوا بإستماعه إذا قرأه قارىء حسن الصوت ليطربوا بألحانه وأنغامه

لاالينتفعوا بفرقانه وتبيانه ويقفوا على معـانيه وأسراره ومـراميه ومـافيه من هدى ونور وأدب سام ؛ وخلق كريم ؛ ودعوة الى الحق والخير والفضيلة وقصص عذب فيها العبرة والموعظة الحسنة ؛ ومادعاهم الله الى النظر فيه من آيـاته الكـونية التي بثهـا في الآفـاق وأقـامهـا في ملكـوت السـماوات والأرض ليزدادوا تبصرة وذكرى ؛ وإيماناً مع إيمانهم أجل إن الإقبال على تلاوة القرآن والإستماع إليه والتدبر فيه يزيد الإيمان ويثبت دعـائم اليقين ويجلوا البصيرة ؛ ويقف الإنسان في مقام الإيقان ؛ فيعبد الله كأنه يراه ، وإذا بلغ الإنسان هذه الـدرجة طهـرت نفسه من وضر الآثـام ، وإمتلاء قلبه إيماناً وتسليماً ؛ فـإزداد إقبالاً عـلى الله وحرصـاً على مـرضاتـه وبعداً عـمايسخـطه وإذا يكف عن النـاس يـده ولسـانـه ؛ ولا يـظلمهم بقـول ولافعـل ؛ ويمنع عنهم أذاه ؛ وإذاً يصبـح المسلمون إخـواناً متـوادين ، متحابين ، مـتراحمين ، يفـرح بعضهم لفرح بعض ؛ ويـألم بعضهم لألم بعض ؛ وإذاً يستتب الأمن وتسود الطمأنينه ؛ ويستقر النظام ؛ ويعرف كل مالـه وماعليـه ؛ ويؤدي واجبه ؛ ويقف عنـد الحد الـذي رسمه لـه الشـارع الحكيم ؛ فيستريـح الحاكم ؛ وتقـر عيون الحكـومـين ؛ ويجب التنبيـه على أن الشيعـة ترضيهـا أن تحتكم الأُمم الإسلاميـة في مواضـع الخـلاف إلى الله ورسولـه (صلّى الله عليـه وآله) لقـوله تعـالى : ﴿ **فإن تنـازعتم في شيء فردوه الى الله والـرسـول إن كنتم تؤمنـون بـالله واليـوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ وقال تعـالى : ﴿ **وماختلفتم فيـه من شيء فحكمه الى الله** ﴾وغير خفي أن الرد الى الله تعالى هو الرد الى كتـابه المبين ؛ وأن الرد الى الـرسول هـو الرد الى السنـة المطهـرة فأنهما مصـادر التشريع الإسلامي وإليهما يرجـع سائـر الأدلة ، وكـلاهما لايشق علينـا تنـاولهما ولايعيينـا الرجـوع إليهما ؛ ولايعجـزنا الإحتجـاج ببيـانهما ومن المعلوم أنّه لايمكن الإستغناء عن السنة والإكتفاء بـالكتاب وحـده لقولـه

تعـالى : ﴿ **هو الـذي أنزل عليـك الكتـاب منـه آيـات محكـمات هنّ أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغـاء الفتنة وإبتغـاء تأويله ومـايعلم بأويله إلاّ الله * والـراسخـون في العلم** . . ﴾ إلـخ ونسأل الله تعـالى أن يلهمنـا الإنصـاف ؛ وأن يجنبنـا الإعتسـاف ؛ وأن يعصمنا من أن نكـون كهؤلاء الـذين قـال الله تعـالى فيهم : ﴿ **وإذا دعــوا الى الله ورسـولـه ليحكم بينهم إذا فــريق منهم معـرضـون * وإن يكن لهم الحق يـأتـوا إليــه مـذعنـين * أفي قلوبهم مرض * أم إرتابوا * أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أُولئـك هم الظالمون** ﴾ ونبتهل الى الله تعالى أن يـوفقنا بـرحمته لنكـون من الذين قال فيهم : ﴿ **إنّما كـان قول المؤمنـين إذا إدّعوا الى الله ورسـوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ؛ وأُولئك هم المفلحون** ﴾ .

أيّهـا المسلمـون ، دعـامـة الإسـلام كلمـة التـوحيـد ؛ وهي علم الإسلام وشعاره ولا يحسب الإنسان من أهل التـوحيد عنـد الله والناس إلاّ إذا نطق لسانه بكلمة « لا إله إلاّ الله » وأمن بها قلبه ؛ وكلمة التوحيد تدفع بالمسلمين الى تـوحيد الكلمـة ولهذا قلنـا سابقـاً دعامـة الإسلام ، كلمة التوحيد ؛ وتوحيد الكلمة ؛ ومعنى كلمة أشهد أن لا إله إلاّ الله ، « أشهد أن لا معبود بحق إلاّ الله » وهـذا التوحيـد الذي يشهـد به جميـع طوائف المسلمين يقال له في الإصطلاح « التوحيـد الذاتي » وأمـا طائفـة الشيعـة الإماميـة من المسلمين فهي معتقـدة بهذا التـوحيد في ذاتـه تعالى الذي هو مفـاد « لا إله إلاّ الله » ؛ ومعتقـدة أيضاً بـالتوحيـد في صفاتـه تعالى ؛ وهذا مفاد « لا هو إلاّ هو » ومعتقدة بالتوحيـد في أفعالـه تعالى ؛ وهو مفاد « لا حول ولا قوة إلاّ بالله » ومعتقدة أيضاً بالتـوحيد في آثـاره ؛ وهو مفاد « لا مؤثر في الوجود إلاّ الله » فالشيعي يقـول « أشهد أن لا إلـه إلاّ الله » في ذاته وفي صفاته وفي أفعالـه وفي آثاره ويعتقـد إعتقاداً جـازماً

لاتشوبه شائبة شك ؛ إنّه لاخالق إلّا الله ؛ ولا رازق إلّا الله ؛ ولا مدبّراً للأمر إلّا الله ؛ ولامتصرفاً في ملكوت السموات والأرض إلّا الله ، ولامستحقاً للعبادة إلّا الله ؛ وأن الأمر كله لله ؛ وأن الفضل بيد الله ؛ وهذا هو التوحيد الخالص ، بل أعلى درجات التوحيد نعم إذا أمر الله بتعظيم شخص كما قال تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة إسجدوا لآدم** ﴾ فهذا التعظيم وهذا السجود لآدم بسبب أمر الله به عبادة لله تعالى لا لآدم ؛ وإذا أمر بتعظيم الكعبة والطواف حول البيت فالتعظيم والعبادة لله لا للأحجار ؛ وإذا أمر بتعظيم حرم رسول الله وروضته المقدسة وروضات آله بقوله تعالى : ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه** ﴾ فهذا تعظيم لله ، لا للروضة ؛ وإذ ورد في الحديث الصحيح المروي عن طريق الفريقين أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » فإن عمل أحد المسلمين بالإحتياط وإمتنع عن السجود على السجاجيد لعدم صدق الأرض عليها ؛ وأخذ قطعة من الأرض ووضعها على السجادة وسجد عليها لأنّها من جملة مايصدق عليه إسم الأرض إمتثالاً لأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فهو مسلم محتاط في دينه ومطيع لله ورسوله ، بسجوده على تلك القطعة من الأرض وليس ساجداً للحجر والأرض ، حتى يكون مشركاً ؛ والركن الثاني ، للإسلام كلمة « أشهد أن محمّداً رسول الله » ويقصد بها الشيعي أنّه يعتقد مخلصاً من كل قلبه أن محمّداً (صلّى الله عليه وآله) هو رسول الله الذي أرسله الى الناس كافة ليبلغهم رسالة ربّهم ؛ فبلّغ عليه الصلاة والسلام رسالة ربّه ؛ ولم يكتم منها حرفاً ؛ ولم يدخر وسعاً في هداية أُمته الى سبيل الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة ؛ ولم يترك شيئاً يقرب الى الجنة ويبعد عن النار إلّا أمر به ؛ ولم يدع شيئاً يقرب الى النار ويبعد عن الجنة إلّا نهى عنه ؛ فاستحق

بذلك أجر الرسالة المقرر بقوله تعالى : ﴿ **قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى** ﴾ ولايكمل إسلام المرء إلاّ بأدائه أجر الرسالة ؛ ومن لوازم الإيمان برسالته (صلّى الله عليه وآله) الإعتقاد بأن السعادة كل السعادة في طاعته ؛ وأن الشقاء كل الشقاء في مخالفته ، من أطاعه فقد أطاع الله ؛ ومن عصاه فقد عصى الله ؛ وأنه لاينطق عن الهوى ، إن هو إلاّ وحي يوحى ؛ فلا يأمر إلاّ بما أمر الله به ؛ ولاينهى إلاّ عما نهى الله عنه ؛ ويجب أن لايقدم على قوله (صلّى الله عليه وآله) قول أحد مهما ترسخ قدمه في العلم ؛ ويعلى كعبه في التقوى ؛ ويلزم أن يكون أحب الى كل مسلم من ولده ووالده والناس أجمعين ونفسه التي بين جنبيه والاّ لم يكن مؤمناً .

أيّها العلماء الزملاء والفضلاء ، سمعت في بلدكم قائلاً يقول :

« إن كان الحق يثير عليك العامة فإكتمه » وقال الله تعالى : ﴿ **أنَّ الذين يكتمون مأأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب أُولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وبينوا * فأُولئك أتوب عليهم * وأنا التواب الرحيم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنّ الذين يكتمون ماأنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أُولئك مايأكلون في بطونهم إلاّ النار ولايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم** ﴾ وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلاّ فعليه لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين » أخبروني : متى يتعلم العامة أن كتمنا الحق عنهم وإحتجبناه دونهم وأخفيناه عليهم ومأأدري أأنتم قادة العامة ؛ أم العامة قادتكم أأنتم مرشدوا العامة أم العامة مرشدوكم ؛ أأنتم مرجع العامة أم العامة مرجعكم ؛ ولو أنكم تعاونتم على إعلاء

كلمة الحق ؛ وكنتم يداً واحدة ورأياً واحداً لم تجد العامة بـداً من النزول عـلى حكمكم ؛ والإهتـداء بهـديكم ؛ ولكنكـم تخـاذلتـم وإرتبتـم وإختلفتم ؛ وغفلتم عن وصيـة ربكم ﴿ **أن أقيموا الـدين ولاتتفـرقـوا « فيـه »** ﴾ فسلط عليكم من يخيفكم ، هل آثـر رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآله وسلم) ، رضـا العامـة فلم يصدع بـالحق الذي أمـر الله أن يصدع به ؟ وهـل حرص عـلى رضا النـاس فكتم ماأمـره الله أن يبلغه ؟ وماذا عمل بقـول الله تعالى : ﴿ **يـاأيّها الـرسول بلغ مـاأُنزل إليـك من ربّك وإن لم تفعل فـما بلغت رسالتـه والله يعصمك من النـاس** ﴾ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ؛ وهـل كان النـاس الذين بعث فيهم رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) إلاّ عامة أُميين بشهـادة القرآن الكـريم ، قال الله تعـالى : ﴿ **هو الـذي بعث في الأُميـين رسـولاً منهم يتلوا عليهم أيـاتـه ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمـة وإن كانـوا من قبـل لفي ضـلال مبـين** ﴾ . فلو أنّـه (صـلّى الله عليـه وآلـه) خـاف ثـورتهم أو رهب جانبهم ؛ أو أشفق من تنكرهم وإعراضهم عنه ، للبث الحق مكتوماً إلى يوم يبعثون أم تريدون أن يظل الحق خفياً على الناس جميعاً إلاّ فريقـاً من العلماء كـما كانـوا يصنعون الكهنـة القدمـاء يوم كـانوا يعـرفـون الحق ؛ ولكنهم كانوا يخفونه عـلى العامـة ، ليظلوا في غيهم يعمهـون ؛ ولينعموا هم بمـا كانـوا يقدمـونـه لهم من القـربـان والنـذور ؛ وثمـرات النخيـل والأعناب ؛ وماذرء الله من الحرث والأنعام ؛ والأصفر الرنان ؛ فتمتلىء بـه جيـوبهم ؛ وتخصب بـه جنبـات دورهم ، ويملكـون بـه الضيـاع ؛ ويشيـدون بـه القصـور ؛ وينعمـون في ظـلال الـثراء ؛ والنـاس عنهم غـافلون ؛ ألم يقـل لكم ربّكم ﴿ **لقـد كـان لكم في رسـول الله أُسـوة حسنة** ﴾ فمالكم لاتتـأسون بنبيكم (صـلّى الله عليه وآلـه) في شجاعتـه ومضاء عزيمته ؛ وقوة جنانه وصدق إيمانه ومتانة يقينه وزهده وإقدامـه ،

وحرصه على إعلان الحق ؛ ولو كره المبطلون ، أيّها الإعلام ، إعلموا أن محاربة اللادينية مع الدين قديمة جداً ؛ فلقد سبق أن حاربت اللادينية الدين الموسوي ، والدين العيسوي ؛ وتغلبت عليهما لكثرة نقاط الضعف الموجودة فيهما بسبب التحريف الواقع في التوراة ؛ وفي الإنجيل ولأمور خرافية لايقبلها العقل قد دست في تعاليمهما ؛ فاغترت اللادينية وهاجمت الإسلام أيضاً وسرعان ماغلبت على أمرها تجاه القرآن المصون من كل تحريف ؛ وتجاه تعاليم الإسلام المحكمة والمرتكزة على العقل ؛ والفطرة والطبيعة ؛ فإضطرت اللادينية والتجأت الى فكرة شيطانية تتلخص في إنصراف اللادينية عن التعرض والإعتراض على القرآن وتعاليم الإسلام وأعلنت في الغرب أن الإسلام عبارة عن أعمال المسلمين ـ وكانوا يعلمون جيداً « إنّ الإسلام شيء وأعمال المسلمين شيء آخر » و « أنّ الإسلام محجوب بالمسلمين » ـ وشرحوا للغرب أعمال المسلمين من الكذب والظلم وشرب الخمر والقمار ورذائل الأخلاق وشوهوا بذلك سمعة الإسلام في الغرب وفي العالم الغير الإسلامي ولما رأت أن هذه المغالطة لاتؤثر في الأُمم الإسلامية بسبب وجود القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية في أيديهم دبرت فكرة شيطانية أُخرى للعالم الإسلامي ، محورها وسوسة المسلمين عامة ؛ والنشيء الإسلامي خاصة ، بأن علماء المسلمين الذين هم الوسائط بينكم وبين شارع الإسلام ؛ وهم حراس الإسلام ؛ ونواب النبي (صلّى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السّلام) وأنّهم أعرف المسلمين بحقيقة الإسلام فيلزمهم الإلتزام بالعمل بتعاليم الإسلام بدقة فائقة لو علموا أن الإسلام حق وصدق ؛ ولكنهم ـ يعني العلماء السوء ـ في حالة تشاهدونها من إقبالهم الى الدنيا وزخارفها ؛ وعدم مبالاتهم بالآخرة ؛ وعدم إكتراثهم بأحوال المسلمين .

فإتخذت اللادينية من أعمال العلماء السوء غير الربانيين وسيلة الى صرف المسلمين عن دينهم الإسلام ولقد نجحت اللادينية بهذا التدبير الشيطاني في البلاد الإسلامية أيضاً كما نجحت بالفكرة الشيطانية المار ذكرها في الغرب وأوربا ؛ فهل أنتم منتبهون فيجب علينا جميعاً أن نلتزم بتطبيق أعمالنا على أقوالنا المطابقة للدين ، لكي لايكذب الفعل القول ؛ وهذه حقيقة التبليغ الواجب علينا ؛ وإذا قيض الله تعالى مصلحاً شجاعاً يدفعه صدق إيمانه ؛ وقوة يقينه وبرهانه ، الى أن يصدع بأمر الله ؛ ويجهر بكلمة الحق ؛ ويوحد كلمة المسلمين ؛ ويعيد لهم مجدهم السابق ؛ والإخاء الإسلامي ، وتعاظم الناس ماقال ؛ فجاؤوكم يستفتونكم في أمره ؛ فيجب أن لاترتعد فرائصكم جبناً وفرقاً ؛ وأن لاتكتموا الحق ؛ ولاتحملوا على المصلح حملة شعواء ، إبتغاء مرضاة للعامة ؛ ونزولاً على حكمهم ؛ وإعلموا أيّها الأعلام أنّ كلامي هذا نداء عام الى المسلمين وعلمائهم ؛ وفي الوقت ذاته إعترف بأنكم أقمار العلم ؛ وشموس الفضيلة وحملة مشعل التوحيد ؛ وأنصار الحق ؛ وأعلام النهضة ؛ ومن المخلصين للدين الذين بمؤازرتهم تتقدم الأعمال ؛ وتتقوم الآمال ؛ وتشاد صروح الإيمان ؛ ومجد الأوطان ؛ وغير خفي عليكم أن المسلمين إنتهوا في عصورهم الأخيرة الى حالة تفتت أفلاذ الصخور ؛ فما ترى فرقة من فرق الأسلام إلاّ وهي مكفرة لغيرها ؛ وقد إستغل المبشرون ؛ وأبالسة الإلحاد هذه الثغور المفتحة أمامهم فنفذوا منها الى القلب ودخلوا على المسلمين في حصونهم المنيعة ؛ فرموهم بمختلف الشظايا ؛ وغمروهم بكل أنواع الدعايات المذهبية ، وقد نظموا جيشهم على أساس إختلافنا ؛ وأقاموا جماعتهم على أنقاض وحدتنا ؛ وبقينا حائرين ، نلتمس الخلاص ؛ ونطلب النجاة ؛ ولو نجونا من أنفسنا لما خشينا غيرنا ، وقد رأيت كما بينت آنفاً أن سبب

الخلاف ليس أمراً ذا بال ، خصوصاً بين الشيعة والسنة ؛ وإني لاأنادي بالغاء الفروق ؛ ولاأحاول طمس معالم الفرق ؛ فليس في مقدور أحد الآن أن يفكر في محوها وإلغائها ؛ فهذا الجامع الأموي التاريخي أشاهد في حائطه الجنوبي أربعة محاريب ، أحدها للحنفية والثاني للمالكية والثالث للشافعية والرابع للحنبلية وهذه معالم الإختلاف الثابتة ؛ فهل من المقدور توحيدها ؟ ولكني أريد أن يمد كل منهما يده الى الآخر كإخوين لايتقي أحدهما الآخر على أساس أن لكل مسلم ، ثمَّ لكل إنسان بعد ذلك مذهبه مادام لايضر الآخرين ؛ وأريد أن يتحرر الناس من قيود الأحقاد القديمة ؛ وأن يحسنوا المعاملة والمجاملة فيما بينهم ؛ وفي مقدور كل منهم أن يبين لأخيه وجه الصواب إن كان على خطأ ؛ أو الحق إن كان على الباطل وضرورة العقل تحكم بأنّه إذا كان أحد الأُخوين على خطأ وجب على أخيه أن ينهض له بالنصح لابالحرب ؛ فعندما تصفوا القلوب ؛ ويتوفر حسن النية ، يصبح التفاهم ميسوراً ، والنجاح مقدوراً ، بهذا أمر الإسلام ؛ وبهذا تقضي ضرورة العصر ؛ وبهذا تقوم الحياة في الشرق ؛ وبهذا أيضاً يتسم ، النصر من جديد ؛ ولمّا كانت الأقاويل التي ينسب كثير منها الى الشيعة غير صحيح ؛ فقد أردت بهذه البيانات أن أجمل شيئاً منها لإيضاح أنّ هذه الأقاويل لاتصور الحقيقة وأنّها لاتزيد على الخلافات المذهبية العادية وأردت أن يعرف أهل السنة شيئاً عن أحوال إخوانهم المسلمين في البلاد النائية عنهم ، حتى لايستغرب أمر يحدث مما قد يعرض للإنسان إذا رأى مايخالف مذهبه ؛ وهو لايدري مصدره وحقيقته ، مثلاً : إنّكم تشاهدون الشيعة القاطنين في دمشق يواظبون على أداء فريضة الجمعة وليس ذلك إلّا لأنّها واجبة في مذهب الشيعة تعييناً في قول وتخييراً بينها وبين الظهر في قول آخر ؛ وقد يلاحظ في بعض بلاد الشيعة لايؤدونها ؛ ويكتفون بصلاة الظهر ،

لكونهم من القائلين بالتخيير وللنظرة الأُولى يتبادر الى الذهن أن هذا التارك للجمعة مخالف لفريضة هي من أعظم الفرائض وأجلها وبذلك تقع في سوء الظن الذي هو جرثومة الجرائيم كلها ؛ فإذا عرفت أنّه تركها لأن من شروط وجوبها التعييني حضور الإمام المعصوم من أهل البيت عنده تبينت أن تركه للجمعة لم يكن عن عمد أو تقصير ؛ وإنّما كان لشبهة مذهبية قد يوجد مثلها عند غيرهم ؛ ففي أحد القولين عند الحنفية إشتراط المصر لصلاة الجمعة ؛ وقد يتركها الحنفي بناء على هذا الرأي من مذهبه فلايعد مقصّراً .

فليعلم المسلمون أن هنالك شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تلك الشجرة هي الإسلام ؛ وغارسها محمّد (صلّى الله عليه وآله) وهم جميعاً مهما إختلفوا فروع هذه الشجرة فإذا تفرقت الفروع صوحت بها العواصف حتى تسقط الأوراق والأزهار فليس للدين الإسلامي غاية في هذه الدنيا سوى المحبة التي يدركون بها رضوان الله في دار الآخرة لتكون هذه المحبة وسيلة طبيعية لإتحاد المسلمين وجمع كلمتهم ؛ ولما كان شأن رجال الدين يقف بهم على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن لكافة شعوب المسلمين ركني حياتها المادي والروحي وثمرات تلك الحياة الصالحة ؛ وثمراتها اليانعة والعمل على مايداوي عللها ؛ ويسد خللها ؛ ويمنع زللها ؛ ويصعد بها عارجاً في مراقي الكمال الإسلامي وفضائل الإنسانية كي لاتطغى عليها المادة فتغرقها في ضلالها عن خالقها وتجمع بها النزوات والنزعات في شهواتها فتنسيها أمانتها وواجباتها وأخلاقها وإتحادها فترجع القهقري من حيث تظن التقدم وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغي السمو فرأينا من أهم واجبنا الديني زيارة الأقطار العربية ؛ والعواصم الإسلامية فتحملنا مشاق السفر الطويل وزرنا مصر ؛ وفلسطين ؛ وشرق الإردن ؛ ولبنان ؛

والهند ، وإيران وغيرها وفاوضنا زعمائها وعلمائها وملوكها وإمرائها وأهل الحل والعقد فيها ولقينا من الجميع حفاوة بالغة في الإقطار العربية والإسلامية التي دانت برسالتنا الإصلاحية حول الوحدة والوئام ؛ وضد التفرق والإنقسام وأجابت دعوتنا الى التقارب والسلام ؛ وقد تقاربت وجوه النظر بين الطوائف الإسلامية من السنة والشيعة بفضل مساعينا وكان من نتائج هذا التقارب التشريعات الحديثة التي صدرت في مصر بشأن الأحوال الشخصية وقد إستنبطت من مذاهب إسلامية متعددة ومنها مذهب الشيعة الإمامية وهذا الإستنباط هو في الواقع إجتهاد فتحت الشيعة بابه وإحتفلت مشيخة الأزهر تكريماً لنا فقالت الصحف المصرية :

إنّ هذه هي المرة الأُولى بعد أكثر من ألف سنة التي تجتمع فيها كبار العلماء السنيين برآسة أكبر زعيم ديني وهو شيخ الأزهر لتكريم عالم الشيعة ، معترفين بأنّ مذهب الشيعة الإمامية أحد المذاهب الإسلامية ؛ ومن هذا يتضح لكم مدى نجاحنا في جمع كلمة المسلمين وتقريب وجهات أنظارهم وتثبيت كيان الشيعة الإمامية ؛ وإعتراف طوائف المسلمين وعلمائهم بهذا المذهب الإسلامي بالقول والعمل تمهيداً للوحدة الإسلامية ، بعد أن عرفناهم أن الإختلاف بين الشيعة وبين السنة لاتزيد على إختلاف طوائف السنة بعضها مع بعض ؛ فقد قال الشافعي ومن وافقه : أن « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من الفاتحة ؛ ومن أول كل سورة كتبت فيها ؛ وقال مالك : أنها ليست آية من الفاتحة ولامن أوائل السور .

وأما الحنفية فحكموا بأنها آية من القرآن تامة في غير سورة النمل ، أنزلت للفصل بين السور ؛ ولكنها ليست آية من الفاتحة ؛ وذهب مالك الى منع قرائتها في الصلاة المكتوبة جهراً كانت أو سراً ، لا في إستفتاح أم

القـرآن ؛ ولافي غيرهـا من السور ، وأجـاز قرائتهـا في النـافلة ؛ وقـال أبو حنيفة يقرؤها سراً مع أُم القرآن في كل ركعة ؛ وروي عنه أنّه يقرؤها في الأُولى فقط ؛ وقـال الشافعي وأحمـد : يقرؤهـا وجـوبـاً : في الجهـر جهـراً ؛ وفي السر سـراً ؛ ولم يكفـر بعضهم بعضـاً بـأنّـه إختـلاف في القـرآن ؛ وإختلاف في أجـزاء الصلاة وهي عمـود الدين ، لعـدم سوء الظن بينهم ، مثل مايوجـد بينهم وبين الشيعـة ؛ ولكن الشيعة الإمـامية تحسن الـظن بكافـة المذاهب الإسـلامية عـامة ؛ وتقـدر الأُمة السـورية الإسلامية خاصة ، لأن إمـام الشيعة أمـير المؤمنين ، عـلي بن أبي طالب (عليه السّلام) الذي إعترف الشرق والغرب بعظمته ، حتى إعترف بها عدو الأديان الأكبر « الدكتور شبلي شميل » وقال مانصه :

« الإمام علي بن أبي طالب ، عظيم العظماء ، نسخة مفـردة ، لم ير لها الشرق ولاالغرب صـورة طبق الأصل ، لاقـديماً ؛ ولاحـديثاً » قـال (عليـه السّلام) : في أهـل الشام كلمـة سيرددهـا الـدهـر الى الأبـد ، مفخرة عظمى للأُمة السورية الكـريمة ؛ وهـذا نصها في نهج البـلاغة : « لوددت لو أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخـذ مني عشرة منكم ؛ وأعطاني رجلاً منهم » .

لكن في بعض العواصم الإسلامية العربيـة سمعتهم يقولـون لي : إنّ التفاهم الذي حصلتموه مع مختلف طوائف المسلمين في هذه البلاد ، لايمكن حصوله لكم في دمشق الشام لأن أهل دمشق أُمـويون يحبـون بني أُميـة ولايخلصون لآل محمّـد رسـول الله (صـلّى الله عليـه وآلـه) وأنتم الشيعة تحبون آل بيت النبي (صلّى الله عليه وآله) وتكرهون أعدائهم ، فـالطرفـان على طـرفي نقيض ؛ وإني إستغربت منهم ذلـك وقلت لهم : « نحن نعتقد أن أهالي دمشق وسوريا من خيرة المسلمين وكل مسلم يتلوا القرآن الكريم ، الـذي ينص بأنّ مـودة آل محمّد (صـلّى الله عليه وآلـه

وسلم) ، أجر رسالته ، قال الله تعالى : ﴿ قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ ولاأعتقد أن لايؤدي المسلم أجر الرسالة ؛ فشاء الله أن أقف في هذا الموقف وأطالبكم أمام هذا الحشد العظيم بأجر الرسالة ؛ فأنّ أديتموها حالاً فأني أستطيع أن أعلن ذلك بصوتي الضعيف الذي يصل المشرق والمغرب بفضل الله تعالى ؛ وأزيل هذه الوصمة المشينة عن بلادكم ؛ وإن تنكرت لي طائفة منكم ؛ فإن عذرها واضح ، إذ لم يطرق أسماعها هذا الكلام من قبل ؛ ولم يدعها أحد إلى مادعوتها إليه ، قد سمعت كلاماً غير مألوف لم تسمعه من أب ولاجد ، وأني أضطر إزاء تنكرها الى أن أقترح من العالم الإسلامي تنقيص عددها عن أربعمائة مليون مسلم وحذفها عن سجلات المسلمين ، « أيّها الناس » أجيبوا داعي الله وأغتنموا هذا الموقف التاريخي ؛ وإعلموا أن لخطابي هذا مدلولاً بليغاً يتصل بالتاريخ ويتصل بأعظم مدينة إلهية إزدهرت بواسطة الرسول الأعظم في الشرق العربي ، وإمتد نورها الى العالم أجمع ؛ وصارت مصدراً لمدنيات أُخرى نراها اليوم ، « سكت الإمام الزنجاني وأجال ببصره على الأُلوف المحتشدة مترقباً منهم الإجابة أو الرفض ؛ فوقف العلامة المجاهد الشيخ بهجة البيطار فتكلم كلاماً بليغاً إستدر الدموع أثنى فيه على الإمام الزنجاني ونعته برسول الوحدة الإسلامية وقال إن سوريا تخلص بآل الرسول وتودهم ولم تقصر في أداء أجر الرسالة ولاتعرف معنى للتفرقة بين المذاهب الأسلامية الخمسة وتبتهج بإعلان الوحدة الإسلامية على ضوء إرشاد الإمام الزنجاني وطلب من الحاضرين أن يؤيدونه بأداء أجر الرسالة وتأييد الوحدة الإسلامية فتجاوبت الأصوات العالية من جميع جهات الجامع بإعلان الإجابة والقبول لإقتراح الأمام الزنجاني وطلبوا من الإمام أن يسمح لهم بأن يقبلوا يده الشريفة وتزاحموا بالمناكب يصافح العلماء الإمام الزنجاني

ويشكرونه على جهاده الجبار ومساعيه الحسنة ؛ وعمله المبرور ثمّ يشكرون الأُستاذ البيطار لأنّه عبرعن آرائهم أحسن تعبير ؛ وقبّل الناس من مختلف الطبقات يده معلنين له قبولهم لإرشاده وولائهم لآل الرسول (صلّى الله عليه وآله) وشيعتهم فرحين على إهتدائهم بنور علمه مثنين على جهوده هاتفين بحياته ولرسالته » .

ثمّ طلب منهم الإمام الزنجاني أن يجلسوا في أماكنهم ويستمعون الى بقية خطابه ، فأطاعوا أمره وعادوا جميعاً وجلسوا وأنصتوا : فإستأنف الإمام الزنجاني وشكر جميع الحاضرين على أدائهم أجر الرسالة وتفنيدهم إفتراءات الجاهلين ثم قال : غير خفي على كل أحد أن أجر رسالة نبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله) يجب أن يكون خالصاً لايشوبه غش أصلاً لكي يليق بمقامه السامي لوضوح أن العملة المزيفة لاتروج في الأسواق فإسمحوا لي أن أشرح لكم هذا الموضوع . قال الله تعالى : ﴿ قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ وروي في الصحيحين والإمام أحمد في مسنده ، والثعلبي في تفسيره ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قالوا : يارسول الله ، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (صلّى الله عليه وآله) : « علي ؛ وفاطمة ؛ وإبناهما » فعلم أن مودة علي وفاطمة وإبنيهما الحسن والحسين ؛ وهي أجر الرسالة ، ومن كان في قلبه مودة الحسين ابن فاطمة بنت محمّد يجب أن يتبرء من شمر قاتل الحسين (عليه السّلام) ﴿ وماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ فمودة الحسين لاتجتمع مع إعذار قاتله وعدم البراءة من شنيع فعله وتعليل ذلك بأن قاتله إجتهد وأخطأ في رأيه ؛ وتصير مودة مزيفة لاتليق أن تكون أجر للرسالة ؛ فيجب عليكم البراءة من قاتل الحسين (عليه السّلام) ولعن قاتله ، لكي تصفوا مودتكم ، « وسكت الإمام الزنجاني ؛ وأجال ببصره نحو القوم كأنّه يطلب إليهم أن يتبرؤا عن قاتل

الحسين وأن يلعنوه ؛ فعلت أصواتهم بالبراءة من قاتل الحسين واللعن عليه) فقال الإمام الزنجاني : وكذلك يجب عليكم أن تتبرأوا ممن أمر شمراً بقتل الحسين (عليه السّلام) وهو عبيدالله بن زياد الوالي على الكوفة ؛ فتنادوا باللعن والتبري « بأصوات عالية » ثمَّ قال الإمام الزنجاني إنَّ التاريخ سجل كتاباً لعبيدالله بن زياد ، هذا نصه :

« ياحسين بلغني نزولك بكربلاء وقد كتب إلى أمير المؤمنين يزيد أن لاأتوسد الوثير ؛ ولا أشبع من الخمير ، حتى ألحقك باللطيف الخبير ؛ أو تنزل على حكمي وحكم يزيد » فلاتصفوا مودتكم للحسين إلاّ بالبراءة عن يزيد أيضاً « فتبرأوا منه أيضاً بعد تريث وتردد » .

ثمَّ قال الإمام الزنجاني : يجب على كل مسلم في السيرة الحالية ، أن يفهم دينه من طريق المنطق ؛ وأن لايترك للعاطفة مجالاً في صفوف المنطق ؛ ولاصعوبة للطبقات المستنيرة في ذلك ، لمعرفتهم أن تقوية الشعور الديني إنّما تكون بإعزاز مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر ؛ وتيارات التقدم العقلي ؛ وتأييده تأييداً يقوم على إحترام العقل ؛ وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه ، إلتماساً للمعرفة فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ؛ وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية ؛ والتضليل وعن الإرتكاز الى السلطة الروحية المستبدة ؛ وتحديد مابين العلم التجريبي وبعض تعاليم الإسلام من خلاف ؛ والتصدي لحسمه على أساس حب الحقيقة ؛ والحرص عليها ، في لباقة لاتدع ماينسب الى الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد ؛ ولاتدع العلم يدعي لنفسه بلوغ الكمال ؛ والحال أن ماإكتشف بالأمس ينقضه إكتشاف اليوم ؛ وأمّا الطبقات العامة ؛ فيجب عليها الإبتعاد عن الجمود ؛ فإن الجمود يؤدي الى

الجحـود ؛ وإن الأوهام التي مـاأنـزل الله عليهـا من سلطان ، لانـظنهـا تتسلط الى الأبد على عقول الناس ؛ فإن العلم والدليل يزعـزعها ، وإن كـانت متأصلة في الأجيـال ؛ والزمـان والحق يهدهـا وإن كانت راسخـة كالجبال وإننا نرغب إليكم بذلك علماً بمسيس الحاجة ؛ وضرورة إستبقاء هذا الرمق الأخير من حياة الإسلام والمسلمين ؛ والـرجاء أن لاتـأخذوا كلامي على غير مأخذه ؛ ولاتحملوه على غير محمله .

إخواني : أجد شـايعاً في بلدكم هـذه الكلمة : « سيـدنا معـاوية » وأنتم أُمة عربية ، وبالتحليل تنقلب هذه الكلمة الى كلمة « سيد العرب معـاوية » وهـذا اللقب العظيم ، إمـا منحة إلهيـة منحة إيـاه رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) ؛ وإمّا منحـه تاريخيـة ، و « الأول » تنفيه السنـة النبوية ؛ فلقد ورد في الحديث عن أنس قال : قال النبي (صلّى الله عليه وآله) : « من سيد العرب ؟ قالوا : أنت يارسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه) ، قال (صـلّى الله عليه وآلـه) : « أنا سيـد ولد آدم وعـلي سيد العـرب » وعن عائشـة أُم المؤمنين عن النبي (صـلّى الله عليه وآلـه) أنّه (صلّى الله عليه وآله) قال : « إدعـوا لي سيد العـرب علياً » قلت لـه : أولست أنت سيد العرب يارسول الله ؟ قال (صلّى الله عليه وآله) « أنـا سيـد ولد آدم وعـلي سيد العـرب » وروي أبو نعيم الحـافظ قال : قـال النبي (صلّى الله عليه وآلـه) : إدعوا لي سيـد العرب عليـاً ؛ فظهـر أن لقب سيد العرب في الإسـلام منحة إلهيـة مخصوصـة بعلي بن أبي طـالب (عليه السّلام) لالمعاوية و « الثاني » ينفيه التاريخ وتوضيح ذلك ماذكره في خطط الشام : الجزء الأول الصفحة ٣٧ من أن معاوية إغتنم الفرصة السـانحة في مقتـل عثمان ليعيـد الأمر الى بني أُميـة ؛ ويصبحوا أُمـراء في الإسلام ؛ كما كـانوا أُمـراء في الجاهليـة ؛ وأخرج معـاوية الخـلافة عن أُصولها ؛ وكانت بالعهد لأفضل الصحابة ؛ أو بـالشورى بينهم لمن يقـع

إختيارهم عليه ؛ وجعلها كالملك يورثها الأب لإبنه أو من يعهد بها إليه من خاصته ، أوكسروية ؛ أو قيصرية ، على سنة كسرى وقيصر كما قالوا ؛ وآثر ابنه يزيد بالتعهد دون من سواه ؛ وبذلك نقم على معاوية كثيرمن الصحابة والتابعين الأنصار والمهاجرين ؛ وكان ممن مالاء معاوية على تحقيق رغائبه ، عمرو بن العاص ، قريبه وعامله على مصر ؛ والمغيرة بن شعبة عامله على الكوفة ؛ وهما الداهيتان اللذان قال فيهما الحسن البصري : إنهما أفسدا أمر هذه الأُمة ، لإحتيال الأول برفع المصاحف يوم صفين ؛ وتقرير التحكيم ؛ ولأنّ الثاني كان من الداعين لأخذ البيعة ليزيد ، وإستلحق زياد بن أبيه بأبي سفيان بحجة أن أبا سفيان كان أحد الخمسة الزانين بأُمه وجعله أخاً لنفسه ، خلافاً لقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) « الولد للفراش وللعاهر الحجر » لغرض الإستعانة من دهائه في إستخلافه إبنه يزيد ؛ فأنكرته الأُمة العربية الكريمة التي تحافظ على أنساب الفرس ؛ وأبت أن يكون في أمرائها مجهول النسب وولد الزنا ؛ فأغضب إستنكارهم زياداً وألف كتاب « مثالب العرب » إنتقاماً من العرب ؛ ونسب فيه كل ذميمة الى العرب ؛ كما ذكره الآلوسي في كتاب « بلوغ الأرب » وذكره أيضاً في « كتاب سر إنحلال الأُمة الإسلامية » وكذلك في « تاريخ الفتح الإسلامي » وبعد ترجمة مثالب العرب الى الألسنة الغربية ، أخذ الغربيون يعيرون العرب بأنهم رجال أقوال لارجال أعمال ؛ وبأنهم ثرثارون لافعّالون ؛ وبأنهم يملؤون العالم جعجعة ولايخرجون له طحناً ؛ وبأنهم دائماً في عالم الخيال يسبحون ، في حين أنهم عن الحقائق غافلون ؛ وقالوا : « لم يكن في العالم قوة لامادية ولامعنوية ولاأدبية حتى تعارض الإسلام في القرنين السادس والسابع الميلادي « القرن الأول والثاني الهجري » فلولا تنافس أُمراء المسلمين العرب ؛ والحرب

الـداخلي ؛ كـان الإسلام يستـوعب الغرب ، لأن الـدين السائـد كـان الوثنية ؛ وقليل إعتنق النصرانية ولم يكن راسخاً فيهم ؛ ولكن التعصب والتنـافس طبيعي في العرب حتى الآن وهـذا منع الإسـلام عن الإنتشار العام ؛ وأوجب زوال العباسيين من العراق ؛ والأُمويين من الشـام ومن الأندلس ؛ والفاطميين من مصر ، بسبب التنافس بـين أُمراء العـرب ؛ وهذه الفضايح للعرب بعض آثـار كتاب مثـالب العرب تـأليف زياد بن أبيه ؛ وكان سبب تأليفه معاوية لأنه إدعى أن زياد بن أبي سفيان ؛ وأخو معاوية ؛ فأنشدكم بـالله ، أليس لقب « عدو العـرب » أجدر بـزياد بن أبيـه مؤلف مثالب العـرب ؛ وبمعـاويـة بن أبي سفيـان السبب البـاعث لتأليف مثالب العرب ، من لقب « سيد العـرب ؟ » وأزيدكم عـلى هذا أن سيد العرب يجب أن يكون عربياً رومياً ؛ وقـد ذكر جمـع من المؤرخين ومنهم الهيثم بن عـدي ، أن أبا عمـرو بن أُمية كـان عبداً لأُميـة إسمـه « ذكوان » فإستلحقه ؛ ونقل أبو الفرج الأصبهاني ـ وهو من الأُمـويين ـ مـاتقدم فلم يتعـرض له بنقـد ؛ وإليه ينتهي نسب معـاوية ؛ وقـد بذل معـاوية جهـوداً كثيرة في سبيـل تصحيح نسبـه فلم يفلح ؛ ويـدل عليـه صريحاً كلام الصادق الأمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليـه الصلاة والسلام ، في كتاب له (عليه السّلام) الى معاوية جوابـاً عن كتاب منـه اليه ؛ وهذا نصه :

وأمّا قولـك « إنّا بنـو عبدمنـاف » فكذلـك نحن ؛ ولكن ليس أُمية كهـاشم ؛ ولاحـرب كعبـدالمـطلب ؛ ولاأبـو سفيـان كـأبي طـالب ؛ ولاالمهـاجر كـالطليق ؛ ولاالصريـح كاللصيق ، ولاالمحق كـالمبـطل ؛ ولاالمؤمن كالمدغل ولبئس الخلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم » .

والصريـح : صحيـح النسب في ذوي الحسب ؛ واللصيق : من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم ، وهذا نص صريح في الإستلحاق الـذي

تقدم ؛ والذي أراد معاوية تغطيته بالتمويه لكي يتخلص من عاره ، فصارحه أمير المؤمنين (عليه السّلام) بالحقيقة المكشوفة ؛ ولهذه الغاية أيضاً أمر يزيد بن معاوية عامله في المدينة بأن يأخذ البيعة له من الإمام زين العابدين علي بن الحسين بهذه العبارة « بايعت إبن عمي يزيداً » .

إخواني : إنّ معاوية قد بذل جهوداً عظيمة وتدابير عميقة مدة أربعين سنة ، في بلدكم هذا وإستعمل العاملين القويين ، السيف والدينار ؛ والرغبة والرهبة ؛ والدهاء ، في توطيد دعائم الملك الأموي ؛ وتشييد عرش الأُمويين ؛ وإعطائهم صولجان الملك وتاج الخلافة ، بكم الافواه ؛ وعقل الألسن ؛ وإرجاف القلوب ؛ ومشق الحسام لضرب الهام على أقل كلام فحدثت بدع وشاعت أوهام ماأنزل الله عليها من سلطان فأدى ذلك الى تعطيل الشعائر الدينية وقلب حقائق الإسلام الأصلية ؛ والفرعية ؛ والجوهرية ؛ والعرضية ، بل الى محو تعاليم الإسلام ؛ وزوالها عن عالم الوجود وتبديلها بالقوانين السياسية حتى في عاصمة المسلمين وفي أقدس بقاع العالم فأقبلت الأُمة الإسلامية على عهد تراكمت فيه حنادس الظلام وإنقلب في عقل المسلم وضع الدين ؛ وتغير في مداركه طبعه ؛ وتبدلت في فهمه حقيقته ؛ وانطمست في نظره طريقته ؛ وحق فيه قول أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) « إن هؤلاء القوم قد لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوباً » وكان غرض معاوية من ذلك كله خلافة يزيد ؛ وكانت النتيجة من خلافة يزيد قتله الحسين بن فاطمة بنت محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ؛ ولما قرره العقل والفلسفة ، من أن « وجود الكائن يستند الى أسبق علله » فقتل الحسين (عليه السّلام) مستند في الواقع الى معاوية ، لأنّه أوجد حوادث كان يتطلب منطق تلك الحوادث في ذاك العصر المكافحة الجبارة ؛ والتضحية البليغة لإعادة الإسلام الى محوره الحقيقي ؛ وتثبيت

قواعده الحقة من جديد ؛ وحماية بيضة الإسلام من أن تمتد إليها يد عـدو لايرعى فيها عهداً ؛ ولاتأخذه بها رأفة فإضطر الحسين (عليـه السّلام) في تلك الظروف العصيبة الى حماية شريعة جده سيد المرسلين (صلّى الله عليه وآله) وحفظها من الإضمحـلال ، وقام بـأعمال تـاريخية تحار فيها الأفكار ؛ ووقف موقفاً ما حدثنا التاريخ بمثله ؛ ولاسمـع الدهـر بنظيره وأدى مـاعليه من النصيحـة لله ولرسـولـه وللمؤمنـين وأدى وديعـة الحق وأمـانة الصـدق والإنتصـار للحقيقـة وإزهـاق البـاطـل ونهض (عليـه السّـلام) نهضته التـاريخية الخـالدة فبعث بهـا الحياة الخـالدة الى نفـوس الأُمم الإسلامية والعربية جيـلًا بعد جيـل الى آخر الـدنيا ونفث بـأرادته الإلهيـة روح الإيمان والقـوة في إرادة هذه الأُمم فهي مـدينـة لـه (عليـه السّلام) مدى الـدهر بـالشعور بـوجودهـا وكرامتهـا الدينيـة والدنيـوية وبحقها في الحياة العزيزة بعـزة الله فجديـر بها أن تسجـل نهضة الحسـين التـاريخية بمـداد من النور الخـالد ، أنشـدكم بالله هـل من الجديـر ببلدة إسـلامية كـدمشق أن يجعل فيهـا يوم شهـادة الحسين (عليـه السّـلام) عيداً ؟ ويطلق عليه إسم « عيد رأس السنة الهجريـة » وأن يستمر فـرح العيد من أول محرم الى العاشر منه « عاشوراء » « اللهم إن يوم عاشوراء يوم تبركت به بنو أُمية وإبن آكلة الأكباد » أهكذا يؤدى أجر الرسالة ؟ مع العلم بأن في موقف الحسين يوم عاشوراء قابل الحق كله الباطل كله ولمـا قتل ولده وإخوته وأهل بيته وبقى وحيداً فريداً نادى بأعلى صـوته « هـل من نـاصر ينصرنا ؟ هـل من ذاب عن حرم الـرسـول (صلّى الله عليـه وآله) » فهز صوته الأُمم والحكومات والأجيال كلها هـزاً قويـاً إعجازيـاً لأنه كان صوت ضميره ونـواته في تـربة هي في أعـماق إحساسـه الربـاني الإسلامي الإنساني فكان في صوته بعض نفسه القدسية الكبيرة الفياضـة القوية الجبارة التي كأنها مولد كهربائي عظيم يبعث الحرارة والنور والقوة

والنشـاط الديني في القلوب أو كـأنها قوة مغنـاطيسية عـظيمة تجـذب إلى مركزها قلوب العالمين ومشاعـر الاجيال الى يـوم القيامـة فلا يستـطيعون عنها تحويلا ، نعم صرخ الحسين (عليه السّلام) صرختـه الداويـة على وجه الظلـم والطغيان والنفـاق والكفر معلنـاً أن الحق يعلو ولايعلى عليـه وأظهر للعالم الإسلامي سر قول رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) « حسـين مني وأنا من حسـين » لأن سيد شبـاب أهل الجنـة : « الحسين (عليه السّلام) » أسس بنهضته بنياناً مرصوصاً لميثاق الله العظيم الـذي أوحي الى جـده الرسـول الأعظم والـذي ترتكـز عليه آمـال الإنسـانيـة وتنبعث منه الحقائق الكاشفة عن المثل الأعلى للكمال والمترجمـة عن جلال الجـمال النفسي الخالـد المنبعث عن الذات في حـدود الـذات ؛ وسـيردد الدهر الى الأبد نشيد الحسين الإلهي الذي إهتدت وتهتدي به الأُمم حتى تقوم دولة الحق على وجه الأرض بـأمر الله فسـلام الله على الحسـين سيد الشهـداء والمثل الأعـلى للإمـام الهـاشمي المحمّـدي العلوي الفـاطمي المصلح المجاهد في سبيل الدين وإحياء شريعة جده سيد المرسلين (صلّى الله عليـه وآله) والخـير العام ، والسـلام على عبـاد الله الذين إصـطفى والحمد لله ربِّ العالمين .

إخواني : ربما يخطر في أذهان بعضكم أنّ معاوية كان يظهـر عصبية للعروبة ؛ وهذا ينافي كونه دخيلاً على العرب ولصيقاً بهم ؛ والجواب أن من تتبع ضوء التاريخ يرى بوضوح أن معاوية وسائر عتاة أُميـة لم يقومـوا في وجه الهاشميين ليؤسسوا دولـة إسلاميـة ولكنهم قامـوا ليعفوا كـل أثر يشـير الى محمّد (صـلّى الله عليه وآلـه) بالعـظمة والتخليـد ، فلم يكن ليشبعهم ملك يـرجعون في تشييـده الى تعـظيم محمّـد (صـلّى الله عليـه وآله) ونفس الأُموي كانت أكبر وأبعـد من أن تقر لهـاشم بالفضـل على أُميـة ولذلـك كان في صميم العـزم القائم في نفـوسهم أن ينشئـوا ملكـاً

لا يـرجعون بشيء منـه الى هاشم ، فكـان من الطبيعي أن يمحقـوا كلمة الإسلام لأنه وليد محمّد الهـاشمي ولذلـك إستهتروا بـالدين وإستبـاحوا حرمته ؛ ثمَّ أباحوها للشعوبيـة ؛ وعمدوا الى أقـوى دعامـة يقوم عليهـا الإسلام فهدمـوها ألا وهي نبـذ العصبية عـلى العجم والاحتفاظ بـالمادة العليا من القانـون الإلهي القائلة ﴿ إنّ أكـرمكم عند الله أتقـاكم ﴾ نعم عمدوا الى قتل هذه الروح التي حاول محمّد (صلّى الله عليه وآله) ـ بأمر الله تعالى ـ أن يوحد بها العالم تحت لواء العـدل الإنساني ، لغـة ؛ وخلقاً وعقيـدة ، حاول معـاوية والأمـويون من وراء عصبيتهم للعـروبة هـدم الإسلام وإنشاء دين جديد وبالأحرى ملك جـديد ينتمي الى أُمـة لا إلى هاشم ولذلك كان ملوكهم يتـذمرون إذ يسمعـون ذكر محمّـد (صلّى الله عليه وآله) على لسان المؤذن خمس مرات كل يوم ولذلك أصبحت شهادة الحسين (عليه السّلام) حادثـة ليس في طوق الـزمن أن يسجلها لبـطل أنقذ ديناً وأُمة من الفناء بمـا ضحى في سبيلهما من دم ، أن الإسـلام لولا الحسين (عليه السّلام) لتلاشى قبل أن يمر به قرن ؛ فمصلحـة الإسلام والمسلمـين تقضي بضرورة تعزيـز المواكب العـزائية أيـام محرم ؛ وتعـزيز المجالس التي تعقد لذكرى شهيد الحق حسين بن علي (عليهما السّلام) فـإنها خير وسيلة لتثقيف المسلمـين وتهذيبهم ؛ وتعـزيز الـدين في نفوس أهله وإنها مآتم كالمعاهد الثقافية المتنقلة زماناً ومكـاناً لا تنفـك الأُمة عن أن تـراها حقـاً ولا ينفك الحق عن أن يـراها ضرورة للمجتمـع ؛ وهـذا مـا يتطلبـه أجـر الـرسـالـة أعني مـودة الحسـين الخـالصـة والمجـردة عن الشوائب ؛ وهذا هو المأمول منكم أن تحبوا الحسين (عليه السّلام) وأن تبرؤا من قاتله ومن الآمر بقتله ومن الممهدين لهم بقتله الذين مرَّ ذكـرهـم وبذلك ترضون الله ورسوله (صلّى الله عليه وآلـه) وأن تساهمـوا الشيعة في مجـالس عـزاء الحسـين (عليـه السّـلام) الـذي بـذل نفسـه لأجـل

سعادتكم في دار الآخرة ، « فسكت الإمام الزنجاني حينما دوت كلمات المودة للحسين (عليه السّلام) وكلمات البراءة من قاتليه والآمرين بقتله والممهدين لذلك في افق المسجد الجامع الأُموي ؛ وقد غصّت أروقته وصحنه وسائر الأماكن الملحقة به بالجمهور العظيم المحتشد فيه ليسمع جديداً ويرى جديداً وكانت تتلقف هذه الكلمات الأُلوف المتجمهرة في الأسواق والازقة المحدقة بالمسجد ؛ والشرفات المطلة عليه من جواره » وبعد أن هدأت الأصوات ، إستأنف الإمام الزنجاني كلامه ؛ وشكر الحاضرين لأنهم أعطوا أجر الرسالة كاملاً غير منقوص ؛ ووعدهم أن يحمل رسالة إعجابه بهم وبإسلامهم الى العالم الإسلامي على متون الأجواء وغوارب الارجاء ؛ وسفير الاثير ؛ وبريد الأبردين ، ناشراً بها ماتوغل في مشاعره ؛ وتغلغل في جوانحه ، من الإكبار والتقدير لما غمره من عواطفهم وإجابتهم لرسالته الإصلاحية ودعوته الى الوحدة الإسلامية ؛ ثمّ قال الإمام الزنجاني :

أيها المسلمون : إن ماشاهدته من حرصكم على معرفة الحقيقة حدا بي الى أن أطوف بكم الى نهاية المطاف ، من الظواهر التي تلفت نظر الباحث في نشأة الإمبراطورية الإسلامية أن رجال الأعمال الذين قاموا بوظائفها في عهدها الأول كانوا من خريجي المدرسة المحمّدية في صحراء العرب ؛ ولم يتعلموا في جامعات ولم يدرسوا نظم السياسة ؛ ولافنون الحكم ومع هذا قاموا بأعمالهم خير قيام ؛ ونجحوا في سياستهم أسمى نجاح ؛ وماكان إنتصار قادتهم في ميادين الجهاد أروع من إنتصار ساستهم في إدارة شئون البلاد ؛ وتجلت آيات نجاحهم في مختلف شئون الدولة ، في الرئاسة العامة في إدارة الولايات ؛ وسياسة الشعوب ، سياسة ثبتت دعائم ملكهم ومدت في فتوحهم ، وجبتهم الى الأُمم التي دخلت في سلطانهم ؛ ورأت تلك الأُمم من هؤلاء البدويين وعدلهم ؛

وحسن سياستهم ، مالم يـروه من ساسـة الدولتـين العريقتـين في النظم والحضارة ، دولة الفرس ودولة الـرومان ؛ وفي التعليم وبث نـور العلم قام المتخصصون من رجاله بنشر العلم بين أفراد الأُمة حتى أوجدوا روح التنافس العلمي بين مختلف الأمصار وكانت المدينة ومكـة ؛ والكوفـة ؛ والبصرة ؛ ومصر ؛ ودمشق ، تمـوج بحركـة علمية مثمـرة مالبثت حتى أنجبت عدة من المجتهدين عجزت معاهد التعليم الحاضرة ، بمنـاهجها ونـظمها عن أن تنجب منهم واحـداً ؛ وفي القضاء ؛ والسيـاسة المـاليـة وسائر شئون الدولة توجت أعمالهم بالنجـاح وهذا النجـاح الذي وصـل إليه عمال الدولة الإسلامية أول عهـدها لـه أسباب عـدة « أولها » حسن إختيار الموظف فقد وضع أساسه القويم رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) بفعله وبقـولـه ، روي عن أبي ذر الغفـاري رضي الله عنـه أنـه قال : قلت يارسـول الله ألا تستعملني ؛ فضرب بيده عـلى منكبي وقال (صلّى الله عليه وآله) : « ياأبا ذر إنك ضعيف ؛ وإنها أمانة ؛ وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلاّ من أخذ بحقهـا وأدى الذي عليـه فيها ؛ وروى أبو موسى الأشعـري ، قال دخلت أنـا ورجلان من بني عمي عـلى النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال أحد الرجلين : يارسول الله (صلّى الله عليه وآله) أمرنا على بعض ماولاك الله عليه ؛ فقال الرسول (صلّى الله عليـه وآله) : إنا والله لانولي على هذا العمل أحـداً سألـه ؛ ولاأحداً حـرص عليـه ؛ فإعتـذر أبو مـوسى ؛ وقال لم أعلم بمـاجـاء آلـه ؛ وروي ، أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قـال : « من قلد رجلاً عـلى جماعـة ؛ وهـو يجـد في تلك الجـماعـة من هـو أرضى منـه ؛ فقـد خـان الله وخـان رسـوله ؛ وخـان المؤمنين ؛ وذلـك لأنه بعمله حـرم الجماعـة من مـزايـا أكفئهم ؛ وربما أدى التمادي هذا الى إماتة الكفاءات فالرسول (صلّى الله عليه وآله) عد التعدي على الأكفاء بتعيين من هو دونهم كفـاءة ، خيانـة

لله وللرسـول (صلّى الله عليـه وآلـه) ولجـماعـة المؤمنـين ، لأن في هـذا إضاعة مصـالح الأُمـة ؛ وإهداراً لكفـاية أربـاب الكفاءات ؛ فتضعف العزائم ؛ وتسوء سمعة الأُمة الإدارية ؛ وتضيع مصـالحها ؛ لهـذا كان الرسول (صلّى الله عليه وآله) لايولي عمـلاً إلاّ من تحقق أنه أحق بـه ، لكفاءته ، قوة وخلقاً ؛ وعلى هذا الأساس في الإختيار سار بعد الـرسول (صلّى الله عليه وآلـه) أصحابـه ، قال عمـر : يومـاً لأصحابـه ؛ وهو يستشـيرهم في إختيار عـامـل ، « أريـد رجـلاً إذا كـان في القـوم وليس أمـيرهم كان كـأنه أمـيرهم ؛ وإذا كان أمـيرهم كان كـأنه واحـد منهم » فقـالوا : نـرى بهذه الصفـة ، الربيـع بن زياد الحـارثي ؛ فنشـير بـه ، فولاه ؛ فوفق في عمله ؛ وكـان العمال عـلى سياسـة الخليفة ، في إختيـار أعوانه ، لأنهم يشعرون أنهم مسؤلون عن عملهم ؛ وكـذلك إستمـرت الحال على هـذا النهج القـويم ، الى أن أحاطت بعثـمان بطانـة السوء من قـومه بني أُميـة ؛ وزينوا لـه أن ينفع بني عمـه الأُمويـين بإسنـاد الأعمال اليهم ؛ وأختـير للاعـمال من هو أهلهـا ومن ليس أهلاً لهـا عـلى أسـاس العصبيـة القوميـة ؛ ففزع النـاس من هذه السيـاسـة التي ضحيت فيهـا المصلحة العامـة لنفع الأقـرباء ؛ وكـان هذا من أهم أسبـاب الفتنة التي إنتهت بمقتـل عثمان ، ولمّـا ولي عـلي (عليـه السّـلام) كـان لـه أصـالـة الرأي ؛ ورجحان العقل والدين والمكـانة في النفـوس ؛ وعلمه بـأُصول الحكم وإدارة الـدولة ، بمـاضمنه في عهـده الى مـالـك الأشـتر واليـه في مصر ، مايكفل إستقـامة الأمـر له ؛ ولكنـه لتصلبه في الـدين بدء عمله بعزل من ولاهم عثمان ؛ وأثيرت الدسائس حوله فلم يستقم له الأمـر ؛ فمن الغريب إستثناء معاوية عن هذا الأساس القويم ؛ وتعيينه والياً على الشام ؛ ولم يبلغ عمره عشرين سنة ، مع وجود كبار الصحابة ؛ وعظماء القواد من المهاجرين والأنصار ؛ وقد تقدم كلام الرسول (صلّى الله عليه

وآله) في ذلك .

« وثانيها » اليقظة في المراقبة ؛ وقد وضع أساس اليقظة في مراقبة العمال ، الرسول (صلّى الله عليه وآله) فقد كان يعني بسماع ما ينقل إليه من أخبار عماله ويصغي الى شكاية من يشكوهم ؛ ويأخذ عليهم زلاتهم ويحاسبهم إستعمل رسول الله مرة رجلاً على الصدقات فلما رجع حاسبه ؛ فقال الرجل هذا لكم ؛ وهذا لي فقال الرسول : « مابال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول هذا لكم وهذا أهدى إليَّ أفلا قعد في بيت أبيه وأُمه فنظر أيهدى إليه أم لا ؟ وقال (صلّى الله عليه وآله) : « من إستعملناه على عمل ورزقناه منه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » والغلول : الخيانة في المغنم وكان الخليفة الثاني عظيم المراقبة لعماله ، دقيق المحاسبة لهم لايأخذه في ذلك مانع من الموانع أصلاً : تعتع بخالد بن الوليد عامله على « فنسرين » إذ بلغه أنه أعطى الأشعث عشرة آلاف فأمر به فعقله « بلال الحبشي » بعمامته وأوقفه بين يديه على رِجْلٍ واحدة مكشوف الرأس على رؤوس الأشهاد من رجال الدولة ووجوه الشعب في المسجد الجامع بحمص ، يسأله عن العشرة آلاف : أهي من ماله أم من مال الأُمة ؟ فإن كانت من ماله فهو الإسراف والله لايحب المسرفين ؛ وإن كانت من مال الأُمة فهي الخيانة ؛ والله لايحب الخائنين ؛ ثمَّ عزله فلم يوله بعد حتى مات ؛ ودعى أبا هريرة فقال له : « علمت أني إستعملتك على البحرين ؛ وأنت بلا نعلين ؛ ثمَّ بلغني أنك إبتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار » قال : « كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت » . قال : « حسبت لك رزقك ومؤونتك ؛ وهذا فضل فأده » قال : « ليس لك ذلك » قال : « بلى وأوجع ظهرك » ثمَّ قام إليه بالدرة ؛ فضربه حتى أدماه ؛ ثمَّ قال : « إئت بها » قال : « إحتسبها عند الله » قال : « ذلك لو أخذتها من حلال ؛ وأديتها

طائعاً ؛ أجئت من أقصى حجر البحرين يجبي الناس لك ، لا لله ولا للمسلمين ؟ مارجعت بك أميمة - يعني أمه - إلاّ لرعية الحمر » .

وفي حديث أبي هريرة : « لما عزلني عمر عن البحرين ، قال لي : « ياعدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ؟ فقلت : ماأنا عدو الله وعدو كتابه ، ولكني عدو من عاداك ، ماسرقت مال الله ، قال : فمن أين إجتمعت لك عشرة آلاف ؟ فقلت خيل تناتجت وعطايا تلاحقت ؛ وسهام تتابعت ، قال : فقبضها مني ؛ وكم لعمر مع عماله من أمثال مافعله بخالد وأبي هريرة يعرفها المتتبعون ، عزل كلا من أبي موسى الأشعري ؛ وقدامة بن مظعون ؛ والحارث بن وهب ، أحد بني ليث بن بكر ، بعد أن شاطر أموالهم ، هذه مراقبة عمر لعماله ، لاهوادة عنده لأحد منهم ، لكن معاوية كان أثيره وخلصه ، على ماكان من التناقض في سيرتيهما ، ماكف يده عن شيء ؛ ولاناقشه الحساب في شيء وربما قال له : « لاآمرك ولا أنهاك » يفوض له العمل برأيه ، حتى بعد أن رأى بعينه في الشام موكبه القيصري وتجبره وتكبره ، لدرجة إنه مانزل من فرسه ولم يعظم الخليفة مع علمه بأنه من المؤلفة قلوبهم في الإسلام وأنه يهيء لنفسه ولآله ملكاً .

وهذا لغز من الألغاز الواقعة في تاريخ صدر الإسلام ؛ ولاأستطيع حله ؛ وغير خفي أن من أهم عوامل سوء التفاهم ، أن أفعال الناس من المقولات المحسوسة بالحواس ؛ ولكن الدواعي الموجبة لصدورها منهم أمور نفسية ومعنوية ؛ وكل فعل حينما يصدر من فاعله قابل الإنطباق الى داع صحيح أو الى داع فاسد ؛ ففي إستطاعة خصمه أن يسنده الى داع فاسد ، حالما يستطيع غير الخصم أن يسنده الى داع صحيح - ومن هنا ينفسح المجال للخصوم والحساد فيختلقون ماشاؤوا من دواع غير شريفة لأعمال الأعاظم والمصلحين ، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء

على المصلحين ، شأن إخوانهم المثبطين في جميع أدوار النهضات الإصلاحية ـ وخصوم الرجل على قدر عظمته ؛ فكلما إرتفع الرجل درجة ؛ أو ظهرت له مزية تألم من أحسوا من أنفسهم العجز عن أن يبلغوا شأوه ؛ وولعوا بذمه ؛ وتفننوا في تشويه سمعته ؛ وتسويد صحيفته ؛ ولايزالون به حتى يعطيهم العهود والمواثيق التي يرضونها ، أن يعيش عالماً كجاهل ؛ وحياً كميت ؛ وأن يكتم علمه في صدره فلا يفضي به الى لسان والى قلم حتى يدركه الموت :

وليت من لم يكن بالحق مقتنعاً يخلي الطريق فلا يؤذي من إقتنعا

ومن جملة تلك الألغاز كلمة « حسبنا كتاب الله » مع ملاحظة أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) أوصى إبن عباس لما أرسله لمناظرة الخوارج أن لايحاجهم بالقرآن لأنّ القرآن جمال أوجه ؛ ولأنهم يشغبون به ويجيئون الى صيغ العموم فيه فيطبقونها على الكافر والمؤمن ، غير ناظرين الى شروح السنة لها فكان علي (عليه السّلام) يريد مواجهتهم بالنصوص الحاسمة من كلام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى يقطع جدلهم ، صحيح أن القرآن إعتمد في أحكامه وتوجيهاته على التعبيرات العامة والألفاظ المرنة حتى يساير العصور كلها الى قيام الساعة ؛ وهذه آية من آيات إعجازه بيد أن العموم والمرونة شيء غير الغموض والإبهام ﴿ **منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهات** ﴾وقد كان الخوارج على عهد علي (عليه السّلام) يكفّرون المذنب ويتلفقون آيات الوعيد فيسيئون تطبيقها على الناس وعلي (عليه السّلام) وفقهاء الصحابة يدرون أتم الدراية بالملابسات التي صحبت نزول هذه الآيات وهذا سر قوله (صلّى الله عليه وآله) : إنّما يعرف القرآن من خوطب به ؛ وقال (صلّى الله عليه وآله) : من فسّر القرآن

بـرايه فليتبؤ مقعـده من النار ؛ ومن ثمّ وصى عـلي (عليه السّـلام) إبن عباس أن لايحاج هؤلاء الخوارج بالآيـات المجردة بـل بالسنـة الموضحـة فهي أشبه شيء بمذكرة تفسيرية للقانون ؛ والسنة تفسـير لامهرب منـه ؛ وهل كان السبب لتكون عقيدة الخوارج وحدوثهـا سوى كلمـة « حسبنا كتاب الله » .

ومن هنا قيل ، يجب على الرجل العظيم أن يحترز عن الخطأ القليـل إذ قد تترتب عليه آثار سيئـة عظيمـة ، لعلو مقامـه ومركـزه ؛ ومن جملة الألغـاز التاريخيـة أن الخليفـة الأول كتب الى أهـل مكـة ؛ والـطائف ؛ واليمن ؛ وجميـع العـرب بنجـد والحجـاز يستفـزهم للجهـاد في الشـام ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ؛ فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع ؛ فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال ؛ وهم يزيد بن أبي سفيان ؛ وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ثمّ خص يزيداً بإمتياز ؛ فقد شيـع أبو بكـر يزيد بن أبي سفيان راجلاً الى مابعد ربض المدينة ؛ فقال له يزيد : إمّاأن تركب ؛ وإمّاأن أنزل فقال أبو بكر : ماأنت بنازل ؛ وماأنا براكب ، إنّي أحتسب خـطاي في سبيـل الله ، إخــواني : إني أحـاول تــوجيهكم الى البحث ، إذ لاينجم عن البحث والتفتيش المصحوبين بالمعرفـة والحكمة إلاّ كل شيء مستحسن ومفيد ، لأن البحث أُم الحقيقة ؛ وأهل الحقيقـة عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لاعقل سماع وروايـة ؛ وفهموا أن الله تعالى لايريد التفريق ؛ والدين لم ينزل للتفريق ؛ ألاّ وإني أتممت عليكم الحجة ؛ وأضأت لكم المحجّـة ؛ وبمقدار مـاسمحت لي الظروف أزلت الحجاب عن وجه الحق والحقيقة ؛ وأملي بكم في نهاية المطاف أن تهتمـوا بجمع الكلمة والوحدة الإسلامية ؛ والإخاء الديني والتساهل مـع كافـة المسلمين من مختلف الطوائف الإسـلامية ، عـلى سيرة أئمـة المسلمين ، ففي نهج البلاغة ، قال أمير المؤمنـين علي (عليـه السّلام) : « فـإياكم

والتلون في دين الله ؛ فإن جماعة فيما تكرهون من الحق ، خير من فرقة فيما تحبون » والله تعالى ولي التوفيق لي ولكم والحمد لله على ما أنعم نعمة لا نحصي شكرها ولاننسى ذكرها ، إن أردت إلاَّ الإصلاح ما إستطعت وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب .

نتائج خطبة الإمام الزنجاني

ومما لاحظه بعض المفكرين أن خطبة الإمام الزنجاني أنتجت :

١ ـ إرتفعت التقية عن الشيعة في دمشق وسائر بلاد سورية .

٢ ـ إشترك السنيون في مجالس عزاء الحسين .

٣ ـ تُركت حفلات عيد رأس السنة الهجرية في دمشق .

٤ ـ زال سوء التفاهم بين السنة والشيعة .

٥ ـ إعترف فخامة الأتاسي رئيس الجمهوريّة بلزوم رعاية حقوق الشيعة في سورية .

٦ ـ عبدت الحكومة طريق الزينبية .

٧ ـ بدء التعمير في مقام السيدة زينب الكبرى .

٨ ـ إتحدت كلمة المسلمين في الأهداف المشتركة .

* * *

مؤسسة النعمان

للطباعة والنشر والتوزيع

حسن محمد ابراهيم علي

ص.ب ٢٢٩/٢٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش

الخطبة الرابعة

الخطبة الرابعة

محاضرة الإمام الزنجاني في جامع الدقاق [1] في دمشق

وتعليقات الصحف الدمشقية عليها

نقلاً عن جريدة « الأيام » الدمشقية ٤ كانون الثاني ١٩٣٧ . العدد ١٣٨١ .

ونقلاً عن جريدة « القبس » الدمشقية ٣١ كانون الأول ١٩٣٦ السنة الرابعة .

ونقلاً عن مجلة « التمدن الإسلامي » الدمشقية : ذو الحجة عام ١٣٥٥ العدد ١٠ .

درس الإمام الزنجاني

ألقى الإمام الأكبر الشيخ عبدالكريم الزنجاني ، درساً بليغاً إجتماعياً ، في جامع الدقاق ، في الميدان الفوقاني ، بعد ظهر الجمعة سمعه الألوف من الشباب المثقف ؛ والعلماء الأجلّاء ؛ وقد تناوب الأساتذة الشيخ بهجت البيطار ، والشيخ سعيد العرفي ؛ والشيخ محمّد علي ظبيان ، القول بتأييد الإمام الزنجاني في فكرته الطيبة التي يسعى لها ؛ وخرج القوم مستفيدين من الدروس القيمة التي إستمعوها من الإمام والإساتذة الاجلاء .

وتناول الإمام الزنجاني طعام الغداء على مائدة المجاهد الفاضل

(١) جامع الدقاق أول مسجد بناه المسلمون الفاتحون في دمشق .

الشيخ محمّد الأشمر ؛ وكان في موكبه العلامة الشهير السيد محسن الأمين .

نص الخطبة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ؛ وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله وصحبه .

قال الله تعالى : ﴿ ياأيّها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدو مبين ﴾ .

توطئة :

يزداد الإعتقاد في جميع أنحاء العالم بأنّه لن يتحقق سلم عام ونظام مشترك دائم مالم توجه أعمال البشر وفق تلك المبادىء الأخلاقية التي هي خير مشترك بين جميع الأديان الإلهية الكبرى في العالم ؛ ومعنى أساسي لها ؛ فالعالم الإسلامي في أشد الحاجة الى تطبيق القوانين الأخلاقيّة الإسلامية كما أنّه في أشد الحاجة إلى تقوية الجيش ؛ وتجديد الأسلحة وموازنة المال وماإليها من تحسين المرافق وإعداد الوسائل ، إذ الأخلاق هي الوسيلة الأُولى ثمَّ تتبعها سائر الوسائل كما تتبع النتائج مقدماتها وكما يتبع الظل الشاخص ، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : « الخلق وعاء الدين » .

شروط البحث

إنّ الباحث في فلسفة الدين ؛ والنظريات العلمية ؛ والحالات

المذهبية يجب أن يتصف بمزايا المؤرخ ؛ فيجرد نفسه من جميع العواطف ثمَّ يحلل المسائل والمباحث تحليلاً فنياً فيعللها بعللها الحقيقية ؛ وأسبابها الواقعية ليتميز عن القصص والروايات الوهمية ؛ ويزداد رسوخاً في نفوس المستمعين وعقول المتعلمين ؛ فلنقف موقف الفيلسوف المحاول تعليل التعاليم الإسلامية بعللها الواقعية ؛ والبراهين العقلية الضرورية ؛ والشواهد الحسية الوجدانية .

ضرورة الدين

إذا ألقينا نظرة على أهم مايحتاج إليه البشر في نظام حياته وسعادة ذاته نجده منحصراً في علوم الحياة ؛ والأمنية العامة والصحة التامة ونظم الإقتصاد والعمران والرقي الإجتماعي والروحي والجسمي ؛ والمساواة العادلة والحرية المعتدلة ؛ وتوزيع العدل ؛ وتحصيل سعادة الآخرة ؛ ونجد الدين الإسلامي بكتابه المعجز الخالد لم يترك شيئاً من المذكورات إلّا أصابه ولامصلحة من مصالح البشر إلّا قررها ؛ ولا داء من أدواء المجتمع إلّا عالجه وقرر في تعاليمه دوائه ؛ وضبط الغرائز والأهواء والنزعات البشرية بأحسن مايمكن ؛ فالإسلام دين العلم ؛ ودين العمل ؛ ودين الفطرة والإجتماع ودين النظام والأخلاق قرر وجوب إتخاذ الفضائل ورفض الرذائل .

إثبات ضرورة الدين

إن للإنسان غريزة تحكم بملائمة بعض الأشياء ومنافرة بعض آخر وتدرك مايلائمه وماينافره ، يقال لها « الطبع » سواء أصابت أو أخطأت وطلب الملائم يسمى « الشهوة » ودفع المنافر يسمى « الغضب »

والغضب ، قد يختار المضر ويترك النافع ، إن الطبع إذا لم يوافق العقل يسمى « هوى » وهذه الغريزة في الإنسان مقترنة بالشعور والإدراك ؛ كما أنّ الطبيعة العديمة الشعور في الجماد مبدء الميول والحركات ؛ و « العادة » عبارة عن ملائم الطبع لم يكن ؛ أو كان ولكن قليلاً فجعل بالتكرار والتأنيس موجباً للبعث سواء كان عقلياً أو طبعياً ، أو عرفياً ، مقبولاً أو مردوداً ؛ والإنسان محكوم للطبع والعادة كما أنّه محكوم للعرف ، والعرف قانون جمهوري وضعته الجماهير وإلتزمت تطبيقه والعمل به وتقبيح تاركه ، والعرف ، إن كان مقترناً بالسلطة يسمى « سياسة » ورب عقيدة تكونت للبشر من الطبع ، أو العادة ؛ أو العرف فالإنسان بحسب طبعه وشهوته يميل الى مشتهياته ؛ ويرغب في إكتسابها من كل طريق ؛ وبكل وسيلة ، حقاً كان أو باطلاً وغضبه يحمله لدفع كل معارض له لنيل شهواته ؛ ولو كان بسفك الدماء ؛ فيحتاج الى وازع ورادع ، حتى لاينال مشتهياته إلاّ عن طريق الحق الطبيعي ؛ ولهذا أودعت فيه غريزة أُخرى ، غريزة « العقل » الفطري التي يدرك بها الإنسان العلوم النظرية ؛ ويدبر بها الصنائع الدقيقة ؛ وهو المميز للبشر عن سائر أنواع الحيوان ؛ وإن التوسط وحفظ الموازنة بين الأخلاق وهو من شئون القانون العقلي ، كماأن عقل الإنسان « المكتسب » هو مايفرق به بين الضار وبين النافع فيرجح النافع الآجل على المضر العاجل ؛ فالإنسان يرتدع بعقله عماتقتضيه شهوته ؛ فإذا خالف الطبع العقل وغلبه الهوى ؛ فلايردعه شيء ، وحينئذ يختل نظام العالم بإختلاف مقتضيات الطبع والشهوة في جميع أفراد البشر ، ولايمكن لكل واحد أن يدافع بسيفه عن نفسه وماله وعرضه ، لأن دفع الشر بالشر موجب لسفك الدماء ولاتكفي سلطة الحكومة ، لأن قدرتها محدودة فضلاً عن أنّها مخصوصة بالظاهر ؛ وموظفوها من البشر ؛ وفي طباعهم الغرائز

البشريـة ؛ ولايكفي « شرف النفس » لتأمـين جميع البشر عـلى حقوقهم وحدودهم ، لأنّ شرف النفس صفة يمتنع صاحبهـا من إرتكاب القبيـح أمام الناس ، كما أن « خسة النفس » توجب عدم المبالاة ؛ وليس لصفة الشرف ماهية معينة ؛ ولاحد محدود عند الأُمم ؛ فيؤسس عليها نظام ، يحدد الشهوات ، لوضوح إختلاف الأُمم والطوائف في ذلـك ؛ فالحيـل والدسائس والنفاق والكذب يفتخر بها السيـاسي ويعدهـا من الشرف ، بينما يعدهـا غيره من النقـائص ؛ وقتل النفس والسرقـة يفتخر بهـما أهل البـادية مثـلاً ؛ وبما أن كـل حادث معلول لعلة ؛ فللأفعـال الإختياريـة للبشر غاية تعـود الى نفس الإنسان وهـو يتصف بالشرف ؛ ويتجنب من الخسة رغبة منه في توسيع جاهه وماله وجلب ثقة النـاس ؛ وإجتنابـاً من نفورهم ؛ ولذلك نجد فرقاً عظيماً بـين الطبقـات فلايعـد خلف الوعـد ونقض العهد من الملوك ورؤساء الـدول منافيـاً للشرف بينما يعـد منافيـاً لشرف الرعايا والضعفاء ، لأن الملوك والرؤساء مأمونـون ومستغنون عن جلب الثقة ؛ وقليل من يحب شرف النفس والثناء لذاتـه ؛ ويقدمـه على الشهوات البدنية ؛ فخصلة الشرف لاتعدل الشهوات ، ولاتمنع الـظلم والتعـدي ، ولايكفي لحفظ نظام العـالم ؛ فلاعـلاج في كبح الشهـوات وإقناع البشر بحقوقه العادلة إلاّ الإعتقاد بـالمبدأ والمعـاد ، أعني الإعتقاد بـالـدين الـذي يقـرر حسـاب الآخـرة ، أمـا الـلادينيـة ؛ فهي تفسـد الأخلاق ؛ وتفني الأُمم ؛ وتزيل الغيرة والحيـاء ؛ وتكوّن جـراثيم اللؤم والخيانة والخسة والهمجية ؛ ولايدوم معها شرف النفس .

بيان آخر :

النفس ، بمعناها العام ، الشامـل للنفوس النبـاتية ؛ والحيـوانية ؛ والإنسانية ، كـمال أول لجسم طبيعي آلي ؛ ولكل نفس قـوى ؛ وآلات

بها تكون النفس منشأ آثار كمالية ؛ فمن قـوى النفس النباتيـة مثلاً القـوة الغذائية ؛ وبها تتغذى الشجرة مثلاً من الماء والأجزاء الأرضية المذابة فيه التي تصـل الى جميع أعضـائها وعـروقهـا بـالجـاذبيـة ، كـما تتغـذى من أُوكسجين الهواء بسبب تنفسها بأوراقها ، حتى تتكامـل وتبلغ الرشـد ؛ وحينئـذ تثمر ثمـرة لاتشبه شيئـاً من تلك الأغذيـة في طعمهـا ورائحتهـا وجوهرها ؛ وهي مستحيلة من تلك الأغذيـة بسبب النفس النباتيـة التي عملت تلك الإستحالة ؛ ونظير ذلك أن النفس الناطقة الإنسانية تكمل بـالعلوم والمعـارف ثم تتصرف فيهـا ؛ وتحيلهـا الى أفكـار أبكـار وعلوم ومعـارف جديـدة لاتشبه العلوم والمعـارف التي تغـذت بهـا ؛ وكـذلـك للنفس الحيوانية قوى مخصوصة ؛ والنفس الناطقة الإنسانيـة المعبر عنهـا بكلمة أنا ؛ واضحة الوجود والثبوت ؛ وهي جـوهر قـائم بنفسه وبسيط غـير قابـل للتجزئـة وليست بجسم ولاجسماني حـدوثاً وبقـاء ؛ ومجـردة ذاتـاً ، لافعلاً فـإنها محتاجـة الى البدن في تـدبيرهـا وتصرفها وأفعـالها ؛ ولاحاجة في إثبات وجودها الى دليل ، نعم أُقيمت الـبراهين عـلى إثبات أوصـافها ، لأن لـلإنسان أعمـالاً هي أفعـال جـوارحـه ؛ وليس بعض أفعاله من فعل الجوارح ؛ كالفكر ؛ فالفكر من عمل النفس الناطقـة ؛ ولـذلك قـال « ديكارت » : أنـا أُفكر إذن فـأنا مـوجود ؛ وقـد منح الله النفس الناطقة قوى وغرائز ، فالقـوة الشهويـة ، منحت للنفس لغرض بقـاء شخص الإنسان مثـلاً ؛ ولإبقاء نسله ونـوعـه ، وكـذلـك منحت للإنسان غريزة الشعور الديني « العـاطفة الـدينية » المعـبر عنها في لسـان الدين بالفـطرة ؛ وهذه الغـريزة يجـبر الإنسان الـذي يحس بأنـه موجـود حي ، على أن يفكر في مبدأ حياته ؛ وفي منتهى حياته وهذا الفكر طريق طبيعي للعقل الى معرفة المبدء تعالى شأنـه ومعرفـة المعاد وهمـا العنصر ان الثابتان الجوهريان في جميع الأديان الإلهية ، بيـد أن هذين الأصلين أعني

« التوحيد ؛ والمعاد » لم يكونا في دين من الأديان بالشكل الواضح الجلي القويم الذي قرره الدين الأسلامي ، حيث قرر الإسلام المعاد الجسماني الذي لم يستطع أحد من الفلاسفة أن يقيم برهاناً عقلياً لإثباته ، كما إعترف به رئيس الفلاسفة « إبن سينا » وقال في كتاب الشفاء : « المعاد منه ماهو مقبول من الشرع ولاسبيل الى إثباته إلاّ من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة (صلّى الله عليه وآله) وهو الذي للبدن عند البعث ؛ **وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها سيدنا ومولانا محمّد** (صلّى الله عليه وآله) حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ؛ ومنه ماهو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة ؛ وهو السعادة والشقاوة التابعتان للانفس إلخ » ونحن بعون الله وحسن توفيقه أثبتنا في مؤلفاتنا الفلسفية والكلامية نظرية لم يسبقنا إليها غيرنا فيما نعلم ؛ وهي أن اللوازم التي إعتقد الفلاسفة أنها لوازم المادة ؛ ويستحيل إنفكاكها عنها في جميع أطوارها الوجودية وإعتقدوا أن المعاد الجسماني يقتضي وجود المادة في الخارج من دون لوازمها ليست من لوازم المادة في الواقع ؛ وإنما هي من لوازم النشأة ووعاء هذا الوجود الدنيوي فمن الممكن أن توجد المادة الجسمية في خارج الذهن وفي نشأة الآخرة بدونها ؛ وحيث أن الزمن يرينا في كل يوم أن الآراء القديمة في قصر الأجسام على خواص معينة وفي حد الغايات بوسائل خاصة آراء باطلة ؛ فينبغي أن لاتعتمد الفلسفة عليها « وأما التوحيد » فإننا نعتقد بأنّه لاغنى للطبيعة في تعليل أسرارها عن التوحيد ؛ وأن محل التوحيد من الطبيعة محل الشعاع من السراج أو النتيجة من المقدمتين ؛ وإن لم يعترف بذلك الذين يدينون بالفلسفة المادية الحسية التي لاتعتقد بغير ماتلمسه وتحس به أو تدركه أو تتقرب منه ؛ وأما ماكان غير ذلك فهو في هذه الفلسفة خرافة وتضليل وذلك لأن تيار تقديس المادة الذي كان في الغرب تدريجاً يهاجمهم في

الشرق فجائياً فيضطرون أن يأخذوا النتائج كما هي وللمادة قدرة خارقة أذهلتهم فوقفوا أمامه حيرانين ولهانين ويقول علماء التاريخي الطبيعي والكيمياء والفلك : أن الخلية الحية مركبة من أربعة عناصر هي الأوكسجين ؛ والهيدروجين ، والكربون ؛ والآزوت ، غير أننا لو أردنا تركيب خلية حية من هذه العناصر مع المحافظة على نسبها الكيماويّة لما أمكننا ذلك لأن الخلية ليست تركيباً كيماويّاً فحسب ، بل هي جسم حي ؛ ويقول آخر عن الفيل ، أنّه يستخدم خرطومه كما يستخدم الأنسان يده لأن ضخامة جسمه إستلزمت قصر عنقه ؛ ولما كان تناول الطعام عسيراً عليه فقد مدت الطبيعة في أنفه وهو مانسميه بالخرطوم ؛ وبه يستطيع أن يلتقط الإشياء الدقيقة حتى الإبرة ويقول آخر عن الفصول أنّ ميل محور الأرض عن مستوى الفلك سبب حصول الفصول الأربعة التي لولاها لإستحال وجود الحياة ؛ ولكن هذه الآراء غير كافية وهذه العبارات غير موصلة الى التعليل العلمي الصحيح كما أن نسبة القصد والأحكام الى الطبيعة العمياء أمر غير معقول ولايستطاع الوصول بها الى حل مرضي لأيّة ظاهرة من ظواهر الكون والإقتناع بهذه الآراء يجعل الإدراك البشري للأشياء إدراكاً سطحياً لايكسب يقيناً ولايوصل الى حقيقة ؛ وبالآخرة يجد الإنسان نفسه أمام حقيقة مجهولة ويشغل باله هذه الأسئلة ماسر الحياة ؟ ولماذا لانستطيع تركيبها من عناصرها المكونة لها ؟ وكيف تولدت في الطبيعة الجامدة ؟ وبأية علة معقولة يمكن تعليلها ؟ وكيف تحفظ الحياة وجودها وتسري من كل فرد الى أمثاله في الأنواع المختلفة ؟ وكيف تكونت هذه المجاميع العضوية متناسبة ومترابطة لغاية مقصودة ؟ حتى لقد دعيت هذه المجاميع بالميزات النوعية ؛ وكيف شعرت الطبيعة بحاجة الفيل الى الخرطوم فمدت في أنفه ؛ وما سبب الميل في محور الأرض ؟ ولايوجد في الفلسفة الطبيعية

تفسير هذه الأمور التي يهمه تفسيرها ؛ ولا في أُصول العلم الحديث جواباً الى هذه الأسئلة أو دليلاً يوصله الى الحقيقة التي يطلبها سوى هذه الألفاظ : الطبيعة ، الحرارة ، البيئة ، الوراثة ، الأثير . . وهي ليست عللاً أولية ، بل كل منها مفتقر الى تعليل ؛ ولا يوجد في العلوم الحديثة مايشفي للإنسان علة ؛ أو يروي له غلة ، لأن العالم الطبيعي يفر من البحث عن العلل والأسباب ، مخافة أن يضطره بحثه الى الإعتراف بوجود العلة الأُولى التي هي مصدر كل حكمة ومنبع كل إفاضة ؛ فجاءت بحوثه ناقصة مبتورة ؛ وقد يضيق به مجال التعبير أحياناً فيلجأ الى هيئات المطاوعة ، مثل إنفصلت الأرض عن الشمس ، إنتظمت حركتها ، تطورت الاحياء على سطحها ، ظاناً أن هذه التعابير تغني عن ذكر الاسباب والعلل ونسى أنها من أفعال المطاوعة التي هي معلولة بالضرورة لأفعال أُخرى غيرها ؛ وقد تضطر فطرته أحياناً الى نسبة الأثر الى المؤثر ؛ فينسب مالايرى للصدفة مجالاً فيه الى الطبيعة العمياء ؛ وهو لو أنصف لرأى خطأه جلياً لا إبهام فيه ولاغموض ؛ وإنكاره عالم الروح ليس بنتيجة علم من العلوم ، أو زبدة فلسفة نشأت في قرن من القرون ووقفت حيث هي بحيث أن من قرأ ذلك العلم أو شارف تلك الفلسفة أنكر الروح والخلود ؛ كلا ؛ وإنما ذلك الإنكار حال يعتري النفوس المستعدة له فيسلب عنها أجمل صفاتها ؛ وهي الطمأنينة للحق ويجعلها مسرحاً لشياطين الشكوك والريب ، حتى أن الواحد من المصابين بهذا المرض ليشك في وجود ذاته ووجود الكون المحيط به من كل مكان وله أسباب كثيرة منشأها التربية ؛ والمعاشرة ؛ والمحيط ، والمجتمع ؛ ومقام دينه من الضغط على العقول والأفكار ؛ أو من الحرية والإطلاق . . الخ » من الأسباب التي تشكل الطباع والميول ؛ وتصب الرجال في قوالب لايقدر على بعضها أي علم من العلوم ولذلك نرى الإلحاد في

الأُروبيين في بعض طبقات الامة أكثر منه لدى العلماء أنفسهم لـلأسباب الإجتماعية والأدبية التي تعيش الأُمة في وسطها وربما يظهر لنا بـالإستقراء والتحليـل أن تلك الأسباب الإجتـماعية والأدبيـة أشد فعـلاً في إحداث تلك الحـالة الإلحـادية من العلوم التي يقصـد بها بث الإلحـاد والجمود ؛ وقد إعترفوا بأن الرأي الذي مقتضـاه عدم وجـود القصد في الكـون عند الداروينيين لايقوم عليه دليل وهو من الأوهام التي لاأساس لها من العلم ومتى ثبت القصـد في الكون فقـد ثبت وجـود المـدبـر الحكيم من طـريق محسوس لاسبيل للجدل فيه أفي الله شك فاطر السموات والأرض وكيف يتصـور أن يكون صـدور الموجـودات العالميـة عن المبدأ الأول كصـدور الضـوء عن الشمس ؛ أو الحرارة من النـار ، لأنـه يستلزم إلغـاء الإرادة الإلهيـة ؛ ومتى ألغيت هذه الإرادة تبعتهـا الحكمة والتـدبـير اللذان همـا عنصرا كل مافي هذا الكون من نـظام وإتساق ؛ واللذان لـولاهما لكـان العالم سائراً يتخبط تبعاً للمصادفات الرعناء ، وهذا لايتصوره عاقل بعد مشاهدة هذا الإبداع الحكيم في كـل جزئيـة من جزئيـات العالم ، إلاّ إذا تصور أنه وضع كمية من الأحرف الحديدية في علبـة ؛ ثمَّ أقفلها وهـزها ردحاً من الزمن وفتحها يجدها قد كونت من نفسها مقـالة ليست منتـظمة الكلمات والجمل فحسب ، بل راقيـة الإسلوب عاليـة العبارة ، سـامية المرامي والأغراض ، إن هذا القائل يسير بغير هدى ؛ ويلتمس النـور في الليل ؛ وينشد النظام في الفوضى ؛ ويتمنى الوصول الى شـاطىء الأمان وهو يتخبط في بحر الظلمات ؛ فلا مناص من وجود صانع للعـالم متصف بـالقدرة المـطلقة والقـادر المطلق يكـون واحداً ؛ ولايمكن تعـدد القـادر المطلق كما ثبت في علم التوحيد ؛ والقدرة المطلقة دليل الوحدة ﴿لـو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا ﴾ .

ضرورة النبوة والوحي

إنّ المثقفين في المعاهد العلمية يعرفون ضرورة الدين بفضل ملكتهم على إدراك غوامض العلوم ؛ وبغريزة العقل ؛ وقد قرر في الفلسفة أن الموجودات تتفاضل بشرفها ؛ ويدور التفاضل والشرف مدار زيادة آثاره الوجودية ؛ فالنبات أشرف من الجماد ؛ والحيوان أشرف من النبات ؛ والإنسان أشرف الجميع لأنّه جامع لآثار الجماد والنبات والحيوان ، مضافاً الى زيادة آثار عقله الذي هو منبع كرامته ، قال الله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ فلا مندوحة للإنسان من أعمال تلائم شرفه ، وعلوم ؛ وأخلاق سامية ؛ وهذه هي غاية الأديان الإلهية ، لقد كان الإنسان يكتفي بحواسه الظاهرة لإدراك الحقائق ؛ فرأى عدم كفايتها لأن سائر ذوي الحياة تشاركه فيها ؛ فالتجأ الى إستعمال عقله ؛ ونرى أن العقل لايمكن أن يكون كافياً لإكتناه الحقائق فنحكم بأن الإنسان يحتاج مع عقله الى معلم إلهي يحد له الحدود ؛ ويُقنن له أنظمة الإجتماع ؛ وقوانين السعادة في دنياه وعقباه ؛ فلامندوحة له عن « الشرع » وهو قانون إلهي إبتعث الله الإنبياء صلوات الله عليهم لتبليغه ؛ وذلك القانون يحرك النفوس البشرية وقواها نحو الغايات والكمالات الموكولة إليها في عالم التركيب والتكوين من مواصلة نظام الكل مع تذكيرها بمعادها الى العالم الإلهي الأعلى ، ويكون الدين أيضاً زاجراً للنفس عن الإنحطاط على مقتضيات الشهوة والغضب .

مزايا الإسلام

الإسلام أفضل الأديان الإلهية ؛ ومتكفل لجميع مايحتاج إليه

الإنسان لسعادته التامة ، قرر المساواة العادلة أمام القانون الإلهي ؛ وفي الحقوق مع تقريره التفاضل بنوع خاص ﴿ **إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ وقرر الحرية مع تقييدها بما يفيد السعادة أي لايضر غيره ؛ وأنزل الخرافات من العقول وبهذا عدل الأفكار ، إذ من قبل خرافة لايمتنع أن يقبل كل خرافة ؛ ووزع الشرف على الجميع ؛ فجعل لكل إنسان قدرة الإرتقاء بسعيه وعمله وتقواه الى أعلى الدرجات ماعدا درجة النبوة ودرجة الإمامة ؛ وبذلك أوجد المسابقة في ميدان الفضائل ؛ والنشاط في أعمال الآخرة ، إن الإسلام أغمض الطرف عن الإمتيازات الجنسية والعنصرية ؛ وجعل أساس المزية مبتنياً على الكمالات العقلية والنفسية ؛ وذم التقليد في أُصول الدين والإنقياد من دون دليل وحجة ؛ ثم قال تعالى : ﴿ **فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون** ﴾ . . إلخ ، وقال تعالى : ﴿ **ولولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ وهذا تقرير لحكم العقل بوجوب رجوع الجاهل بشيء الى العالم به ؛ ولكن الإسلام أضاف شروطاً الى حكم العقل أحدها حياة العالم المرجع للمسائل الشرعية ؛ ويستفاد ذلك من مادة السؤال في الآية الشريفة الأُولى ، ومن مادة الإنذار في الآية الثانية ، الإسلام خاطب العقل ؛ وحض على اليقين والعلم ؛ فهو دين منطقي ، لايوجد في تعاليمه شيء لايصدقه العقل .

الإسلام ، قرر الأُخوة الإسلامية في مختلف أجناس المسلمين وهذا هو السبب الوحيد لإيجاد الأمن العام في جميع العالم الإسلامي ؛ وأمر بطلب العلوم والصنايع ؛ وأوجب التربية البيتية فقال الله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ﴾ وقرر دروساً إجتماعية ومنها قوله تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ وهو الغني المطلق ، إرشاداً لنا إلى لزوم التناصر والتعاضد والتساعد ؛ وبقوله تعالى : ﴿ **خلق**

السموات والأرض في ستة أيام ﴾ دلنا على حكمة التدرج ؛ وهو تعالى شأنه قال : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ ، الإسلام دين ألّف بين قبائل العرب بعد أن كان بأسهم بينهم شديداً ؛ وبذلك التأليف إستطاعوا أن يدوخوا العالم ؛ ويثلوا العروش ؛ ويؤسسوا إمبراطورية إسلامية عظيمة ؛ ولم يكن عدد المجاهدين منهم أزيد من ثلاثين ألفاً بيد أنا نرى المسلمين اليوم قد تجاوز عددهم أربعمائة مليون في الحالة المؤلمة ؛ والأوضاع المؤسفة وهؤلاء العرب هم أبناء أُولئك الأولين في الشجاعة وأمثالهم في الثقافة والمزايا ؛ فماهو سبب إنحطاطنا وتأخرنا نحن المسلمين ؟ .

المسلمون بين الماضي والحاضر

لقد كان السلف مسلمين حقاً ؛ وكانوا معتقدين بحقيقة الإسلام ؛ وكانوا يعلمون أنهم إن قتلوا في الجهاد في سبيل الله فهم ملوك الجنة ؛ وإن فتحوا البلاد فهم ملوك الأرض ؛ ويعتقدون بأنّهم بين الملكين ، أمّا ملك الدنيا أو ملك الآخرة ، أما المسلمون في العصر الحاضر فإنهم مسلمون بالإسم لا بالحقيقة والواقع ، لقد كان المسلمون في الصدر الأول من تأريخهم متمسكين بحقائق الإسلام وكانوا يعملون بهدى الإسلام ونوره وقوته ؛ ولكن المسلمين في هذا العصر قد حال بينهم وبين شارع الإسلام ثلاثة عشر قرناً ، خلقت خلالها في التعاليم الإسلامية فوارق تمت بسبب جمود الخاصة ؛ وجهل العامة ؛ وغذتها يد السياسة ؛ وسقاها حب الرياسة ؛ ففرقت المسلمين ؛ وقسمت الإمبراطورية الإسلامية الى أقطاع وساعدت عليه أمراضهم الإجتماعية ؛ وعدم المبالاة ؛ وفقدان الإرادة وجمود ملكة الإستنباط ؛ فتجد قسماً من المسلمين جامدين على الظواهر دون معرفة حقيقة الدين

وفلسفته ؛ فجعلوا القشور وآرائهم موجبة للفوارق المذهبية ؛ وتجد قسماً آخر جامدين على تقليد الغرب متخذين من الثقافة الغربية والعلوم الجديدة قشوراً تاركين اللباب ؛ وهكذا تكونت الستائر الحاجبة حقيقة الدين الإسلامي ؛ فتفرق المسلمون فرقاً وأحزاباً ؛ وصرنا بالتخالف مصاديق لما حذرنا الله تعالى منه بقوله تعالى : ﴿ **ولاتنازعوا فتفشلوا * وتذهب ريحكم** ﴾ فأصبحنا ضعفاء .

العلاج لهذا الإنحطاط

أولاً توجيه الشعور الديني توجيهاً نافعاً ؛ وتنقيته من الشوائب ؛ وجعل التدين آلة فعالة في تهذيب الناس ؛ وتمكين العوامل المعنوية من التأثير في الحياة الإنسانية الراقية ؛ وتصيير الفضائل العملية التي قررها الإسلام كلها نظماً عملية ، « ثانياً » إقناع الشباب بأن يسلك طريقاً وسطاً لاجامداً على القديم ، ولامسرفاً في تقليد الجديد ، حتى يحتفظ بعقيدته ؛ ويدافع عن الإسلام بإعتباره صديقاً للعلم والمدنية ، ليفوزوا بالحضارة الحديثة من غير أن يفقدوا في سبيلها عقيدتهم ومميزاتهم وفضائلهم « ثالثاً » إرشاد النّشء وتثبيت العقيدة عنده بصوغ تعاليم الإسلام - التي هي آيات ثابتة وصور صحيحة لايمكن فيها تغيير ولاتبديل - في أساليب عصرية رائعة مؤثرة وترسيخها في أذهان المسلمين سيما أذهان الناشئة في مدة وجيزة قبل حياته المدرسية لتستفيد من دراسة العلوم الطبيعية والعصرية ؛ وتكون هذه العلوم لديها أسلحة عصرية وقوة إسلامية يرهب بها عدو الله وعدو الإسلام وأعداء الإنسانية ؛ وإلّا تستحيل تلك العلوم ناراً تحرق عواطفها وعقائدها وأفكارها ، فيخسرون الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين ، « رابعاً » نشر حقائق التعاليم الإسلامية على أساس الفطرة حسبما كان في عهد النبي

(صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وإعادتها الى صورها التي كانت في صدر الإسلام ؛ وتعميم التخلق بالأخلاق الإسلامية ؛ وإيجاد التوحيد في فرق التوحيد ، « خامساً » تقوية الشعور الديني في الطبقات المستنيرة ، بإعزاز مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر وتيارات التقدم العقلي وتأييده تأييداً يقوم على إحترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه إلتماساً للمعرفة ؛ فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية ؛ وعن الإرتكاز على السلطة الروحية المستبدة ، « سادساً » توضيح أن الإسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في أُوربا ويأخذه بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق الإسلامي تقليداً بلا فهم ولاعلم ظانين أنه كسائر الأديان لايصح أن يتخذ أساساً في الحياة الإجتماعية ، لكن الإسلام « دين » يصل الإنسان بربه و « شرع » ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض و « سياسة » يحدد صلات المسلمين بغيرهم من الأُمم ؛ و « أخلاق » ترفع الإنسان الى أسمى غاية من مراحل الكمال الممكن .

الدعوة الى جمع الكلمة

فلننهض لتوحيد صفوفنا ؛ وإيجاد القوى المادية والأدبية حسبما أمرنا الله تعالى بإعدادها بقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ماإستطعتم من قوة ﴾ وليأتين كل واحد منا بمايقدر عليه ولو كان ضئيلاً ؛ فمن تراكم ذرات التراب تكونت أعظم الجبال ؛ ومن تراكد قطرات الماء تألفت البحار ؛ ولايخفي أن إنحلال الخلافة الشكلية جعل الإتحاد السياسي للمسلمين كغير الممكن لأنّ المملكة الإسلامية الإمبراطورية تقطعت ؛ وأصبحت كل قطعة من بلاد المسلمين تتبع سياسة حليفتها أو مستعمرتها من الحكومات الغربية القائمة على القوميات المختلفة والمطامع الإستعمارية

التي ليس في الإمكـان إتفاقهـا وإتحادهـا ؛ ولامناص لحكـومة القـطعـة الإسـلامية المستقلة من أن تـوحد سيـاستها مـع حليفتها الغـربية ؛ وفي الوقت ذاته أوجـد إنحلال الخـلافة إمكـان الإتحاد الـديني للمسلمين ، الذي لم يكن ممكناً مع وجود الخليفة الذي كان في يده كـل شيء من أُمور المسلمين ؛ وهو كان ملكاً له سياسة وكان ينفذها بإسم الدين ، أمـا وقد إنحلت الخـلافة ورجـع الأمر للمسلمـين ؛ فقد أصبـح في أيديهم هـذا الإتحاد الديني عن طريق تهيئة الإتحـاد في الحالات الإجتـماعية والتعـاون على تهذيب الأخلاق ؛ وتقريب وجهات النظر في المذاهب الإسلاميـة ؛ وتوحيد الكلمة الدينية ؛ والدفاع عن العقائـد الإسلاميـة المشتركـة التي هي الأُسس القويمة لجميع المذاهب الإسلامية ؛ ولأجـل ذلك رأينـا من الواجب أن ندعوا جميع فرق المسلمين الى هذا الإتحاد ؛ وهذه الوحدة ؛ ونحن نرى إمكان هذا التوحيد ، لأن أُصول الـدين عند الشيعـة والسنة ثـلاثة ، التـوحيد ، النبـوة ، المعاد ؛ ومن إعتقـد بهـا فهـو مسلم عنـد الجميع ؛ وأما الإمامة ؛ والعدل ، فهما أصـلان مذهبيـان لدى الشيعـة يعتـبران لكمال الإيمـان ؛ وفروع الـدين من العبادات المتفق عليهـا عند الفريقين هي الصـلاة والصوم ، الـزكاة ، الحـج ، الجهاد لحفظ بيضـة الإسـلام ؛ والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر ؛ وهذا الأخـير من أهم التعاليم الإسلامية الموجبة لبقاء الإسلام خالداً الى آخر الدنيا ؛ ويشترط فيه أن يكون وسيلة للخير ، لقوله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أُمـة يدعـون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون** ﴾ وأما إذا كان طريقاً للشر ، كماإذا أوجب تفرقـة بين المسلمـين ؛ ووسيلة للفوارق المذهبيـة فهوحـرام ؛ وهو المـراد بقولـه تعالى : ﴿ **ولاتكـونوا كـالذين تفـرقوا وإختلفـوا من بعد مـاجاءتهم البينـات * وأُولئـك لهم عـذاب عظيم** ﴾ أي بـترك الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر الذي همـا

وسيلتان للخير ، أو باتخاذهما وسيلة للتفرقة والشر ولقد وافق على دعوتنا هـذه ، علماء هذه البلدة ؛ وأُمـرائها وزعـمائها وشيـوخها ؛ وشبـابها ؛ وكهولها ؛ وشاهدنا الإقبال عليها عاماً شاملاً ، حتى بتنا لا نخـاف عليها إلاّ من إنقطاع الحركة بعد سفرنا ومغـادرتنا هـذه البلدة ولذلـك أرى أن تؤلف لجنة خاصـة لتقوم بهـذا الأمر والـدعايـة له ، عـلى أن ترتبط هـذه اللجنة مع اللجان الأُخرى في سائر البلاد .

أمـا اللجنة المـركزيـة ـ التي إتفقنا عليهـا مع فضيلة شيـخ الجـامـع الأزهر ـ فإننا سنضع لها برنامجاً يؤدي الى عقـد مؤتمر إسـلامي عام يمهـد بـاللجان المنـوه عنها لعقـدة وتسهيل مهمتـه و ﴿ **إن أردت إلاّ الإصلاح مـا إستطعت ومـاتوفيقي إلاّ بـالله عليه تـوكلت وإليـه أُنيب** ﴾ والسـلام عليكم ورحمة الله .

***

الخطبة الخامسة

الخطبة الخامسة

التي إرتجلها الإمام الزنجاني في مؤتمر العلماء المنعقد بدمشق بتاريخ « ١١ ـ ١٣ رجب ١٣٥٧ هـ » و « ٦ ـ ٨ أيلول ١٩٣٨ » وتعليقات الصحف الدمشقية عليها ، نقلاً عن جريدة الإنشاء الدمشقية ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٨ أيلول ١٩٣٨ العدد ٥٤٦ السنة الثانية ونقلاً عن جريدة « الأيام » الدمشقية العدد « ١٦٤٦ » ٨ أيلول ١٩٣٨ . ونقلاً عن جريدة « الإستقلال العربي » الدمشقية ١٤ رجب ١٣٥٧ و ٩ أيلول ١٩٣٨ العدد ٢٣٩ ـ ٣١٤ ـ ١٣ .

أجاب الإمام الزنجاني دعوة للحضور في « مؤتمر العلماء الأول » لكي يمثل فيه الشيعة الإمامية ؛ وعبثاً حاولت الحكومة الفرنسية المستعمرة أن يحول دون وصول الإمام الزنجاني الى المؤتمر ؛ وحذرت الأكثرية النصرانية في لبنان من مساعي الإمام الزنجاني لتحقيق الوحدة الإسلامية ؛ وعبثاً تعندت وإعتزت بأساليبها الإستعمارية لتمنع الإمام الزنجاني من دخول سوريا ولبنان ؛ فإن زعماء العرب والمسلمين ، وملوكهم وفي طليعتهم جلالة الملك غازي الأول ملك العراق إستطاعوا أن يفتحوا الطريق ـ رغم جهود المستعمر ـ للإمام الزنجاني ؛ فدخل سوريا وحضر في مؤتمر العلماء الأول بإعزاز وإجلال لامزيد عليهما .

عقد مؤتمر العلماء الأول في دمشق جلسته الأُولى في الساعة الرابعة بعد ظهر أمس المصادف ١١ رجب ١٣٥٧ برآسة أكبرهم سناً وهو الإستاذ الشيخ طاهر الأتاسي مفتي حمص ، وشقيق رئيس الجمهورية السورية السيد هاشم الأتاسي ؛ وكانت رغبات جميع أعضاء المؤتمر متفقة

على إنتخاب الإمام الزنجاني رئيساً ؛ ولكن سماحته قال : إن المصلحة تقضي بتعيين فضيلة الشيخ طاهر الأتاسي رئيساً ـ لمناسبات لاتخفى ـ فإمتنعت الأكثرية أولاً ؛ ثم وافقت نزولاً عند إرادة الإمام الزنجاني .

وفي الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر أمس « الأربعاء » عقد مؤتمر العلماء الأول جلسته الثانية وبعد إفتتاح الجلسة القى الإمام الشيخ عبد الكريم الزنجاني كلمة أشار فيها الى المؤتمرات التي عقدت منذ سنين دون أن يستفيد منها أحد في العالم الإسلامي وقال :-

إذا أراد هذا المؤتمر أن يحصر أبحاثه ومقرراته بالشؤون الإقليمية فإنه لايعمل عملاً ولايسجل شيئاً وذكر أن هذا المؤتمر سيكون أفضل من المؤتمرات السابقة ؛ ويكون مؤتمراً عالمياً تاريخياً بمقرراته الدينية ، لأن الدين من الشؤون العامّة العالمية ؛ وتكلم عن رسالته التي يدعو إليها وهي الوحدة الإسلاميّة وأفاض ببيان ضاف عن مذهب الشيعة الإمامية البالغ عددهم في العالم ثمانين مليوناً ؛ وتحدث عن المخابرات التي تمت بينه وبين فضيلة المراغي شيخ الجامع الأزهر وسائر علماء المسلمين ؛ ثمّ تلى الكتب المتبادلة بينه وبين زعماء الأقطار الإسلامية والعربية بشأن الوحدة الإسلامية وتأليف مجلس إسلامي أعلى وقدمها الى المؤتمر فأحيلت الى اللجنة التحضيرية .

نص الخطبة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء وفضل مدادهم على دماء الشهداء وصلى الله على أشرف أنبيائه محمّد وآله الأئمة وأصحابه الأُمناء وبعد فقد قال الله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين**

يعلمون والذين لايعلمـون ﴾ طالما كنت أتمنى أن يقوم العلماء من جميـع المذاهب الإسلامية بواجبهم ؛ فيلتقـوا في مؤتمر عـام تتجدد دوراتـه من حـين لحين في مختلف الممالك الإسـلامية ليتشـاوروا في إصـلاح التعليم الديني ؛ ويضعوا الخطط للدفاع عن الجهة المشتركة ويتعاونوا في العمل لصالح الإسلام والمسلمين الإجتماعي جريـاً على سنـة عصرنا الحـاضر ليكـون عملهم أدعى الى الرضـاء العام وأفعـل في الوصـول الى الحقائق وأرى أن أحسن الوسائل لضمان مستقبل لهذا التعاون بين علماء المستقبل أن ينشـأوا تحت نظام من التعليم والـتربية متشـابه ليسهـل ذلـك عليهم التفاهم والعمل لتحقيق المقصد الأسمى ويحصل بذلك توحيد الثقافة ؛ ووحدة الشعور والمشاعر فيزول الإختلاف والإفتراق عن أساسـه لأن من أهم الواجب على العلماء أن يبذلوا أقصى جهودهم لجمع كلمـة المسلمين الـذين تجمعهم عقيدة التـوحيد ومقـاصد الإسـلام للحصول عـلى روح الإتحاد في العمل لحفظ العقائد الإسلامية المشتركة ؛ ومكـافحة الإلحـاد والفوضى الإخلاقية ؛ ولتنظيم العمل الإجتماعي ؛ والوحدة الروحية ؛ ورفع كيان المسلمين الى المستوى الأعلى في حياتهم الإجتماعية ؛ والعمـل على تقريب وجهات النظر بين الطوائف الإسلامية المختلفة بحيث يشعر الكل أنهم إخوان في الإسـلام يحتاجـون الى التضافـر والتعاون بـدلاً من المخاصمة والعداء ؛ ودفع الشبهـات التي يلقيها الأعـداء على الإسـلام وإرشاد النشء وتثبيت العقيدة عنـده ؛ والحيلولة بينـه وبين الإفتتـان بما يملك خصوم الإسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة ، أيّها الأعـلام :

أرى مـن الـواجـب في هـذه الكلمـة التي رغبتـم إلينـا في أن أفتتـح بها هذا المؤتمر أن ألفت أنظاركم الى المؤتمرات التي عقدت منذ سنين دون أن يستفيـد منها أحـد في العـالم الإسـلامي ؛ وإذا أراد هـذا المؤتمـر ـ مؤتمـر العلماء ـ أن يحصر أبحاثه ومقـرراته بـالشؤون الإقليمية ؛ فـإنه لايعمـل

عمـلاً ولايسجل شيئـاً وأتمنى أن يكون هـذا المؤتمر أفضـل من المؤتمـرات السابقة ؛ وأن يصير مؤتمراً عاماً تـاريخياً بمقـرراته الـدينية ؛ والـدين من الشؤون العامة العالمية ، لاسيما دين الإسلام في مبادئه الإنسانية السلمية العليا ؛ وفي قواعده الحكيمة الرفيعة العـامة ؛ وفي أهـدافه الإصـلاحية التنـظيمية الإجتـماعية الكـبرى لايقتصر عـلى أن يكـون عقيـدة فـرديـة خاصة ، بل هو أيضاً عمل وأمل ؛ وهمة وإنتظام ؛ وحسن تدبـير للحياة المشتركة بين من يعيشون تحت سماء واحدة تظلهم ؛ وفوق أرض واحـدة تقلهم ؛ ورسالة إجتماعية عامة الى البشر قاطبة ، جاءت تحمل الإحترام لـلإنسان مـطلقاً ؛ والـرحمة العـامة بـين الناس مهـما إختلفت أجناسهم ومذاهبهم ، ليعيشوا بعيدين عن العصبيات الـذميمة التي تقـطع عليهم طـريق التعاون في العمـل المفيد للمجمـوع ، تلك العصبيات التي أينـما وجدت اليوم فإنما هو أثر سيء وطابع كريه من طـوابع الإستعـمار القديم والحديث الذي يئس اليوم من أن يبرر مقـاصده الغـاشمة فلم يـر وسيلة أكـبر مفعولاً في إخفـاء تلك المقاصـد وسترهـا عن أنظار الضعفـاء المبينة لهم ، سوى إيجاد النعـرات المذهبيـة ؛ والعصبيات الـطائفية ، ليلهيهم عن شؤونهم وشجـونهم ، متبـاكيـاً بـدمـوع الكـذب عـلى من يسميهم بالأقليات زاعـماً حمايتهـا لتثبيت أقدامـه فوق مخـانق الجميع ، عـلى نحو الإسلوب الشيطاني الذي قال فيه نبينا (صلّى الله عليه وآله) : « أمابعد أيّها الناس فـإن الشيطان قـد يئس أن يعبد بـأرضكم هذه أبـداً ؛ ولكنه يطمع فيما سوى ذلك ؛ فقد رضي به مماتحقرون من أعمالكم ، فـإحذروه على دينكم » وإذا كان الإستعـمار قد حـاول أن يمس بهذه الفكـرة الخبيثة وطنيـة رجال السيـاسة في شيء مـا ؛ فقد إستهـدف أيضـاً أن يجني عـلى الدين الإسلامي في المراكز الإسلامية جنـاية كـبرى في وصمه ؛ وتشـويه سماحته ورحابته في مبـادئه الحيـوية الإنسـانية العـامة والـبريئة من كـريه

العصبيات وفكرة العدوان ، ذلك لأن الدين الإسلامي ـ وهذه مبادئه ـ لايجتمع مع الإستعمار في مكان أو زمان ؛ وهو أكبر ضمان للعمل الدائب على طرده ؛ وحفظ وحدة الصفوف في الحياة المشتركة بين المسلمين قال الله تعالى : ﴿ **ياأيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ وقال نبينا (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » لذلك وجب على علماء الإسلام أن يبادروا الى وظيفتهم في مضاعفة الجهود لعرض حقائق الإسلام وصحائفه الناصعة التي تتكفل بخدمتين عظيمتين هما ، حسم دسائس الإستعمار ؛ وتمتين الإسلام في نفوس أبنائه ذلك التمتين الذي من نتائجه تحقيق إتحاد شامل بين المسلمين على أساس العقيدة الإسلامية النبيلة لاعلى أساس المجاملات الفارغة ، الأمر الذي لايحمل سوى علماء المسلمين العمل في مضماره ؛ ولما كان تعاقب الحوادث المؤسفة قد أفقد المسلمين كثيراً من مقوماتهم الدينية والأخلاقية ؛ والإجتماعية حتى أصبح منظوراً في حياتهم من هذه النواحي نواقص كثيرة ، يجب تلافيها في ظواهرها وخوافيها ؛ وكان التطور الزمني الذي يسايره الإسلام يقضي بأن يكون ذلك التلافي منظماً وعاماً في جميع المراكز الإسلامية ، قائماً على أيد قوية دائمة في جبهة موحدة مشتركة من علماء المسلمين ، شعر العلماء بضرورة التعارف والتوافق ؛ وعرفوا أن التفكير بإيجاد كيان منظم لهم أضحى في مقدمة الأُمور التي يتطلبها هذا العصر المادي الذي لايقدر إلّا القوة ولايهتم إلّا بالمنظمات ذات البرامج الموضوعة والأعمال البارزة والصوت الداوي ، أما من يعمل في زوايا البيوت ؛ وبين جدران المعابد والمدارس ؛ ولايصل صوته الى المجتمع الصاخب ، الذي يعيش فيه العالم اليوم فلا حظ له في الحياة ، ولانصيب له من مباهجها ونعمائها ؛ وإن أشد

مـايأسف لـه العقلاء أن يـرى علماء المسلمين قـد سلكوا تلك الـطريقـة الخـاطئة في العـزلة والإنـزواء والصدوف عن الإهتـمام بشؤن المسلمـين الدنيوية إلى جانب الشؤن الدينية رغم أن هذا مما يتنافى مع روح الإسلام ومـع السنن النبويّـة (صلّى الله عليـه وآله) التي إتبعهـا أئمـة المسلمـين ورجالات الإسلام الأولون الذين كانت لهم الجولات المعروفة في ميادين الحـرب والإدارة والسياسـة على جـانب مـواقفهم الـدينيـة والأخـرويـة العـظيمـة ؛ ولم يكن العلم ليمنعهم عن الإنصراف الى العمـل المتصـل مباشرة بالحياة ؛ ولم يكن الدين والإنعكـاف ليحول بينهم وبـين الإهتمام بالشئون الدنيوية للمسلمين ، عمـلاً منهم بقولـه تعالى : ﴿ **وإبتـغ فيما آتاك الله الدار الآخرة * ولاتنس نصيبك من الدنيا** ﴾ والقول المأثور عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السّـلام) : « إعمل لـدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ﴾ وكـانوا مؤمنـين بأن الدنيا مزرعة الآخرة ، أجل لقد كان علماء المسلمين الأولون يعرفون الواجب الثقيل الملقي عـلى عاتقهم ؛ وكـانوا يعلمـون أن « العلماء ورثة الأنبياء » وهل وظيفة الأنبياء غـير الوعظ والإرشـاد ؛ وإنقاذ البشريـة مما ترتطم به من الضلال والمفاسد والأخطاء ؛ والسير بهـا الى طريق الهـدى والصـلاح ؛ والعمل المثمـر الـطيب ؛ ولهـذا كـان للعلماء ذلـك المقـام السامي لدى الخلفاء والأُمراء والسلاطين والرأي العام وكـان لكثير منهم النصيب الأكبر في تسيير الأُمور ؛ وإدارة الممالك ؛ والقيام بأثقل الأعبـاء والإستشارية والسياسية والإدارية ؛ ولم يكـن هـذا حـائلاً دون إشتغـالهم بالعلم ؛ أو تلهيهم عن أُمور الـدين ، بل كـان الأمر بـالعكس من ذلك لأنه عندهم من جملة ماقرره الإسلام المتكفل لسعـادة المسلمين في الـدنيا وفي الآخـرة ؛ ونظرة واحـدة الى التاريـخ الإسلامي تثبت لنـا أن أعظم رجال الإنتاج العلمي في العهود الإسلامية الماضية كان من العلماء الذين

تولوا المناصب الرفيعة في الدولة الإسلامية كالشيخ رئيس الفلاسفة إبن سينا ودعامة الإسلام الخواجة نصير الدين الطوسي ؛ وآية الله العلامة الحلّي ، أقرب المقربين في بلاط السلطان الجايتو محمّد خدابنده ؛ وأمثالهم الذين تشعشع بهم مذهب التشيع الإسلامي ؛ وإن تلك العصور الذهبية التي كان يضطلع فيها العلماء بأكبر المسؤليات والمناصب الإسلامية قد تركت لنا تراثاً من البحوث الدينية والفقهية والكلامية والعلمية ؛ والفلسفية ؛ والمؤلفات الثمينة لم نجد أثراً لشيء منها في العصور التي إعتزل فيها علماء المسلمين الشؤون الدنيويّة ؛ وإنزووا بين جدران التكايا وفي حجرات المدارس والمساجد ؛ ولو رحنا نلتمس السبب في هذا الجمود الذي إستحوذ على العلماء ؛ فأنساهم المهمة التي إنتدبهم الإسلام لها ؛ والواجب العظيم الذي ألقاه إليهم العلم الذي ينتسبون إليه لما رأينا ذلك السبب إلاّ كامناً في نفوسهم ؛ فهم الذين رضوا بالمكانة التي وضعوا أنفسهم فيها ؛ وتركوا المكانة التي عينها لهم الدين ؛ فكانوا في ذلك الجمود وهذا التواكل ملومين من جانب الله تعالى ؛ ومن جانب المسلمين ؛ ومن جانب أنفسهم وإذا رأينا العلماء يفكرون - بعد نوم طويل - برابطة تجمع شملهم ؛ وجمعية ترأب صدعهم ؛ ويعقدون مؤتمراً للتفكير بمايعود عليهم وعلى المجتمع الإسلامي ؛ وعلى العلم الديني الذي كاد أن يتداركه الإضمحلال ، بالنفع فإن هذا العمل - وإن جاء متأخراً - فهو يدعوا الى الإعجاب والإكبار ؛ ويوحي الى النفوس العمل بإحياء ماكان يندثر من تراث السلف الصالح ؛ ويبشر بأن موجة الإلحاد والتبشير التي تطغى علينا من الغرب والشرق ستجد أمامها بعد اليوم سداً منيعاً يحول دون تسربها الى بعض العقول الطائشة وذوي الإيمان المتزعزع ؛ ولاشك أن هذا المؤتمر - الذي لي شرف الإنتماء إليه - يعرف ثقل العبء الملقى على عاتقه في

الإصلاح الديني وتوحيد كلمة المسلمين ومحاربة البـدع ؛ وإعلاء كلمـة الله ؛ ورفع مستوى العلماء ؛ ومتى تم له ذلك فميادين العمل بعـد ذلك رحبة له أن يدخلها متى شاء ؛ وهذا المؤتمر في خطواته الأُولى بحاجـة الى العمل في جو هادىء حيادي ، لايعكـر عليه فيـه معكر ؛ ولا يـترك مجالاً لسلطة ـ بالغة مابلغت من القوة ـ أن تتخذ أي حجة للتدخل بشئـونه ؛ والعمـل على عـرقلة مساعيـه وإصـلاحـاتـه ، التي تحتـاج إليهـا الأُمـة الإسلامية أشد الإحتياج ؛ كمانرجـوا أن تكون مقـررات المؤتمر ممـايمكن تنفيذه ولا يستحيل القيـام به ؛ والعـبرة ليست في إتخاذ المقـررات ووضع الخطط ، بل في تنفيذها والإستفـادة منها وإن قـراراً واحداً يمكن تنفيـذه خـير من ألف قـرار تبقى مسجلة في الصحف وفي الـطروس ، ويجب الإنتبـاه على أن الإمـبراطوريـة الإسلاميـة زالت عن الوجـود بدسـائس إستعمارية وأصبح في مكانها حكومات صغيرة وتفرقت الأُمـة الإسلاميـة الكـبرى والعريقـة في المجد والعـظمة الى شعـوب صغيرة وأُمم ضعيفـة متحفزة الى النهوض والحيـاة في هذا العصر الـذي يمتاز عن غـيره بتزاحم العوامل المختلفـة فيه من مـادية ومعنـوية ؛ ولمـاكانت الأدوار الإنشـائية العـامة في تكـوين الأُمم المتحفزة الى النهـوض والحياة من أخـطر الأدوار التي تمر بها الأُمم كما في عهدنا الإنشائي الحـديث اليوم ، إذ تكـون تلك الأدوار مفترق طرق يقذف بالسائرين فيه إما الى هناء وإما الى شقاء ـ من حيث تشعر أو لاتشعر ـ في ركني حياتها المـادي والروحي قضى الـواجب المحتم على كل ذي إخـلاص وإختصاص أن يبـادر الى المساهمـة في بنيان أُمته الناشئـة بهمته الصـادقة ضمن خـطته وإختصـاصه ، ليكـون مليء الصحيفـة بالآثـار الناطقـة الناصعـة ، بـرىء السـاحـة من السؤال عن التهاون في التعاون للحياة الصـالحة ؛ ولماكان شأن رجال الدين يقف بهم على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن للأُمـة تلك الحياة الصـالحة وثمـراتها

اليانعة ؛ والعمل على مايداوي عللها ؛ ويسد خللها ؛ ويمنع زللها ؛ ويصعد بها عارجاً في مراقي الكمال البشري وفضائل الإنسانية ؛ كي لاتطغى عليها المادة فتفرقها في ضلالها عن خالقها ، وتجمع بها النزعات في شهواتها ؛ فتنسيها أمانتها وواجباتها وأخلاقها ؛ فترجع القهقري من حيث تظن التقدم ؛ وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغي السمو ؛ فمن المؤسف مابلغني من أن أحد المشاهير بالورع من علماء إخواننا السنة في دمشق ـ الشيخ علي دقر ـ العضو في هذا المؤتمر أفتى في هذه السنة بحرمة ذبيحة الشيعي حينما أحل هذا المفتي ذبيحة النصارى واليهود ؛ ولقد أوجدت هذه الفتوى العجيبة مشاكل عظيمة في ضواحي دمشق والأرياف ؛ وأحدثت تفرقة عظيمة حالت دون تحقيق مايتوخاه هذا المؤتمر من توحيد كلمة المسلمين وتقريب بعض طوائفهم من بعض ؛ وهذا المفتي لم يلتفت الى أن الإسلام دين عام خالد ؛ ولم يجعله الله تعالى خاتم الأديان وهو يريد به التفريق بين الأهل والعشيرة ولا بين العناصر والطوائف والمذاهب ولا بين أبناء الوطن الواحد ولا بين النوع الإنساني بأكمله ، بل إثبت به السعادة المزدوجة لتوفق بين مطالب الروح ومطالب الجسد على مقتضى ناموس عادل ؛ وصراط مستقيم ونظر الإسلام الى الأمم الإسلامية بإعتبارها طائفة واحدة تحدها العقائد المقدسة المشتركة : التوحيد ؛ والنبوة ، والمعاد ؛ والقرآن الكريم ؛ والإتجاه الى القبلة وصلاة إليها وسائر ضروريات الإسلام التي تعتقد بجميعها الشيعة وجميع المسلمين ويعملون بها جميعاً ؛ فلا ينظر الإسلام الى عنصر ؛ ولا الى مذهب ، بل الى وحدة خلع الإسلام عليها ثوبه ؛ وجعلها تحت رايته ؛ فاصطبغت بصبغته ؛ ودانت بكتابه فقال الله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ولقد كلفنا الإسلام بجميل الخصال ومحاسن الخلال ، لنفعلها فيما بيننا ونقوم بها نحو العالم أجمع ، طارحين

علـى إختلاف الـديانـات والمذاهب غـطاءاً كثيفاً وحجـاباً غليـظاً ، لأن الخطر الذي يداهم الإنسانية ؛ والشرور التي تغمرها وتطغى على مابقي في النفوس من هيبة وإحترام للنظم الإلهية لاتجيء من أديان المخـالفين ، وإنما تجيء من الإلحاد ؛ ومن المـذاهب التي تقـدس المـادة وتعبـدهـا ؛ وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزواً ولعباً ؛ فطريق الإصـلاح في العالم الإسلامي المتموج بموجات الإضـطراب ، بعد أن منيت الإمـبراطوريّـة الإسلاميّة بالإنحلال ؛ وإستحوذت عليه الفوارق أن نجعل دعوتنا إليـه بالحكمة والمـوعظة الحسنـة والجدل الـذي لايجرح العـواطف ؛ وننهض للعمل الجدي المتواصل لتـوحيد فـرق التوحيـد ؛ وجمع كلمـة المسلمين عـلى إختـلاف مـذاهبهم ؛ وتـوحيــد صفـوفهم وتقــريب بعضهم من بعض ؛ والنظر الى سيرة أرقى الممثلين للمذاهـب الإسلاميـة لاإلى أحط الآخذين بها ؛ وتنقيـة الشعور الـديني من الشوائب والأغـراض وتحقيق الإخـاء الإسلامي العـام الشامـل والوحـدة الإسـلاميـة الكـبرى ؛ ثم التدرج في الإرتقاء الى مـرحلة تحقيق الوحـدة الدينيـة ، مع أهـل سائـر الأديان السماوية المدلول عليها بقوله تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمـة سـواء بيننـا وبينكم أن لانعبـد إلاّ الله ولانشرك بــه شيئـاً** ﴾ والإنتهاء الى الإخاء الإنساني الشامل : المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ **ولقد كـرّمنـا بني آدم** ﴾ أيهـا الأعـلام إسمحـوا لي أن أُلخص عقـائـد الشيعـة الأمامية التي أمثلها أنا في هذا المؤتمر تمهيداً لإقتراحـاتي التي سينظر المؤتمـر فيها عسى أن ينتبه بها فضيلة المفتي ويعيد النـظر في فتواه بعـد أن يرى أن عقيدة الشيعة عين عقيدة المسلمين الذين كانوا في عهـد النبي (صلّى الله عليه وآله) وكان رسول الله يأكل من ذبيحتهم .

***

عقيدة الشيعة الإمامية في التوحيد

شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وفي آثاره ؛ والإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وتعتقد بأن الله تعالى واجب الوجود بذاته ولذاته وفي ذاته ؛ ومنزه عن التجسم ، والحلول والتركيب والنقائص ؛ ومستجمع لجميع صفات الكمال من العلم والقدرة والإرادة والعدل ونحوها ؛ وأن صفاته الحقيقية عين ذاته ؛ وهو الواحد الأحد لاشريك له في الألوهية ؛ ولافي المعبودية ولافي الفاعلية ؛ وماسواه من العالم صنيعه لاإله غيرة ؛ ولامعبود سواه ؛ ولاحول ولاقوة إلاّ به له الخلق والأمر ؛ ولامؤثر غيره في عالم الوجود ؛ وهو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والإيجاد والإعدام ، والعفو والعقاب ؛ فمن إعتقد أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الإسلام ؛ ولاتجوز العبادة إلاّ لله وحده لاشريك له .

عقيدة الشيعة في النبوة

تعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم والرسول الخاتم (صلّى الله عليه وآله) رسل من الله وعباد مكرمون بعثهم الله لدعوة الخلق إليه ؛ وإن محمّداً بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله) خاتم الإنبياء وسيد الرسل ؛ وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة ؛ وأنه ما إرتكب المعصية مدة عمره ؛ وما فعل إلاّ مايوافق رضاء الله سبحانه حتى قبضه الله إليه ؛ وأنه بلغ جميع رسالته من الله تعالى فأستحق أجر الرسالة المنصوص عليه بقوله تعالى : ﴿ قل

لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ وأن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين « القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام ؛ وتمييز الحلال من الحرام ؛ وأنه لانقص فيه ولاتحريف ولازيادة ؛ وأن كل من إعتقد أو إدعى نبوة بعد نبوة محمّد (صلّى الله عليه وآله) أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر .

عقيدة الشيعة في المعاد

تعتقد الشيعة الإمامية كما يعتقد سائر المسلمين أن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء ؛ ولولاه لما صح التشريع ؛ وأن المعاد هو الشخص بعينه وبجسده وروحه بحيث لو رآه الرآئي لعرفه ، ويؤمنون بجميع مافي القرآن الكريم والسنة القطعية من الجنة والنار ؛ ونعيم البرزخ وعذابه ؛ والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذي لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلاّ أحصاها ؛ وإن الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ؛ وإن شراً فشر ، **﴿ ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾** ، « وتعتقد الشيعة » الإمامية أن لله في كل واقعة حكماً حتى أرش الخدش ؛ ومامن عمل من أعمال المكلفين من حركة أو سكون إلاّ ولله بحسب الدين الإسلامي فيه حكم من الأحكام الخمسة ، الوجوب ؛ والحرمة ، والندب ؛ والكراهة والإباحة ومامن معاملة على مال أو عقد نكاح ونحوهما إلاّ وللشرع الإسلامي فيه حكم من صحة أو فساد ، أودع الله جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله) وعرفها النبي (صلّى الله عليه وآله) بالوحي ثمَّ بينها حسب حدوث الوقايع وحصول الإبتلاء مراعياً في تبليغها حكمة التدريج ؛ ثم أودع البقية عند أوصيائه ؛ وإنتهى الأمر في زمن الغيبة الى الإجتهاد

وإستنباط ذوي الملكة أحكام الفروع من كتاب الله وسنة رسوله (صلّى الله عليه وآله) إذ يقضي كون الإسلام ديناً عاماً خالداً بلزوم فتح باب الإجتهاد دائماً الى آخر الدنيا ، وتعتقد الشيعة بوجوب الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد ؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وبجميع ماقرره الدين الإسلامي من الحقوق المتبادلة ، والنظم الكافية وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الزمان في كل أطواره ، ويدور مع الدهر في جميع أدواره ؛ ويسد حاجات البشر ، في نظم معاشهم ومعادهم ؛ وجلب صلاحهم ؛ ودرء فسادهم .

« ولما وصل الإمام الزنجاني في خطابه الى هذا المقام ، نهض فضيلة الشيخ علي الدقر ؛ وإعتذر عن فتواه وأعلن حلية ذبيحة الشيعة » فشكره المؤتمر الذي بلغ أعضاءه مائة وخمسة أعضاء ؛ ولم يكن بينهم عالم شيعي سوى الإمام الزنجاني ؛ وبينما كان الإمام الزنجاني يشرح على المنصة مذهب الشيعة الإمامية وعقائدها في أُصول الدين وفروعه ؛

وكانت هيئة الحكومة وأُلوف المستمعين وأرباب الصحف وأعضاء المؤتمر يستمعون إليه بكل عناية إذ نهض رئيس المؤتمر - وهو أكبر الأعضاء سناً وشقيق رئيس الجمهورية السورية - وتكلم بكلام عن الشيعة لايصور الحقيقة بل قد يمهد للفتنة فرد عليه الإمام الزنجاني رداً شديداً أوقفه عند حده ؛ وشفعه بحكمة أفهمته أن الحق أحق أن يتبع وسيطر الإمام الزنجاني على الموقف سيطرة قوية ، لو كانت دمشق وطنه ، ولو كان رئيس الجمهورية شقيقه ؛ وكانت أعضاء المؤتمر كلهم من الشيعة لم يكن أن يكون موقفه أشد من الذي قام به » ثمَّ إلتمس المؤتمر من الإمام الزنجاني أن يستمر في خطابه فأجابهم وقال : اللهم إنا أصبحنا في زمن إختلط فيه الحابل بالنابل ؛ وصال فيه المقعدون ؛ وقعد فيه الصائلون

وإنتحل التدريس والعلم والقضاء قوم لاتليق بهم نعمة الشعور ولاتنسبغ عليهم ظلال العلم فإغتصبوا العالم مجاله والناطق معتركه ومصاله إنا لله وإنا إليه راجعون ولاحول ولاقوة إلاّ بالله العلي العظيم . ثمَّ قال :

عقيدة الشيعة في الإمامة

تعتقد الشيعة الإمامية أن الإمامة رئاسة في الدين والدنيا ومنصب إلهي لمن يختاره الله بسابق علمه ويأمر النبي (صلّى الله عليه وآله) بأن يدل الأُمة عليه ويأمرهم بإتباعه والإمام حافظ للدين وتعاليمه وللقرآن من التغيير والتبديل والتحريف وحيث أن الإسلام دين عام خالد كلف الله تعالى به جميع البشر وتعاليمه فطرية أبدية أراد الله بقائه الى آخر الدنيا فلابد من أن ينصب الله إماماً لحفظه في كل عصر لكي لايتوجه نقض الغرض المستحيل على الحكيم تعالى والشيعة مع إعتقادها بالنص في الإمامة وربط مابعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) الى ماقبلها لاتعتبر الإمامة أصلاً من أُصول الإسلام ويعتبر كل معتقد بالتوحيد والنبوة والمعاد مسلماً وإن لم يكن معتقداً بالإمامة له ماللمسلمين وعليهم ماعليهم فالإمامة عند الشيعة أصل مذهبي يؤدي الى تكميل الإيمان وعلو درجات الآخرة وإنها تقدر ماقام به الخلفاء من بسط راية الإسلام على البسيطة ؛ وتأسيس الإمبراطورية الإسلامية ؛ فالعجب من بعض علماء السنة أنهم مع إعترافهم بعدم النص في حق الخلفاء وبأنَّ الخلافة حدثت بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) بإختيار الحاضرين من المسلمين وأنَّ قبل وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) لم يكن في الإسلام والمسلمين إسم من الخلافة ولامن الخليفة ، كيف يتوقفون في الحكم بإسلام من لم يعتقد بالخلافة أو لم يخلص للخليفة ، مع إعتقاده بالتوحيد

والرسالة والمعاد ؛ وبالقرآن وبجميع ماجاء به نبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله) كما كان المسلمون في عهد النبي (صلّى الله عليه وآله) يعتقدون بها ؛ ويعتقد الشيعة أن الدين الإسلامي ممتاز من سائر الإديان الإلهية بإستهدافه السعادة المزدوجة ؛ وإستجماعه عناصر الخلود ؛ وموجباب عموم الدعوة ، إذ أسست تعاليمه الأصلية على صرائح العقول السليمة ومقتضيات الفطرة ؛ وأسندت تعاليمه الفرعية إلى الغرائز الإنسانية الطبيعية التي تثبت في كل زمان ؛ وتصلح لكل قوم ، فهو دين عام خالد صالح لكل عصر ؛ ويوافق كل أُمة ؛ ولايقبل النسخ مادامت الفطرة الإنسانية موجودة في العالم ؛ وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان ، شرعه الله للعباد بعد تهيئتهم للكمال الدائم بواسطة الشرائع السماوية السابقة عليه ، نعم ترقت الأقوام البشرية جيلاً فجيلاً ؛ وكان لها في كل مرحلة من مراحل إرتقائها دين يناسبها وأخيراً جاء الإسلام وقد بلغت الإنسانية رشدها فكان ديناً وسطاً عرف لكل من الجسم والروح حقه ؛ وبنيت أحكامه على الإعتدال من غير إفراط ولاتفريط وكان نظاماً كاملاً شاملاً لايقف نفعه على الأُمَّة الإسلامية وحدها ، بل هو عام للمجموع البشري إذ قد أسس على قاعدة المساواة وإحترام الحقوق ولذلك صارت الدعوة إليها عامة دائمية وكلف الله به جميع البشر على إختلاف قومياتهم الى الأبد فكان لابد لهذا الدين الإلهي العام الخالد من قانون إلهي ودستور سماوي يسايره في البقاء والدوام بنفسه لابمجرد ذكر لخبره وهو كتاب الله المعجز الخالد أعني القرآن الكريم الذي جاء بالناموس الأعظم لكمال الحياتين الدنيوية والأُخروية ؛ وهو كافل لكل مايهم البشر لسعادته في آخرته ودنياه ؛ وفي الحياة الفردية والنظم الإجتماعية من أخلاق ، وثقافة ؛ وعلوم ؛ وتشريع ؛ ففي التشريع الذي ينظم جميع أُمور الدين وأُمور الدولة والأُمور المدنية والجنائية والأحوال الشخصية

جاء القرآن الكريم بالآيات القانونية التي عنوانها في الفقه الإسلامي **آيات الأحكام** وهي الأساس الأول للتشريع الإسلامي وآيات التشريع على قلتها تعرضت إلى جميع مايصدر عن المكلف من أفعال وعن الإنسان من أعمال فتعرضت إلى العبادات من صوم وصلاة وخمس وزكاة وحج وجهاد والى الأُمور المدنية كبيع وإجارة وهبة وصلح ؛ ومزارعة ومساقاة ووكالة وحوالة وجعالة وربا ونحوها وإلى الأُمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع طريق ونحو ذلك ؛ وإلى نظام الإسرة ؛ وعوامل التربية ؛ والأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ونحوها ؛ وإلى الأُمور الدولية كالشرع الدولي ؛ والقتال ؛ وعلاقة المسلمين بالمحاربين ؛ ومابينهم من عهود ؛ وغنائم الحرب ؛ ومالى ذلك ؛ والقرآن بهذه الآيات القانونيّة وسائر آياته الواردة في الأخلاق ونظام الإجتماع ، قرر القوانين الكلية ؛ والأُصول الأولية ، حتى تكون في نص القانون سعة بحيث يمكن أن يطبق على مايجد من حاجات ؛ ويحدث من جزئيات ، تاركاً توضيح تفاصيلها الى بيان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المكلف به في قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم** ﴾ وخلفائه وتاركاً تخريج أحكام الجزئيات لإجتهاد أهله من أصحاب ملكة الإستنباط يستنبطونها حسب الزمان والمكان من كتاب الله تعالى ومما ورد في بيانه من سنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وخلفائه الأئمة الطاهرين ، التي هي نور مقتبس من نور كتاب الله الكريم يهدي به من يشاء إلى صراط مستقيم وبنور السنة ظهرت تفاصيل ماأجمل في الآيات القرآنية ؛ وتفاسير ماخفي من غوامض الكلمات الربانية ، « فهو المفسر للكتاب وإنّما ـ نطق النبي لنا به من ربه » فالسنة وحي غير متلو ، تبين القرآن الذي هو وحي متلو ، من ناحية عمومه وخصوصه ؛ ومطلقه ومقيده ؛ ومحكمه ومتشابهه ؛

وناسخه ومنسوخه ؛ ومنطوقه ومفهومه ؛ فوجب أن يكون باب الإجتهاد في الفقه الإسلامي مفتوحاً إلى آخر الدنيا لمن تتوفر فيهم شروطه من الأئمة المطلعين والعلماء المجتهدين ، وذلك لأن الفقه الإسلامي قانون عام وضع للناس كافة في كل زمان ومكان فلابد أن تتقبل نصوصه المصالح المختلفة ؛ ويكون لولاة الأمور من المجتهدين الذين يتولون تشريع الأحكام والوظائف العملية للناس بالإستنباط فيها سعة ؛ وذلك هو المثل الأعلى للتشريع الذي يراد به أن يكون شرعه لجميع الأمم في مختلف العصور ؛ فإتضح أن سد باب الإجتهاد في الفقه الإسلامي في عهد المتوكل العباسي لأغراض سياسية مناقض لأغراض شارع الإسلام من جميع النواحي ؛ وبهذا البيان الواضح يستطيع المنصف أن يذعن بأنه ليس للفقه الإسلامي وأحكامه الواقعية مصادر غير الوحي بقسميه المتلو وغير المتلو ؛ وهو ماإشتمل عليه القرآن الكريم ؛ ودلت عليه السنة النبوية فجميع أحكامه الواقعية ؛ وقواعده النفس الأمرية مأخوذة من هذين المصدرين مباشرة ؛ أو بطريق التجريج والتفريع على عموماتها ؛ ويلحق بهما الأجماع والعقل عند الشيعة ؛ والإجماع والقياس عند السنة ؛ فأنهما وإن عدهما الأصوليون دليلين مستقلين نظراً لما لهما من الأحكام والشروط الخاصة بهما ؛ ولكنهما يرجعان في واقع الأمر الى الكتاب والسنة ، أما القياس عند من يعتبره دليلاً من المذاهب الإسلامية ؛ فقد قال الأصوليون منهم : « أنه كاشف عن وجه تناول النص للمقيس ؛ ويبين طريق دلالته عليه » وهذا معنى قولهم : « إن القياس مظهر لامثبت » وأما الأجماع في الفروع فوجه حجيته ، أنه يكشف كشفاً أنياً عن دليل يدل على ما إنعقد الإجماع عليه ، إذ لاتجتمع علماء الأمة على شيء بمجرد الميل ومحض الهوى وليس وجه حجيته دليل اللطف ؛ أو طريقة الحدس ؛ أو الملازمة العادية ؛ أو العقلية ؛ وأما

العقل فقد ثبت بحكم الكتاب والسنة أن الأحكام الشرعية معللة بالمصالح والحكم ؛ والعقل هو الذي يدركها فلزم أن يكون ماإستكشفه كشفاً إنيّاً ، معتبراً وفي عدم كفاية كشفه اللمي وبيان مورده ، وثبوت الملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع تفصيل لايسعه المقام ؛ وصفوة القول أن الإجتهاد من لوازم الدين الإسلامي ؛ ولاينفك منه ؛ وبعد إتساع رقعة المملكة الإسلامية مست الحاجة الى الإستنباط المتوقف على معرفة الكتاب والسنة المتوقفة على مبادىء الإستنباط البعيدة كعلم النحو وعلم الكلام وعلم التفسير ؛ والمبادىء القريبة كعلم أُصول الفقه ؛ وإحتاج المستنبطون في أوائل القرن الأول من الهجرة النبوية الى معرفة القوانين والقواعد لإستنياط الأحكام الشرعية من مصادرها ؛ وأول من نهض بهذه المهمة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث أملى أُمهات مسائل علم النحو لأبي الاسود الدوئلي ؛ ثمَّ قال له أنح هذا النحو فسمى بعد ذلك بعلم النحو وأملى تفسير كتاب الله لتلميذه عبدالله بن عباس وغيره الذين نشروه ؛ وبين علم الكلام في خطبه المسجلة في نهج البلاغة وغيرها ثمَّ علمهم كيفية الإستنباط بمختلف الوسائل والطرق وشيد أساس أُصول الإستنباط التي سميت بعد ذلك بعلم أُصول الفقه ثمَّ توسع في بيانها حفيده المعاصر لأبي حنيفة سبط رسول الله (صلّى الله عليه وآله) القائل « إنما يعرف القرآن من خوطب به » وهو باقر العلوم الإمام الخامس أبو جعفر محمّد بن علي (عليهما السّلام) ثمَّ إبنه الإمام السادس الصادق جعفر بن محمّد (عليهما السّلام) ولقد أمليا على جماعة من تلاميذهما تلك القواعد والقوانين وجمعوا منها مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحث « أُصول الفقه » ككتاب « أُصول آل الرسول الأصلية » وكتاب « الفصول المهمة في أُصول الأئمة » وكتاب « الأُصول الأصلية » وأول من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف « هشام بن الحكم »

تلميذ الإمام الصادق (عليه السّلام) الذي صنف كتاب « الألفاظ ومباحثها » وهو أهم مباحث أُصول الفقه ثمَّ يونس بن عبدالرحمن وهو تلميذ الإمام السابع الكاظم موسى بن جعفر (عليهما السّلام) وهو صنف كتاب « إختلاف الحديث » وهو مبحث تعارض الدليلين والتعادل والترجيح بينهما ثمَّ كتبها الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان فناً قائماً برأسه سماه« أُصول الفقه » وكتابه بهذا الإسم معروف ؛ وليس الشافعي محمد بن إدريس أول من صنّف في أُصول الفقه في أواخر القرن الثاني الهجري كما زعمه السيوطي وإبن خلدون بل الشافعي أخذ هذه القواعد الأصولية عن البيت الهاشمي فصار ذلك سبباً لأتهامه بالتشيع وأصابه ماهو معروف ؛ وإنَّ علمائنا الأعلام قد بلغوا النهاية في تحقيق علم « أُصول الفقه » وتدقيق موضوعه وتنقيح مسائله خلفاً عن سلف وكانت طريقهم ولم تزل تقرير القواعد وإتباع الأدلة من دون إلتفات الى موافقة رأي أو مذهب ولكن إخواننا علماء أهل السنّة عدلوا عن هذه الطريقة التي سمّوها « طريق المتكلمين » الى « طريق الحنفيين » في القرن الخامس ورائدهم فيها صوغ القواعد الأُصولية موافقة لما أثر عن أئمتهم في الفروع ؛ وإعتقد أن هذا إحدى نتائج سدهم لباب الإجتهاد ؛ فأتخذوا من علم أُصول الفقه الذي إنما دون لتسهيل الإجتهاد ولأجل إستنباط حقائق الأحكام الشرعية الواقعية أداتاً للتقليد من أئمتهم وسد باب الإجتهاد ؛ ثمَّ جاء طائفة من متأخري الحنفية جمعوا بين الطريقتين ؛ وليت شعري كيف يمكن الجمع بين الإجتهاد وبين التقليد في طريقة واحدة ؟ .

أيها الأعلام ، كاد أن ينقطع حبل الصلة بين رجال الدين وسائر طبقات المسلمين في هذا القرن العشرين الذي إمتاز بخوارق الإختراعات وتقديس المادة ؛ وكشف بعض أسرارها ، تلك الخوارق

التي فتقت أذهان الناس ؛ وخلقت عالماً جديداً متكوناً من الفوضى في الأخلاق والأفكار والعقائد ؛ ووجهت أنظار الناس من مختلف الطبقات الى التفكير الحر ؛ وعدم الإذعان بشيء مما لايقبله العقل ولايساعد عليه البرهان ، فقويت فيها نزعات الشك ؛ وإندكت فيها أُسس العقائد ؛ وبذلك تبدل إسلوب التفاهم ، وإن النقص الموجود في إسلوب تأليف الكتب الدينية ؛ ومنهاج التعليم الديني ؛ وتخالف العلماء في الآراء أوجب إختفاء حقيقة الدين الإسلامي ؛ فقصرت عقولهالناس عن نيل حقيقتها ، الواضحة الغامضة ؛ وأوجد ذلك حيرة عميقة في النفوس ؛ فإنفسح المجال لاعداء الإسلام لقلب الحقائق الإسلامية ؛ والتلفيق فيها ؛ وإفراغها في غير صورها وتلوينها بغير ألوانها حتى تشابهت بالأديان الأُخرى التي لايستفاد منها إلاّ في المعابد ؛ فإتخذها جمع من بسطاء المسلمين معتقدين بأنها هي التعاليم الإسلامية ومجموع ذلك بعث ألسن الناس بتنقص الدين ؛ والقول بأنه يعطل التفكير والإبداع ، ويدعوا الى الجمود والإنحطاط ؛ ويصطدم بأسباب الرقي والتقدم ؛ ويخالف الحياة في جميع نواحيها ؛ فتكونت عند المسلمين قضايا معقدة تجب المسارعة الى حلها ، إذ بحلها وتحليلها تشع تعاليم الإسلام ؛ ويثبت نظام الأُمم الإسلامية ؛ وإرتباط بعضها ببعض ؛ ويحصل التفاهم المنشود ؛ وينتهي الى الوحدة الإسلامية ؛ ولايقدر على حلها إلاّ من كان من الراسخين في العلم الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقررات العقل الفطري والبحث العلمي ؛ والتفكير الحر ؛ والإحاطة بعظمة الإسلام وأسرار التشريع الإسلامي وبتفاسير كتاب الله المعجز الخالد ، على جانب معرفة نفسيات البشر ، ومقومات الأُمم التي لاتستطيع أُمة أن تحيى وترفع رأسها وتجد مكانها في العز والمجد إلاّ بها فيصوغ فلسفة الإسلام وتعاليمه الخالدة في إسلوب عصري فلسفي ، عقلي ، لايتنابه

جمود ولاغموض ، مراعياً في تسجيلها ماألفته طباع أهـل العصر وجمهور المتعلمين من المسالك الحديثـة لكي ترسـخ في النفوس وتؤثـر في العقول وهذا هو المقصود من كلمة « الإصلاح الديني » وهو من أهم ماينبغي أن ينظر فيه هـذا المؤتمر التـاريخي وهذا الإصـلاح لايستوحى من الخيـال ؛ ولايفرض من قوة خارجة عما هو المـوجود ، إنمـا هو يجب أن يكـون وليد الحقيقـة ؛ والوضـع القـائم وصنيـع المؤثـرات الإجتـماعيـة والفكـريـة ومقتضيات الأحوال التي أمر الإسلام برعايتها في كل عصر وإني أرى من الواجب أن ألفت أنظار دعاة الوحـدة والإصلاح الى أن الـدين يجتاز دور الإنتقال ويتحتم على كـافة رجـاله وعـلى هذا المؤتمـر أن يدرسـوا الموقف الحاضر درساً عميقاً من جميع نواحيه ويسارعوا الى العمل بماتقضي بذلك المصلحـة العـامـة للمسلمـين والضرورة المـاسـة ، وينبغي أن لانخشى ممانراه من الفـوضى المقبلة الى العالم فـإنها لابد أن تصـطدم يومـاً بغريـزة التدين والفضيلة والشعور الديني ؛ والغريزة فطرية للإنسان لاتزول عن الجميـع وإن زال بعض آثـارهـا عن البعض ؛ وينبغي أيضـاً أن نجعـل نصب أعيننـا أننا حينـما نسرد العوامـل الموجبـة لسرعة إنتشـار التعـاليم الإسلامية ذلك الإنتشار السريـع الذي أدهش العـالم ، يجب أن نتذكـر العامل المتكون من الفوضى في الأخلاق والأفكار والأهـواء ، نعم كانت القوى في التقدم ، يتنافس عليها الإكاسرة والقياصرة والتبابعة وكل منها لايجد سلطتها ولكن فساد الأخلاق وشيوع الإباحة والإشتراكية وأمثالهـا التي كانت بالغة في أُمم العالم أبعد حدودها ، هي التي هيأت جواً صالحاً في العقـول والأفكار لقبـول التعاليم الإسـلامية العـادلة ؛ وأمـا مـانـال المسلمين في العصور الأخيرة من الإنحطاط والـذل والهوان ومـاأقعد بهم عن بلوغ الأمـل في سعادة الحيـاة والسلم الروحي والعـز الحقيقي فليس لشيء في طبيعة التدين بالإسلام ، بل لإنحراف في إتجاه الشعور الـديني

سببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر إستغلّوا الشعور الديني إستغلالاً ماديّاً في سبيل مآرب لانثير دفين مخزياتها ؛ ويجب أن نعتبر الثقافة العالمية من العوامل المساعدة لتقوية الشعور الديني في الطبقات المستنيرة ؛ ولتعزيز مركز الدين الإسلامي أمام البحث العلمي والتفكير الحر ، بإذاعة تعاليم الإسلام الفطرية المعتدلة القائمة على إحترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه بإسلوب جذّاب وبمختلف الوسائل في مختلف اللغات ؛ وبذل الجهد لنشر مافيها من المحاسن المؤثرة في الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة ؛ وتوضيح أن الإيمان لايحل في القلب بالإكراه ، وأنّ العلم لاينال إلّا بالدليل ؛ وأن العقيدة إذا لم تكن حاصلة من الأدلة القاطعة ؛ ولامسبوقة بالشك والترديد والإنكار فهي أشبه شيء بالتقليد المنهي عنه في أُصول الدين ، نعم إن الثقافة العامة ؛ وماصارت وتصير إليه الحياة من رقي تؤهل الناس للإنتفاع بالشعور الديني في تقريبها من الغاية المرجوة ؛ وإني قد شاهدت آثاره ؛ وتجلت لي الأُخوة الإسلامية الصادقة بأجلى مظاهرها في العواصم العربية وأقطار الشرق الإسلامي التي حظيت بزيارتها ووفقت لإلقاء محاضرات وخطب كثيرة في جامعاتها وجوامعها على عشرات الأُلوف من مختلف طبقات شعوبها فأنتجت أكمل النتائج والغايات ، وأثمرت أنفع الآثار ؛ وحققت أطيب الأماني ؛ وأوجدت نهضة دينية شاملة تستهدف إتحاد مسلمي العالم على أساس قاعدة الوحدة المتعاونة الأجزاء ، التي قام عليها نظام الخلق ونظام المجتمع ، لتعيش الأُمم الإسلامية بروح واحدة ؛ وترمي الى هدف واحد وتكون بمثابة جسد واحد متلاحم الأجزاء ؛ وثيق التركيب ، صحيح البناء ، مستقيم المظهر ، مستوفياً علائم الصحة ؛ والوحدة على خير صورة وشكل ؛ ويجب لتحقيق هذا الهدف السامي

قبل كل شيء تـظاهر رجـال الدين بمـظهر مستحب يـوجب التفاهم مـع مختلف الطبقات ؛ وتنقية الشعور الديني من الضغائن والأحقـاد ، لكي تقام النهضة الدينية المقبلة على أساس توحيد الميول والمشاعر والخصائص في العالم والعامي والمتعلم وغير المتعلم والشيخ والشاب ؛ ولايكون ذلك إلّا بالتغلب على الحالات التي إصطنعها جمود الخاصة ؛ وجهل العامّة ؛ وإستبـدالها بتـواصل معجب جميـل تتجه إليـه طبقات الأُمـة والشعـوب الإسلامية ؛ وعـلى رأسها أُولئـل الأعلام رجـال الدين ، ليـأخذ الـدين الأسلامي طريقه الى تأليف القلوب وتـوحيد الخصـائص بأروع مـايليق بمبادئه السامية وتكون الأُمم الإسلامية على طـور سعيد وافـر السعادة ؛ وتتصافح الأشقـاء تحت راية التـوحيد ، وتستقبـل فجر التعـاون في تآخ ووداد فيبسم لها المتقبل بسمة العز والعلاء وما ذلك على الله بعزيز ؛ وهـا أناذا أقدم الى مؤتمر العلماء عدة من الكتب والرسالات المتبادلة بيني وبـين مشيخة الجامع الأزهر وسائر العلماء الأعـلام والزعـماء الفخام في الشرق الإسلامي والعواصم العربية لكي يطلع المؤتمر عليها وعلى إقتراحاتي التي تتطلب المصلحة الإسلامية العامة تـأييدهـا وتنفيذهـا وإنا لنختم القـول بـرفع أكف الضراعـة الى الله تعالى أن يجعلنـا في الحق بناة لاهـادمـين ؛ وهداتاً لامضللين وأن يوفق مؤتمرنا هذا « مؤتمر العلماء » بتحقيق ماعقده عليـه العالم الإسـلامي من كبار الآمـال في الحال والإستقبـال إنّه سميـع مجيب .

***

النتيجة

- ١ -

بيان مؤتمر العلماء الأول

المنعقد بدمشق بتاريخ ١١ - ١٣ رجب ١٣٥٧ و ٦ - ٨ أيلول ١٩٣٨ (*)

أصدرته اللجنة التنفيذية المركزية لمؤتمر العلماء الأول رقم « ١ » :

تأييد إقتراح الأستاذ الكبير الامام الشيخ عبدالكريم الزنجاني كبير علماء إخواننا الشيعة في النجف في وجوب جمع كلمة المسلمين من مختلف المذاهب الإسلامية الذين تجمعهم عقيدة التوحيد ومقاصد الإسلام ، لمكافحة الإلحاد ؛ ولتنظيم العمل الإجتماعي ؛ والشؤون الإسلامية التي تهم الجميع .

وشكر الامام الزنجاني على هذه الفكرة النبيلة ؛ وتكليف اللجنة التنفيذية للمؤتمر بالسعي لتهيئة الدعوة إلى مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين لتحقيق هذه الفكرة السلمية وفقاً لإقتراحه الطيب .

(*) مطبعة الترقي ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

- ٢ -

من مقررات مؤتمر العلماء الأول المنعقد بدمشق

بتـاريـخ ١١ ـ ١٣ رجب ١٣٥٧ المـوافق ٦ ـ ٨ أيلول ١٩٣٨

رقم « ٢ »

« القرار الثاني عشر » بشأن تعاون أبناء المذاهب الإسلامية وتنـظيم العمل القومي ، إن « مؤتمر العلماء الأول » المنعقد بـدمشق في ١١ ـ ١٣ رجب سنة ١٣٥٧ و ٦ ـ ٨ أيلول سنة ١٩٣٨ ، بناءاً على إقـتراح فضيلة الأُستـاذ الكبير الإمـام الشيخ عبـدالكـريم الـزنجـاني ، من كبـار علماء النجف الأشرف في شأن تعاون المسلمين مع إختلاف مذاهبهم ، الذين تجمعهم عقيـدة التوحيـد ومقاصـد الإسلام لمكـافحة الإلحـاد والفوضى الأخـلاقية ؛ ولتنـظيم العمل الإجتماعي والوحـدة الـروحيـة ؛ وبعـد المذاكرة في هذا الإقتراح القيم الجليل وبعد الإطلاع على مسـاعي فضيلة الإمام صاحب الإقتراح في سبيل إقتراحه ، يقرر :

١ ـ شكره على غيرته وسعيه في ضم شمل المسلمـين الذين تجمعهم كلمة التوحيد لمكافحة الإلحاد ؛ ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الإجتماعية .

٢ ـ تأييده في العمل في سبيل ذلك المقصد الأسمى .

٣ ـ تكليـف اللجنة التنفيذية بالمبـاشرة بالإتصـال مع علماء الأقـطار الإسلامية لتحقيق عقد مؤتمر عام في المكان والـزمان اللذين يتفق عليهـما لتحقيق تلك الأُمنية السامية .

الخطبة السادسة

الخطبة السادسة

المعروفة بالخطبة النارية ألقاها الإمام الـزنجاني في المسجـد الأقصى بـالقـدس الشريف في ٢٦ رمضـان ١٣٥٥ هـ وتعليقـات الصحف عليها .

***

نقـلاً عن جـريـدة « البـلاغ » المصريـة مسـاء ٥ ديسمـبر ١٩٣٦ « الـعـدد ٤٢٧٥ » ونقـلاً عـن جـريـدة « الجهـاد » المصريـة ٢١ رمضان ١٣٥٥ ـ ٥ ديسمبر ١٩٣٦ .

مفتي فلسطين يدعو إمام المسلمين

زار معالي محمّد علي باشا علوبة الإمام الزنجاني في فندق « مودرن » بالقاهـرة ؛ وقدم لـلإمام بـرقية وردت من سـماحة السيـد أمين الحسيني المفتي الأكبر بالديار الفلسـطينية ، متضمنـة لدعـوة الإمام الـزنجاني الى زيارة المسجد الأقصى ، وجـاء فيها : أن العـرب والمسلمين في فلسـطين متشوقون لزيارة إمـامهم الأكبر ؛ ثمّ أيـد علوبة بـاشا رجـاء المفتي الأكبر ورجح أن يجيب الأمام الزنجاني هذه الدعوة ؛ فأجاب الإمام دعوة المفتي الأكبر بالإيجاب ؛ وذلل الإمام الزنجاني الصعوبـات السياسيـة الأجنبية التي حـاولت عبثاً أن تحـول دون سفر الأمـام الـزنجـاني الى زيـارة القبلة الأُولى للمسلمين ؛ فأعلنت صحف القاهرة مايأتي :

« يغادر مصر ضيفها الكبير سماحة الإمام الأكبر الشيخ عبـدالكريم

الـزنجـاني ، اليـوم بقـطار السـاعـة الخـامسـة والنصف في طـريقـه إلى فلسطين ؛ فبيروت ؛ فدمشق ؛ ثمَّ إلى وطنه . . . إلخ » .

وقف القـطار الذي كـان يقـل مـوكب الأمـام الـزنجـاني في محـطة « القدس » قبل ظهر يوم ٢٢ رمضان ١٣٥٥ هـ وكانت المحطة مزدحمـة بـألوف المستقبلين من العلماء والـزعماء والـوجهاء والأشراف والقنـاصل العـامة للحكـومات الإسـلامية في القـدس ؛ وكان في طليعتهم سـماحة المفتي الأكـبر رئيس اللجنة العـربيـة العليا وأعضـاء اللجنـة الكـرام ؛ وإستقبل الإمام الزنجاني إستقبالاً منقطع النظير ؛ وحل ضيفـاً كريمـاً في الـدار الفخمة التي كـان المفتي الأكبر أعـدها لسـماحته ؛ وغصت الـدار بالزائرين من مختلف الطبقات ليلاً ونهاراً طيلة وجـود الأمام الـزنجاني في القـدس ؛ وإستدعى سـماحة المفتي من الإمـام الزنجـاني بإسم العـرب والمسلمين أن يتفضل بـإلقاء درس عـام في المسجد الأقصى بعـد فريضـة الجمعـة ؛ فأجـاب الإمام طلبهم ؛ ولقـد حضر لإستماع الـدرس علماء سائر البلاد الفلسطينية ورؤسائها وزعمائهـا وعشرات الألوف من مختلف الطبقات ، متلهفين لإستماع الدرس .

نص الخطبة السادسة

وهي المعروفة بالخطبة النارية

التي ألقاها الإمام الزنجاني في المسجدالأقصى - بيت المقدس -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ؛ والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه محمَّـد (صلّى الله عليه وآله) الطاهرين الذين أوجب الله مودتهم على المسلمين

أجراً لرسالته وأصحابه الذين أحسنوا الصحابة ؛ وأبلوا البلاء الحسن في نصره وإعلاء كلمته وسابقوا إلى دعوته ؛ والتابعين لهم بأحسان ، أمابعد : فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا * إنه هو السميع البصير ﴾ ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً ﴾ ﴿ فإذا جاء وعد أُوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار * وكان وعداً مفعولا ﴾ ﴿ ثُمّ رددنا لكم الكرَّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها * فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيراً ﴾ ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم * وإن عدتم عدنا * وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾** .

المعراج الجسماني لنبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله) المدلول عليه بكلمة « عبده » لأن العبد إسم لمجموع الجسد والروح ؛ وينبىء عنه التصدير بالتنزيه ومافي ضمنه من التعجب والمنسوب إيجاده في هذه الآية الكريمة الى الله تعالى بصيغة الإسراء الذي هو فعله تعالى معجزة من المعجزات التي خص الله تعالى بها النبي (صلّى الله عليه وآله) وكان الإسراء من الله تعالى بقدرته البالغة ؛ والمؤمن بوجود الله تعالى وبقدرته البالغة يؤمن بالإسراء والمعراج الجسماني وبسائر معجزات الإنبياء بدون تردد ولايجده إلاّ من الأُمور الجائزة عقلاً ، الداخلة تحت تصرف قدرة الإله العظيم ؛ وأمّا من لم يكن مؤمناً بوجود الإله سبحانه وعظيم

قدرته ؛ ولم يعتقد برسالة رسوله (صلّى الله عليـه وآله) فهـذا ، يكون الصـواب في حقه أن يـرشد الى الإيمـان بالله وإثبـات صفاتـه وبرسـولـه بـواضح الـبرهان وبعـد ذلك سهـل عليه تصـديق نصـوص الأحـاديث والقرآن الكريم فمتى تصور عظيم قـدرة الله ؛ وتأمـل في عظائم أعـماله ومخلوقاته وتصور أن إنفلاق البحـر أو المعراج الجسـماني مثلاً جـائز عقـلي داخــل تحت تصرف قـدرة الله ـ لأن العقــل يحكم بقبــولــه للثبــوت والإنتفاء ؛ ولايلزم من ثبوته محال ـ فلا مانع يمنع من التصديق بذلـك ، والماء قابل للإنقسام وللتماسك ؛ وميل الجسم الطبيعي المادي الثقيل الى مـركز الأرض ليس من لـوازم الجسم غير القـابلة للإنفكـاك ؛ وحديث إمتناع الخرق والإلتيـام على الأفـلاك أصبح من المـوهومـات ، وتصرف النفوس في الأجسام أمر حسي ؛ وللنفس النبوية أعظم الآثار والتأثـير في الأكوان وفي جسمه الطاهر بأذن الله تعالى ؛ ولو لم يكن مستبعداً وخـارقاً للعادة لم يكن معجزة ولقد بين في علم الكلام وعلم التوحيد أن الوجوب العقلي عبارة عن عدم قبول الإنتفاء ؛ والشيء الذي لايقبل لإنتفاء يقـال له الواجب العقلي ، مثاله ، كون الواحد نصف الإثنين ؛ ووجود خـالق العـالم ؛ والأول ؛ واجب عقـلي بـديهي ، لايحتـاج الى دليـل ؛ والثـاني واجب عقلي نظري يحتاج الى دليل ، والإستحالة العقلية عبارة عن عدم قبول الثبوت ؛ ومثال المحال العقـلي ، الأربعة نصف العشرة ؛ ووجـود شريـك الخالق ، الأول مستحيـل عقـلي بـديهي ؛ والثـاني محـال عقـلي نظري ، أما الجواز العقلي ؛ فهو قبول الثبوت والإنتفاء ؛ والشيء الـذي يقبل الثبوت والإنتفـاء يقال لـه الجائـز العقلي « الممكن » مثاله ، سفـر زيد ؛ وقلب الحجر ذهبـاً ، الأول جائـز عقلي بـديهي ويسمى عاديـاً ؛ والثاني ، جائز عقلي غير بديهي يحتاج ثبوته الى دليل ويسمى غير عادي ؛ والمعجزات كلها من هذا « القبيل » ولـولا العادة لم تكن هـذه المعجزات

بأغرب من خلق الإنسان الذي يكون أولاً تراباً وجماداً ثمَّ ينقلب بالحركة الجوهرية نباتاً ؛ ثمَّ غذاءاً ثمَّ دماً ثمَّ نطفة ثمَّ علقة ثمَّ مضغة ثمَّ حيواناً ثمَّ إنساناً ناطقاً سميعاً بصيراً ثمَّ يصير عالماً محققاً وحكيماً مدققاً قال الله تعالى : ﴿ **خلق الإنسان** ﴾ من نطفة « جماد لاحس له » ﴿ **فإذا هو خصيم مبين** ﴾ « منطيق مجادل » وقال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثمَّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمَّ خلقنا النطفة علقة * فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً * ثمَّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ المطر ينزل على الأرض الترابية فينبت به أنواع الأزهار والأشجار والأثمار المتنوعة الألوان والطعوم والروائح والخواص ؛ ولافرق بين هذه الأشياء العادية الوقوع ؛ وبين تلك الأشياء غير العادية الوقوع ، إلّا حصول العادة في الأولى دون الثانية ؛ وإلّا فإذا نظرنا في الدليل العقلي وجدنا كلّاً منهما جائز الوقوع ؛ والجائزات الغير العادية هي المعجزات ، جعل الله وقوعها على أيدي رسله في مقام التحدي ؛ و « المعراج » أهم المعجزات ؛ فقد عرج به (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، ليستبين بذلك العروج أن مقامه (صلّى الله عليه وآله) فوق مقامات الإنبياء ، حيث إرتفع عليهم جميعاً ؛ وليبين لأمه أنهم أرفع الأمم لأن نبيهم (صلّى الله عليه وآله) إرتفع عن عيسى (عليه السّلام) وقد جاء في حق أُمته قوله تعالى : ﴿ **وجاعل الذين إتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ﴾فياأيّها المسلمون ، حافظوا على هذه الرفعة ؛ وهذه الكرامة ؛ وترفعوا على سائر الأُمم بمكارم أخلاقكم ؛ ومحاسن أعمالكم ؛ وتوحيد صفوفكم وجمع كلمتكم ؛ وترسيخ العقائد الإسلامية في أعماق قلوبكم ، والعمل بتعاليم الإسلام السامية ، في العبادات والمعاملات والحقوق والسياسات ونشر الدعوة الإسلامية الإصلاحية حرصاً على أن

تعود للإسلام مكانته العالية فيؤثر في نفوس المسلمين ؛ وتظهر عليه الهيبة والجلال أمام غير المسلمين ؛ وحرصاً على أن تكون البلاد المقدسة الإسلامية مهداً للنور الإسلامي الذي يجب أن يغمر البلاد الإسلامية والعربية كلها فيجتث منها أُصول الشر ؛ وينكس فيها أعلام البدع ويعيد فيها الى القلوب ماكان لها أيام السلف الصالح من نضرة وطهارة ؛ ثم يتجاوز هذه البلاد إلى بلاد الديانات الأُخرى فيدعوا إلى دين الله ﴿ **إن الدين عندالله الإسلام** ﴾ وتوحيد الكلمة في دعة وإقناع بالحجة وبالحكمة والموعظة الحسنة ؛ والمجادلة بالتي هي أحسن ؛ وأما سر أن أُمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله) أرفع من أُمّة عيسى (عليه السّلام) التي نص القرآن الكريم بأن الله جعلها فوق الأُمم الكافرة بعيسى (عليه السّلام) الى يوم القيامة فإني أُخصه في كلمة وهي أن المسيح (عليه السّلام) حاول بالإقناع المجرد أن يصل الى الأفئدة المغلقة فلم ينجح وقالوا له مثل ماقالوا للرسل قبله إنا كفرنا بماأرسلتم به ؛ وإنا لفي شك مماتدعوننا إليه مريب وليتهم سكتوا عن ذلك ؛ فماهي إلاّ أيام حتى وجهت إليهم ذوو السلطة بهذا الإنذار ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا** ﴾ ولكن الإسلام منذ ولد في الأرض بإذن الله ولد الجهاد معه لغرض فتح الطريق أمام نشر الدعوة الإسلامية التي كان شعارها « التوحيد الخالص ؛ ولاإكراه في الدين » فالإسلام لم يشق طريقه في الحياة إلاّ على ركام من أجداث الشهداء ؛ ورسول الإسلام أيضاً بدء دعوته بالإقناع المجرد حتى طردته السلطة القائمة بمكة فكان أن أسس دولته الإلهية في المدينة بأمر الله تعالى ثمَّ إستعاد مافقده أول أمره ؛ فلما نهضت الدولة الإسلامية الأُولى على قدمها بتوطيد الأمن الإسلامي ودين التوحيد في جزيرة العرب كان عملها الأول أن ساقت جيوش التحرير أفواجاً لتدك الكسرويّة المتألهة في

فارس والقيصرية في الروم ؛ ولتمنح السعادة المزدوجة وحق الحياة الكريمة للجماهير التي ترنحت دهراً طويلاً تحت وطأة هذه السلطات السفيهة وكان من المستحيل في ظل السطوة المقررة للدكتاتوريين الأقدمين أن تنشر دعوة ؛ أو تستنقذ أُمّة بالمحاجة والإقناع ؛ وكان من الواجب القيام بالتبليغ المسلح ؛ ولذلك أوجب الله تعالى على المسلمين الجهاد في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ **ياأيّها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله وإعلموا أن الله سميع عليم** ﴾وقوله تعالى : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله * ولايدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يؤتوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا** ﴾وقوله تعالى : ﴿ **لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم * فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة * وكلاًّ وعد الله الحسنى * وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما** ﴾وقوله تعالى : ﴿ **لاينهاكم عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين * وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأُولئك هم الظالمون** ﴾ ولقد قرر الإسلام شروطاً لوجوب الجهاد ؛ فأوجبه على البالغين من الرجال دون

النسـاء ودون القـاصرين الغـير البـالغـين وغـيره من الشروط المفصلة المشروحـة في كتب الفقـه الإسـلامي إلاّ في صـورة الخـوف عـلى بيضـة الإسلام من هجوم الكفار ففيها أوجب الجهاد على جميع المسلمين رجـالاً ونساءاً وكباراً وصغـاراً وإعلان النفـير العام من دون قيـد وشرط حتى في زمن غيبة الإمام وعـدم وجود الخليفـة الحاضر كهـذا العصر الذي نحن فيه ؛ وهذا العصر الذي تسلحت فيه مبادىء كارل مـاركس الهدامـة ، وأصبـح إنكار الإلـوهية عقيـدة قاهـرة مسلحـة تهـدم بهـا المسـاجـد في القـوقاز ؛ ويشرد بهـا ثـلاثـون مليـونـاً من المسلمـين وفي العصر الـذي إستيقـظت فيـه الخصـومـة التقليـديـة بـين الشرق الإسـلامي والغـرب الصليبي ، بـأخطر الأسـاليب ، لأن هـذا الغـرب يـأبى إلاّ إستـذلالنـا وإستعـمار بلادنـا ؛ وقص أجنحة الإسـلام بإلغـاء تشريعـاتـه ؛ وهـدم تقاليده وإيجاد الريب والشك في عقيدة المسلمين الإسلامية ، مستعيناً في ذلك من الكنيسة التي تعمل فيه من وراء ستـار والجبهة الشيـوعية تقصي الدين تمامـاً عن ميدان الحيـاة ، والجبهة الإستعمارية تـرى ضرورة فصل الدين عن الدولة والسياسة إذا كان هذا الدين هـو الإسلام ، لأن فصله عن الدولة طريق الى إنحلال عراه وإنطماس معـالمه خصوصـاً إذا كـانت شعـوبه عـانية في إسـارة الإحتـلال الأجنبي ، أمـا إذا كـان الـدين هـو اليهودية مثلاً فلا بأس عند الغرب أن تتصل الدولة بالدين ؛ وأن تجمـع رعاياها على أساس الدين من أنحاء الأرض ، خصوصـاً إذا كان الحكم اليهـودي يغتصب الـرقعـة التي تحـاول أن يعيش عليهـا من أوطـان المسلمـين ؛ وأما إذا كـان الدين هـو المسيحية فسـواء إتصل بـالدولـة أو إنفصل عنها فيجب أن يأخذ إمتداده الكامل من ناحية الشكل في أوطـانه نفسهـا ؛ ومن ناحيـة الشكل والمـوضـوع حـين ينـطلق دعـاتـه في بـلاد الإسلام ، يبنون الكنـائس ويقيمون المـدارس لخدمـة الحضارة الغـربية

والإستعمار الجشع .

فيا أيّها العرب ؛ ويا أيّها المسلمون ، لا تتركوا الشيطان يلقي غراسه في أرضكم المقدسة ؛ ويتعهد نمائها حتى إذا ما بدأت الثمار السامة تغص بها الحلوق ، وتتفزز منها النفوس تتعالى صرخات الألم ويكون حربكم ضد هذه المصيبة العظمى مؤخّراً ؛ ونخشى أن تكونوا حينئذ كالذين جاؤوا بعد قيام القطار ؛ ولقد أسمعتكم في مستهل خطابي هذا الآية الرابعة وهي قوله تعالى : ﴿ **وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين** ﴾ أي أتممنا وأحكمنا وأخبرنا وأعلمنا بني إسرائيل في التوراة مقالاً شك فيه أن أخلافكم سيفسدون في البلاد التي يسكنونها ، كرتين ، أوليهما مخالفة حكم التوراة وقتلهم « شعيا » (عليه الصلاة والسّلام) ؛ وحبس « إرمياء » حين أنذرهم سخط الله . والثانية : قتلهم « يحيى » (عليه الصلاة والسّلام) ؛ وقصدهم قتل « عيسى » (عليه الصلاة والسّلام) ؛ فعاقبهم الله تعالى بعد فسادهم الأول بما جاء في الآية الخامسة ، من قوله تعالى : ﴿ **فإذا جاء وعد أُوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار * وكان وعداً مفعولا** ﴾ وسلط الله عليهم « بخت النصر » وعساكره الغلاظ الشداد لمؤاخذتهم بجناياتهم ثمَّ عاقبهم بعد فسادهم الثاني بما في الآية السابعة ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم * وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً** ﴾ فسلط الله عليهم « جردوس ملك بابل » وجيوشه الجرارة نكلوا بهم أكثر من تنكيل عساكر بخت النصر ؛ ثمَّ أشار سبحانه وتعالى إلى فسادهم المستمر الذي لاينقطع ؛ وما ينالونه بسببه من عقاب الله الشديد في الدنيا والآخرة ، في الآية الثامنة ، بقوله تعالى : ﴿ **وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً** ﴾ أي وإن عدتم إلى الفساد

في الأرض مـرة أُخرى عـدنا بكم إلى العقـاب لكم والتسليط عليكم كما فعلنا فيما مضى ؛ ولقد عاد اليهود إلى الإفساد فأعاد الله عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم مافعلوا من ضرب الأتاوة ونحو ذلك ؛ وعن إبن عباس قال : « إنهم عادوا بعد الأُولى والثـانية فبعث الله تعـالى محمّداً(صلّى الله عليـه وآله) وسلط عليهم المؤمنـين يقتلونهم ويأخـذون منهم الجـزية وهم صـاغرون ثمّ عـاد اليهـود إلى الفسـاد الأكـبر الآن في عصرنا وفي هذه البلاد العربية المقدسة بفكرة إنشاء وطن قومي صهيـوني لليهود في فلسطين ، وماهذه الفكرة الإستعمارية من وجهة المبدأ الإنساني إلّا تنظيم عصابـة بشرية غـايتها النهب والإغتصـاب ؛ وهي قائمـة على نظرية إباحية بدون أيّة مراعاة للأنظمـة الإنسانيـة الإجتماعيـة ؛ والإلفة البشرية ؛ وقد تحلل الصهيونية هذه الأعمال المنكرة إستناداً عـلى توراتهم التي تبيـح القتـل والسبي والنهب والإغتصـاب وكـل شيء في سبيـل بني إسرائيل « لاتوراة مـوسى » وسيعود الله إلى عقـوبتهم الشديـدة ؛ ويجب أن تعلم الحكومة الإستعمارية التي تحاول أن تؤسس دولة صهيونية يهودية في فلسـطين العـربيـة ؛ وتـريـد لهم العـزة والملوكيـة وتحـارب العــرب والمسلمين لتحقيق هذه الغاية الإستعمارية إنّما في الحقيقة والواقـع تحارب الله تعالى ـ جلت قدرته ـ الذي قدر الذلة والمسكنة لليهود بإرادته القاهرة إذ قال تعالى شأنه في كتابه المعجز الخالد : ﴿ وضربت عليهم « اليهود » الـذلـة والمسكنـة * وبـآؤا بغضب من الله ﴾ وقـال تعـالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلّا بحبـل من الله وحبل من النـاس وبآؤا بغضب من الله * وضربت عليهم المسكنـة ﴾ وستكـون الغلبـة في نتيجـة هــذه الحـرب لله تعالى ورسله ، حسبـما ورد في قـولـه تعـالى : ﴿ لأغلبن أنـا ورسـلي ﴾ وأظن أن هذه المحـاولة الإستعـمارية لابـد أن تتحقق في عـالم الوجود لأنّها مستندة إلى مطامع المستعمرين الجوهرية في الشرق الأوسط

فيجب أن لايحدث تزلزل مافي عقائد المسلمين في صدق وعد الله بإيجابه التكويني ذلة اليهود وأن لايكون إستيلاء اليهود على كثير من ثروة العالم وسيطرتهم على الإقتصاد العام منذ مدة بعيدة باعثاً للريب في مسكنتهم الموعودة في القرآن لأن القرآن لجميع الأزمنة منذ نزوله إلى آخر الدنيا وليس مخصوصاً بعصر أو عصور ؛ وسيأتي يوم نرى فيه قريباً أن تأسيس الحكومة الصهيونية أو الإسرائيلية من أسباب فناء ثروة اليهود وينتهي إلى زوال دولتهم وبذلك يتحقق ماوعده الله من ذلة اليهود ومسكنتهم وتوضيح ذلك أن فكرة إنشاء دولة إسرائيلية في فلسطين قديمة جداً أوجبت المطامع الإستعمارية للدول الغربية والشرقية في منابع الثروة في الشرق الأوسط لزوم تحقيقها لغرض التسلط على تلك المنابع العظيمة ، فإدعت الحكومة الإستعمارية أن ضرورة حفظ التوازن في قوات الشرق الإسلامي والعربي لأجل السلام العام تقضي بوجوب تأسيس دولة صهيونية يهودية في بلاد العرب والمسلمين ؛ وما أبقت وسيلة إلّا تشبثت بها لتحقيق هذاالغرض ؛ ولقد إطلعت على كتاب كتبه السلطان عبدالحميد الخليفة العثماني المخلوع بأنامله باللغة التركية من المنفى إلى مرشد طريقته ماترجمته حرفياً : « طلبوا مني أن أسمح لليهود بإنشاء وطن قومي لإنفسهم في فلسطين تحت إشرافنا إزاء خمسين مليوناً من ليرات ذهبية ، ليكون هذا السماح ضماناً لدوام الخلافة لنا ولكنني أبيت ورفضت ذلك وقلت لهم أن قبول هذا الأمر مخل بشرف الخلافة ؛ وإن ضميري مرتاح جداً من رفضي إقتراحهم المخل بشرف الخلافة وإن أدى هذا الرفض إلى خلعي عنها » فيظهر جلياً أن المستعمرين قد بذلوا أقصى الجهود لخلع الخلفاء وإنحلال الخلافة الإسلامية وتجزئة الإمبراطورية الإسلامية وإقامة حكومات صغيرة على أنقاضها وترويجهم فيها الشعوبية والقومية والوطنية للقضاء على الإسلام ؛ وكان كل ذلك لغرض إنشاء

دولة صهيونية إسرائيلية في فلسطين تأميناً لسيطرتهم الإستعمارية المؤبدة على هذه المنطقة الغنية بمعادنها ، فليس من المعقول أن ننتظر من المستعمر أن ينصرف عن هذه الفكرة التي ليست بسيطة وطالما سعت لإيجادها ؛ ولقد قال بعض المبشرين بالأمس في إحدى مؤتمراتهم مامعناه : « إننا مدينون بالفضل العظيم والشكر الجزيل لإخواننا المبشرين الذين قدروا على تنفيذ البند الثالث من برنامج هدم الجامعة الإسلامية بمحو الخلافة من الوجود ، تلك الدعامة المتينة التي رسخت أجيالاً عديدة يستمد المسلمون منها كل قوة وعظمة ؛ ومجد ؛ وبحق فإنّ موفقيتنا في هذا الباب كانت عظيمة ؛ وبالتالي كانت مساعي مشكورة مثمرة أدت الى نتائج باهرة » أيّها العرب أيّها المسلمون ، ليس لكم بعد ماكشرت الدول المسيطرة على العالم أنيابها ؛ وأصحرت لكم عن سوء نياتها ؛ وأنه لم يبق أي أمل في عدلها وإنصافها ، نعم لاوسيلة لكم إلى الحياة والبقاء في صحيفة هذا العالم وعدم الإنقراض من لوح هذا الوجود إلاّ بالإتفاق يداً واحدة على العهود البارة على الدفاع عن بلادكم المقدسة بالنفس والنفيس ؛ ومقاطعة كل عمل صهيوني ؛ وأن تسدوا حاجة فقراء فلسطين لكي يكون لكم النجاح مأمولاً والنجاة من خطر الصهيونية قريبة ؛ وإلاّ فالذّل المخلّد ؛ والموت المؤبد وعلى الإسلام والعرب السلام ، ﴿ **وإتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ أن العالم الغربي يخشى الإسلام إذا إتحدت أنصاره ولاسيما في بلاد العرب التي هبط فيها وحي الله تعالى بالدين الإسلامي وهي لاتزال الحصن الحصين لإتباعه ، إذ يرى الغرب في وحدة المسلمين والعرب خطراً على كيانه وأغراضه الإستعمارية ؛ ولايخفي شعوره في هذا الصدد ، بل هو يسعى بكل الوسائل لوضع العراقيل في سبيل التفاهم والإتحاد بين الأُمم الإسلامية لإنهم يدركون

جيداً أن القوى والمعدات الحربيـة والآلات الجهنمية القـائمة في المـاء أو المحلقة في السماء أو الراكزة على الأرض مهما تنـوعت وتعاظمت فـإن قوة الإتحـاد والإتفاق في الأُمـة أشد بـأساً وأعـظم مراسـاً وأبعـد أثـراً ، بـل لاتجدي تلك القوى وإن تسامت في الحول والطول وشدة الهول مالم تكن مرتكزة على تلك القوة .

ورغم هذا كله نهضت إيران والهند وسائر الممالك الإسلاميـة لنصرة المسلمين والعرب في فلسطين ؛ ومن الواضح أن الشرق الشيوعي يؤيـد الغرب الإستعماري في ترسيخ جرثومة الفساد الصهيـوني في فلسطين لأن مطامعه في منابع الثروة في هذا الشرق من الذهب الأسود وغـيره أزيد من مطامع الغرب فيها فإنه يريد السيطرة على البحـار أيضاً فـإتفقت سياسـة الشرق الشيوعي مع سياسة الغـرب الإستعماري عـلى تأسيس الحكـومة الصهيـونية في قلب الـدول العـربيـة والإسـلاميـة لتعكـير صفـاء الأمن والإستقـرار في البلاد العـربية والإسـلامية لغـرض الإصـطيـاد في المـاء العكر ؛ وبما أنّه لاتوجد قوة لدى المسلمين والعرب تكافىء قوات الشرق الشيوعي والغرب الإستعـماري فلاشـك في أن الفساد الصهيـوني المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فإن عدتم ﴾ يظهر على عالم الوجود ويعقبـه الإنتقام الإلهي الشديد المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ عدنا ﴾ وهذا الإنتقام سيكون نتيجة للتنافس الجنوني الذي سوف يظهر بين الشرق الشيـوعي والغرب الإستعماري على منابع الشرق الأوسط ؛ ووليد السياسـة المتضادة بينهـما فـإن أيد الغـرب أحد الـطرفـين أيـد الشرق الـطرف الآخـر حتى ينتهي الصراع بـين الشرق الشيـوعي والغـرب الـرأسـمالي ، إلى زوال الـوطن الصهيوني والحكومة الإسرائيلية عن صفحـة الوجـود ؛ ويتحقق ماكتب الله عـلى اليهود من الـذلة والمسكنـة في يوم يـرونه بعيـداً ونراه قـريبـاً ؛ والـدولة الإسرائيليـة التي تنشأ لغـرض تـوازن القـوة في منـطقـة الشرق

الأوسط ، تزول عن عالم الوجود بتوازن القوات العالمية المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع * وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله** ﴾ نعم إنَّ الله يؤيد الدين الإسلامي بأقوام لانصيب لهم منه ؛ وسينال من الإنتقام الإلهي كل من الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي نصيبه موفوراً ؛ وأرى من اللازم أن أطلع الرأي العام العربي الإسلامي عامة ؛ ورئيس اللجنة العربية العليا وأعضائها الكرام خاصة ، على أن موقفي قبل يومين في « تل أبيب » الذي كان يخشى سماحة المفتي كثيراً على حياتي منه ؛ وصرختي الداوية فيها أذهلت الصهيونيين الغاصبين عن أعمالهم ؛ وإنذاري الشفهي الصريح المبين الذي وجهته إليهم ، أنتج أن فريقاً من زعماء الصهيونيين إلتمسوني أن أتوسط لتقنيع اللجنة العربية العليا ورئيسها بأنّ طريقة إندماج اليهود في الحكومة العربية بعد تأسيسها في فلسطين هي أنجع الحلول للمشكلة اليهودية الصهيونية فإني صارحتهم في إنذاري الذي وجهته إليهم بأن المسلمين البالغ عددهم في العالم أربعمائة مليون مسلم يؤيدون العرب ويعارضون القضية الصهيونية أشد المعارضة ؛ وأن المستعمرين سيضطرون سياسياً على إرضاء المسلمين والعرب ولكنني رفضت إلتماسهم وإقتراحهم ، لإعتقادي بأن طريقة الإندماج أيضاً غير صحيحة بل ليست ممكنة ؛ وذلك لأن مبادىء الدين الإسرائيلي جعلت الشعب اليهودي محدوداً في تفكيره وميوله ؛ وصيرته صعب الإمتزاج ، منفرداً في طباعه وعاداته وتقاليده ، بحيث رسمت فيه هذه الصفات طابعاً خاصاً به ؛ ويميزه عن سائر الشعوب ؛ ويعيش عيشة متميزة ولايشترك في الشعور العام ؛ ولايحس بما يحس به المجتمع الذي يعيش في وسطه ؛ ولذلك نال مقت مواطنيه في سائر البلاد والأقطار ، ولايمكن توسيع نافذة العقلية اليهودية ؛ وصفوة القول ، أن اليهود أقلية خطرة

يتعذر دمجها بأبناء البلاد الأكثرية ؛ وإني لاأوافق على كل حل للمشكلة اليهودية يتضمن بقاء نفر واحد من الصهيونيين اليهود كمواطن في فلسطين وكشريك في هذا الوطن العربي ، وأعلن أن العرب أحق شعوب الأرض بإحتلال فلسطين ؛ وأن إدعاءات اليهود باطلة لايقرها الدين ولاالتاريخ إن فلسطين وطن عربي وأرض مقدسة ، وكل مافيها مقدس ، وبهذا يجب أن لايكون محل مناقشات سياسية ؛ ومطامع باطلة ؛ وإني أؤيد كل التأييد الرأي الذي قد صرح به سماحة مفتي فلسطين بقوله : « إن فلسطين عربية بدمها وتاريخها وحاضرها ، وهي معضدة بسبعين مليوناً من العرب وأربعمائة مليون من المسلمين ، ولبريطانيا معهم مصالح غاية في الخطورة فعلى الشعب البريطاني أن يختار بين صداقة هذه المئات من الملايين وبين الإستمرار في سياسة جائرة وشاذة وغير طبيعية إرضاءاً لمتهوسي اليهود السياسيين ورأسماليهم » .

وإن في الحروب الصليبية درساً بليغاً وعبرة لكل من يقصد السوء بالإسلام والعروبة ، فالدول المسيحية مع كل مابذلته من الجهود والتضحيات والدماء لم تفلح في قهر المسلمين وإغتصاب ديارهم نهائياً ، لأن في العربية الإسلامية ديناً ومبدءاً وإيماناً وقوة ؛ وهذه كلها تجعل من العرب والمسلمين رجالاً يسخرون بالموت في سبيل المجد والحق ؛ وإن عظمة العرب والمسلمين والروحية العربية والإسلامية لاتغلب ؛ وإن كان للمادة فوز وقتي على المسلمين ، لأن هذه الروحية العظيمة هي حية كامنة في نفوسهم أبداً فإذا إختفت زمناً مافلا تلبث أن تظهر بأجلى مظاهرها وقت الضيق والشّدة ، نعم إن الروح العربية تستقي إيمانها وقوتها وثباتها من منهل دينها الحنيف ؛ ومن مآثر ماضيها المجيد ؛ وقد كان الله عوناً لها إذ تغلبت ثلاثون ألفاً من أجدادنا العرب المسلمين على إمبراطوريتين عظيمتين ؛ وأسست على أنقاضهما إمبراطورية إسلامية

واسعة ؛ وستمد روحانية الإسلام سبعين ألفاً من العرب وإربعمائة مليون من المسلمين في كفاحهم لحفظ بلادهم وإستقلالهم ولنيل أمانيهم وإستعادة مجدهم ؛ وإن سيف الله تعالى لأمضى من سيف المستعمر ؛ وإذا أختفى نور الحق حيناً فلا يلبث أن تظهر أشعته الساطعة فتنصر العدل والحق على الجور والباطل ، ألآن وقد بعثت الحركة الصهيونية في نفوس العرب والمسلمين قوة وأملاً ونشاطاً وإيماناً ؛ ووحدت صفوفهم في سبيل تكوين القومية والمناداة « بالوحدة الإسلامية » التي لانجاح للعالم العربي الإسلامي بدونها ، يجب على كل عربي صميم ؛ وكل مسلم مؤمن صادق في مشارق الأرض ومغاربها أن يثور بوجه هذا الإغتصاب والظلم والباطل ؛ وأن يتعض بهذه المأساة المؤلمة التي تمثل على مسرح فلسطين .

ويجب أن ألفت الأنظار إلى أن الصهيونيين والمؤيدين لهم من اليهود لايعرفون موسى كليم الله ولا التوراة ؛ ولايعتقدون بالله ولا باليوم الآخر ؛ وهذا عالمهم « آينشتاين » وجه دعوة إلى أخطر المؤتمرات العلمية يطالبها أن تحارب فكرة الإلوهية ؛ وتنقي الأذهان من هذه الخرافة ؛ ويعتبر النجاح في ـ محاربة الله ـ أكبر كسب تحرزه الإنسانية ؛ فهل هذا يهودي ؟ وإنه بوسيلة هذا الإلحاد ؛ وبمساعي أتباعه الصهيونيين ولكونه آلة سياسية إستعمارية للمستعمرين يتقن تحقيق أغراضهم الإستعمارية « وقد إتهمه بعض المؤرخين بالشيوعية أيضاً » إرتفع بشهرته الفارغة إلى قمة العلم الطبيعي رغم أنه لم يستطع أن يكمل دورة الأكاديمي ؛ ولم ينجح في إمتحان الدخول في « دار الفنون زوريخ » في السويس ؛ وبعد فراغه لم يحصل على عمل في ـ يونيورستي ـ ولم يكن له تجهيزات أو مختبرات « لابراتور » بل كان كل جهازه الإكتشافي عبارة عن القلم والورق ؛ ومن هنا يمكن أن يدرك سر مكانته

في أمـريكا حتى بلغ من العمـر أربعـاً وسبعـين سنـة ومـات وهـو يحمـل الجنسية الإمريكية ولكنه كـان في دمه وعنصره أوربيـاً لاأمريكيـاً وكانت علومـه أُوربية ، أي من العلوم المقـترنة بكلمـة « لمـاذا » و « لأي شيء » وكانت هذه العلوم وكل نظرية « تؤري » غير مقبـولة في أمـريكا المتـمايلة إلى العلوم المقـترنة بـالعمل وبكلمـة « ماهـو » و « كيـف هو » ولـذلك لم تقدر ولم تستقبل في أمريكا تلك العلوم الأُوربية والآراء الفيزيكية لنيوتن حينما نقلها الأمريكيون من « بنيامين فرانكلين » إلى « تاويـلارد كيب وج رابرات » مثل ماقدرت من « آينشتاين » الصهيوني وبالغوا في الدعاية له حتى قـال بعضهم : « إنّ حـادث ـ هـيروشيـما ـ أثبت عمليـاً الـنظريـة النسبيـة لإينشتـاين » ، تلك النـظريـة التي هي أشهـر معـادلـة علميـة أوجدت إنقلاباً عظيماً في الأفكار وفي عقائد البشر ؛ وقـالوا : إنـدهشت الأوسـاط العلمية في أنحـاء العالم من مفـاجئة « النـظرية النسبيـة » التي إقترحها الدكتور ألـبرت أينشتاين لـربط وتفسير جميـع التجارب الحـديثة والمشاهدات لأنها تستدعي قلب التصورات القـديمة للزمـان والفضاء ؛ وإستبدالها بتصورات أُخرى غريبة جداً كتصور الحـد الرابـع ؛ وإنحناء الخـطوط العالميـة حتى التي زعموا أنها خـطوط مستقيمة ، كـما تستدعي قلب أُصول « إقليدس » الهندسية ؛ ومبادىء فلاسفـة اليونـان الفلسفية والمنـطقية ؛ وقـوانين « نيـوتن » الميكـانيكيـة ؛ وأشـاعـوا أن الـدلائـل الرياضية المستعملة في إثبات قانون هذه النظرية هي أسمى وأدق من أن يدركها أكثر الرياضيين ، حتى قال أينشتاين نفسه متبجحاً : « أنّ الذين يمكنهم أن يفهمـوها لايتجـاوزون عـدد الأصـابـع » ونحن ـ بعـون الله تعالى ـ بينا في مؤلفاتنا الفلسفية ؛ وفي محاضراتنا الريـاضية التي ألقينـاها في لاهور ، عاصمة البنجاب ؛ وفي لكنهؤ ؛ وفي كلكته ؛ وفي القاهرة ؛ وفي بيروت ؛ وفي دمشق ؛ وسائـر العواصم والأقـطار ، نشوء النـظرية

النسبية ، في الفلسفة اليونانية ؛ وفي الفلسفة الإسلامية وفي الإكتشافات الأخيرة ، يقتنع بها الرياضي بأن نسبة إكتشافها إلى إينشتاين لاتصور الحقيقة ؛ وأثبتنا بالأدلة أن مبدأ هذه النظرية قضية بسيطة مألوفة قديمة ؛ وهي « أن الأجسام متحركة نسبياً » وهذه القضية من إفادات فيلسوف الإسلام الأكبر « الخواجه نصير الدين الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي » .

ولقد كان شوط « الفيثاغوريين » في هذه النظرية أوسع من أشواط « ميكلسن » ، و « مورلي » في سنة ١٨٨٧ م وأينشتاين في سنة ١٩٠٧ م حيث قال أكثر الفيثاغوريين : « النسبة نظام الكون الشامل » والمعيار في هذا النظام ، إعتبار أبعاد متساوية ، ووحدات قياسية ؛ وأثبتنا أن هذه النظرية الفيثاغورية ، مغالطة نشأت من الإشتباه والخلط بين وحدة الحساب ووحدة الهندسة ؛ وأوضحنا أيضاً أن النتائج الحاصلة أخيراً من مشاهدات ظواهر الكون والكهربائية أدت الى النظرية القائلة : أن قوتيهما من جنس واحد ؛ وأنهما حاصلتان من ظواهر الإضطرابات التموجية المنتشرة في الوسط الإفتراضي « الأثير » بسرعة « ١٨٦٠٠ » ميل في الثانية ؛ فقام العلماء بعدة تجارب لغرض الوصول إلى غاية تستهدف قياس سرعة سير الأرض بالنسبة إلى الوسط المذكور وتسميتها بالسرعة المطلقة ؛ وكان أهمها تجربة « ميكلسن » و « مورلي » سنة « ١٨٨٧ م » التي سببت ظهور النظرية النسبية المنسوبة إلى إينشتاين لأنه قام بتوسيع في تفسيرها ؛ وتعليلها .

ونحن إستعرضنا في مؤلفاتنا جميع البراهين الرياضية التي أُقيمت لإثبات النظرية النسبية منذ ظهورها إلى عصرنا وأيدنا ما فيه مسحة الحق وأبطلنا كثيراً منها بأدلة رياضية أدق منها ، ولما أرسل شاعر الهند

وفيلسوفها الإسلامي « الدكتور سر إقبال » ترجمتها باللغة الأمريكية إلى لجنة تدقيق النظرية النسبية أقتنعت اللجنة بصحتها ، وكان من نتائجها ماشاع أخيراً من تنازل آينشتاين عن نظريته النسبية ، وعدوله من النتائج المبتنية عليها .

وصفوة القول ، أن الصهيونيين ومؤيديهم من اليهود الغاصبين أوطاننا المقدسة لايؤمنون بالله ولابكتبه ولابرسله ولابموسى ولابعيسى ولابمحمّد ولاباليوم الآخر وإنّهم ملاحدة لا دينيون فيجب أن يتفق جميع المؤمنين بالله وبرسله وكتبه واليوم الأخر وجميع المؤمنين بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) والمؤمنين بعيسى وكافة المتدينين بدين من الأديان الإلهية على مكافحة الصهيونيين ومؤيديهم بل محاربتهم وإخراجهم من الأراضي المقدسة لأنهم أعداء الله وأعداء رسله وكتبه وأعداء جميع الأديان المنزلة وأنهم في طليعة اللادينين ، والجراثيم الفتاكه ؛ فعلينا أن نستعد قبل أن يؤخذ على أيدينا فلا نستطيع أن نستعد وحينئذ نشعر بمضض الإهمال في الوقت الذي لايقيد هذا الشعور ، ولايدفع الضيم ، لأننا في ساعة عصيبة نحن أحوج فيها إلى التضامن والتضافر من كل ساعة ، لأن القوى الروحية أخطر من القوى المادية ، وليس لنا إلاّ التحلي بما يضمن سلامتنا ويرد عنا غارة الأعداء الذين يتخذون من تفرقنا حجة علينا في إستعمارهم وإنتدابهم .

فمن الواجب على أولياء الأُمور وجميع الحكومات العربية والإسلامية بل المسيحية إعطاء هذه القضيّة أعلى مراتب الأهميّة والإهتمام بإستئصال هذه الجرثومة الخبيثة ؛ وفي الختام أبتهل إلى الله ـ جلت قدرته ـ أن يثير هذا النداء العام الذي يمس شغاف القلب ، حماسة في قلوب الجميع ؛ وأن يقرر قاعدة أساسية يجب أن يعيها كل مسلم وكل من يدين بالأديان الإلهية وكل عربي وشرقي ؛ وغربي ؛ وأن يحفظها

الطلاب في مدارسهم ؛ ويرددها المصلون وأئمة الجماعة والخطباء في مساجدهم وكنائسهم ؛ ويتخذها المناضلون دستوراً في جهادهم المقدس ضد الصهيونية وضد الإلحاد واللادينية ؛ بل اللازم نشره في عامة الصحف ؛ وإذاعته في المذاييع العالمية ؛ وإبلاغه إلى عامة البلاد والنواحي ؛ والعواصم والضواحي ؛ والهتاف به صرخة عالية ؛ وصيحة داوية ، حتى يسمعه حتى الأصم والأبكم عسى أن تستفز الجميع . ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

سماحة المفتي يشكر

بعد إنتهاء خطبة الإمام الزنجاني ، نهض سماحة المفتي الأكبر ووقف أمام المنصة ؛ وقال : « ياسماحة الإمام الزنجاني : إنّ درسكم هذا في المسجد الأقصى كان أنفع لفلسطين من مائة ألف جندي بكامل معداتها ؛ ولقد قلدتم فلسطين بجلائل أعمالكم منة لن يمحوها الدهر ؛ وسيذكركم أبنائها كلما ذكر الجهاد في سبيلها والدفاع عن كيانها .

ولمّا خرج الإمام الزنجاني من بيت المقدس والمسجد الأقصى في موكب عظيم حافل بأعلام العلماء والزعماء والرؤساء والشباب المثقف المتحمس ومختلف الطبقات توجه إلى ضريح المنقذ الأعظم جلالة المرحوم الملك حسين بن علي ؛ ووقف على ضريحه ؛ وبعد تلاوة سورة الفاتحة قال : « رحمك الله أيّها المثل الأعلى للبطل الهاشمي المخلص المجاهد في سبيل الخير العام ، نهضت نهضتك المباركة التاريخية فبعثت بها الحياة إلى نفوس الأُمم العربية والإسلامية ؛ ونفثت بإرادتك الجبارة روح القوة في إرادتها وعظمة أشعرتها بسر عظمتها ؛ فهي مدينة لك بالشعور بوجودها وبكرامتها وبحقها في الحياة العزيزة القوية ؛ فكنت قوام وجودها وباعث إستقلالها وإرتقائها فجدير بها أن تسجل تاريخ

نهضتك المباركة مع أشبالك العظام ؛ ووراث خلالك العظيمة ؛ وسجاياك الكريمة ؛ والمثل العليا لعظمة النفوس ؛ بمداد من النور الخالد ؛ وكأني أرى روحك الطاهرة ترفرف على أُولى القبلتين وتحميها بعون الله تعالى عن إعتداء المعتدين كما كنت تحمي الحرمين الشريفين طيلة حياتك ، ومامات من خلف ورائه دوياً يملأ الأجواء ؛ وذكراً تتعطر به الأرجاء ؛ ونوراً تستهدى به الأحياء ؛ وسيرة تترسم خطواتها القادة والعظماء وأشبالا يحيون آثاره ويزيدونها لألآء ؛ وسلام على عباده الذين إصطفى ؛ والحمد لله رب العالمين .

الخطبة السابعة

الخطبة السابعة

أو

الإنذار التاريخي

وهي الخطبة التي ألقاها الإمامي الزنجاني في « تل أبيب » على زعماء الصهيونيين ؛ والجماهير اليهودية في ٢٤ رمضان ١٣٥٥ هـ ٢٨ ديسمبر ١٩٣٦ م .

تمهيد :

كانت سيرة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جارية على إتمام الحجة على الذين بلغتهم الدعوة الإسلامية من اليهود وأهل الكتاب والمشركين قبل أن يبدأ بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ؛ فأتباعاً للسيرة النبويّة (صلّى الله عليه وآله) قصد الإمام الزنجاني « تل أبيب » وخرج من القدس متوجهاً إلى « تل أبيب » في ٢٤ رمضان ١٣٥٥ هـ و ٨ ديسمبر ١٩٣٦ م في موكب فخم تضمن بعض القناصل العامة لبعض الدول العربية والإسلامية في القدس - رغم ممانعة سماحة مفتي فلسطين إشفاقاً على سلامة الإمام الزنجاني - وصل الموكب الإسلامي العربي تل أبيب وإخترق شوارعها حتى وقف على الساحل ؛ وتجمعت هناك جماهير كثيرة من اليهود الصهاينة وزعمائهم بين دهشة وإستغراب ؛ وبينما كانوا يتلهفون لإكتشاف الغرض إذ إرتقى الإمام الزنجاني على ذروة المرتفع وإرتجل الخطاب الآتي وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا * وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ . أيّها الصهيونيون المستعمرين ؛ في هذا العصر ـ عصر القوميات ـ الذي تلتهب فيه نيران الوطنية وكل دولة ينبض فيها عرق الحياة ، تصب الزيت في النفوس الهائجة لإضرام الحماسة القومية وفي الوقت الذي تلبد فيه جو السياسة بغيوم التسابق القومي ؛ والتسلح الدولي ؛ والدول تحث شعوبها على الإتحاد والتعاون ؛ والولاء لراية الدولة نراكم أنتم الصهيونيين تتغنون بأحلام الوطن القومي ؛ ومما لا ريب فيه أنّ فكرة إنشاء الوطن القومي لكم ولدت شعور الكراهية والنفور بين اليهود وبين سكان البلاد التي إستوطنوها وكلهم يعتبرون اليهودي غريباً عنهم ؛ وكثير منهم وصموا اليهودية بوصمة الأقلية الخطرة التي يتعذر دمجها بأكثرية البلاد ؛ ولعل هذا هو السبب في أن ألمانيا أجلت اليهود من بلادها ، يريد اليهود أن يتمتعوا ـ من دون خلق الله ـ بقوميتين الألمانية مثلاً وأن يتمتعوا بكل حقوق هذه القومية ؛ ثمّ يتمتعوا بالقومية الصهيونية الفلسطينية الخيالية ؛ ويصدرون ثروتهم التي إكتسبوها في البلاد التي يعيشون فيها إلى فلسطين لتحقيق إنشاء قوميتهم الجديدة ولاأدري كيف يوفق اليهود بين ولائهم للبلاد التي يعيشون فيها ؛ ويتمتعون بخيراتها وتبعيتها ؛ وبين نصرتهم للقضية الصهيونية ؛ والسعي مادياً ومعنوياً لتحقيق أماني القومية اليهودية الجديدة في وقت واحد ؛ وهل نلوم ألمانيا التي تشعر بقوتها القومية أو أية دولة مثلها إذا أجلت اليهود عن بلادها ؛ فيلزم أن تدركوا أن وضع اليهود الصهاينة بعد المناداة بوطنهم القومي أصبح شاذاً ؛ لايتلائم مع روح العصر الحاضر ، إذ لايسوغ للمرء أن يكون وطنياً وأجنبياً في آن

واحد ، ولايستطيع الإنسان في مثل هذه الحال إلا التكهن فيما قد يحمله المستقبل للشعب الصهيوني العنيد المتسكع في غياهب التعصب الذميم والأنانية العنصرية سيما بعد أن أوجد مسلك الإضطهاد والإجلاء نحو اليهود رد فعل ؛ وأنتج الثورة العاطفية في اليهود ؛ وقوت الروابط العنصرية والدينية فيهم وإندفعوا إلى إنشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ؛ وما أبعد هذا العمل من المنطق ، إنّها لأحلام سخيفة كالقصور التي تبنى على سطح البحر ؛ ولقد أدرك العالم أنّ الحركة الصهيونية هي حركة رأسمالية إتفقت مع المصلحة الإستعمارية ؛ فليدرك الصهيونيون أن هذا إتفاق وقتي ولايمكن أن يدوم لوضوح أن الإستعمار يناوىء القوميات المزاحمة التي تنموا في البلاد المستعمرة ويقاومها بكل ما أُوتي من حول وقوة ؛ فإذا شعرت القوة الإستعمارية بتدرج روح القومية الصهيونية إلى درجة تكون من الخطورة بمكان حيث تصبح منافسة لأغراضها الإستعمارية ؛ فلا تلبث أن تسعى في إضعافها ، مع أنّها قد ترى من مصلحتها إبقائها في حياة عليلة تستغل وجودها في سياستها ؛ وهل يدخل في عقل أي فرد له إلمام بشؤون السياسة الإستعمارية أن المستعمر بذل مابذله من الأنفس والمال حباً باليهود والصهيونية أو للمحافظة عليهم من العرب كما يزعمون لأنّ ذلك يخالف الحقيقة ؛ وهل يعقل أن يكون وعد المستعمر للصهيونيين أرفع مقاماً من الوعد والعهود التي قطعها للعرب ؛ وهي وعود صريحة تعطي لصاحب الحق حقه ؟ وهل يعقل أن ينكث المستعمر بوعوده للعرب ويلتزم وعده للصهيونيين ؟ فقد دلت الحوادث وأثبتت التجارب أن الوعود التي تعطى في ظروف الحرب لاقيمة لها ؛ فهي حبر على ورق ، هذا مضافاً إلى الضرورة السياسية التي تقضي بوجوب حفظ المستعمر صلاته مع أربعمائة مليون من المسلمين وخمس وسبعين مليوناً من العرب ، وهذا لايتفق مع

إلتزامه الصهيونيين بصورة ثابتة ؛ والكل يعلم أنّ للمستعمر مصالحه الإستعمارية ؛ وهي عنده فوق كل شيء ؛ ويضحي كل شيء في سبيلها ؛ وعند المستعمرين ما يسمّونه « رجل الساعة » فإن أرادوا أن يحدثوا نزاعاً عمدوا إلى البحث عن رجل الساعة الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة لتحقيق خططهم الجهنمية ؛ بواسطته ؛ وإنّي أرى جلياً أنّ المستعمر إستغل منكم الصهاينة عصبيتكم ولشدة هوائكم في الوطن الفلسطيني ، إختاركم ليستفيد من أموالكم من جهة ولتحقيق غاياته الإستعمارية في فلسطين بل في الشرق الأوسط بواسطتكم من الجهة الأُخرى لاسيما والمستعمر يعلم موطن ضعف الشعب الصهيوني وواقف تمام الوقوف على عصبيته العنصرية فما كان له إلّا أن أعلن موافقته على تسريح الوحش الصهيوني في حديقة فلسطين المقدسة وإذا أمكنها ففي بلاد الهلال الخصيب كافة ؛ ولاحاجة لبيان نتائج ذلك فالكل يعلم ماكان وما سيكون حتى يخرج الوحش من الحديقة ؛ وهناك أسباب جوهرية أُخرى جعلت المستعمر يختار اليهود لتنفيذ مآربه الإستعمارية في فلسطين والشرق العربي أهمها أنّ المستعمر لايسعه أن يرتاح لإلقاء هذا العبء الثقيل على أي شعب له صلة خارجية ؛ لأنّ الشعب الذي له رابطة قومية أو دينية مع أُمم العالم لايمكن أن يعول على ولائه الدائمي لمصلحة المستعمر وعليه فقد وجد المستعمر في اليهود أُمّة ضعيفة متشتته لاحليف لها من الأُمم ولاتربطها أيّة صلة دينية أو قومية مع أي شعب خارج الشعب اليهودي ؛ ولاتثق أُمّة بهذا الشعب ؛ فجائت هذه الصفات مطابقة للشروط التي كانت سياسة المستعمر وضعتها في إختيار من يلعب الدور على مسرح إستعمار فلسطين فإنّه يرى من واجبه أن لاتزدهر فيها أُمة ذات خطر لمطامعه يوماً ما ؛ وإنّ عقلاء العالم ينظرون بعين الإستغراب إلى أعمال زعماء الصهاينة الذين إنقادوا لتيار العواطف

فرقصوا على دفء الإستعمار وهم سكارى بتأثير رحيق خيال الوطن الصهيوني في فلسطين فجادوا بأنفسهم ؛ وجروا ورائهم الأفراد والجماعات إلى جنب المدمرات الإستعمارية يقاتلون العرب ؛ وليعلم اليهود عامة والصهيونيون أنّ ما تزعمونه وطناً لليهود هو في الحقيقة والواقع قطعة من مستعمرات المستعمر وإنّكم إن إستطعتم من تأسيس دولة إسرائيلية في فلسطين فهي في الواقع مؤسسة للمستعمر وأنتم تصبحون عبيداً له وعملاء عنده بعد ماكنتم أحراراً قبل ذلك ؛ ومن الآن قد أخذكم المستعمر بأساليب الرق المرهقة ؛ ورماكم بالدواهي القاصمات ؛ ولكن الصهيونية بعملها هذا أصبحت خير حافز لنهوض الشعب العربي من سباته العميق وإستيقاظ الروح الإسلامية التي تنبه وتنشط فيه الإيمان والثبات في وجوب التضحية والإتحاد لإرجاع مجد الإسلام والعرب وإعادة سؤددهم الغابر ، نعم إن القضية الصهيونية قد لعبت دوراً مهماً في إيقاظ الشعور العربي ؛ ونشطت العاملين في سبيل الوحدة العربيّة والوحدة الإسلامية ؛ لأنّ الحركة الصهيونية جعلت البلاد العربية والإسلامية تشعر بأنّ الإعتداء على أي بلد عربي إسلامي إعتداء على البلاد العربية والإسلامية جمعاء ولابد أن يثور كل عربي صميم وكل مسلم مؤمن بوجه هذا الإعتداء وهذا الإغتصاب وهذا الظلم والباطل بعد توحيد الصفوف والمناداة بالوحدة العربية والوحدة الإسلامية ، عسى أن يفيق المستعمر وينزل عن تطبيق فنه الإستعماري في فلسطين المبني على إحداث الإضطرابات لتوطيد قدم الإستعمار فيها فيواجه الحقيقة الراهنة ويهادن الشعب العربي ؛ ويفسح له طريق الحياة ويكلم العرب والمسلمين بلسان الصراحة والتفاهم وهو اللسان الذي يفهمه العرب والمسلمون لما جبلوا عليه من حب الصراحة وكره الختل والخداع ؛ وسيضطر المستعمر إلى توفيق سياسته مع رغبات العرب

والمسلمين ؛ فحينئذ لاتبقى أية وسيلة يمكن أن يتعكز بها الصهاينة سوى ما هو من غرائب الصدف في التاريخ وهو مانشاهده من تعـاون المستعمر الشرقي الشيـوعي مـع المستعمـر الغـربي الـرأسـمالي لتحقيق الأحـلام الصهيونية في فلسطين رغـم التناقض المـوجود بـين سياستيهـما اللتين همـا ضدان لايجتمعان ؛ وهذا التعاون منهما ليس حباً باليهود الصهيونيين بـل لأنّ لكل منهما أطماعاً كثيرة في منابع الثروة في بلاد الشرق الأوسط فلأجل ذلك يحاول الخصمان تعكير مياه الإستقرار والنظام فيها ليصـطادوا في جو الإضـطراب والفوضى ؛ ولعـل هذا التعـاون أصبح مشجعـاً لكم عـلى الظلم والإغتصاب ؛ ولكن تريثوا قليلاً لكي يظهر لكم أنّ هذا التعاون والتـوافق بـين الشرق الشيـوعي والغـرب الــرأسـمالي في قضيتكم وقتي لايدوم ؛ لأنّ الشيوعية إنّما تكونت كرد فعل للرأسمالية العالمية التي بطلها اليهود الذين إرتكبـوا فنون الـربا خـلال اُلوف من السنـين حتى سيطروا بذلك على أكثر ثروة العالم وأصبحوا من كبار الـرأسماليـين وإن ما يعلمـه العـالم أجمع من التنـافس العنيف العميق بين الشرق الشيـوعي والغرب الإستعماري على منابع الشرق الأوسط ـ بمقتضى سياستيهما المتناقضتين ـ سينتهي أخيراً إلى زوال أحلامكم ووطنكم القومي عن عالم الوجود ، إذ لاشكّ في أنّ أحد الجـانبين متى سـاعد الصهيـونية مسـاعدة جـدية قـام الجـانب الآخر بمسـاعـدة العـرب والمسلمـين في سبيـل تحقيق مـطامعـه الإقتصـادية والسيـاسية ؛ فـلا يغرنكم هـذه المظاهـر والظواهـر وحينئذ ينتهي أيضـاً تغافـل سائـر الحكومـات الكبيرة وتجـاهلهم هذا الإعتـداء الواضح والظلم الفاحش على العرب في القضية الصهيونية التي تمثل على مسرح فلسطين بمرئى ومسمع منها ؛ وسيؤثـر تنافس الشرق والغـرب في فشل المجموعة اليهودية القوية التي تقارب الأربعة ملايين من الأنفس في بلاد الدنيا الجديدة « القارة الأمريكية » في تحقيق أغراضها وأمانيها بقـوة

تلك الحكومة والظاهر أنّ المستعمر أصبح يرغب في إستمالة صداقة البلاد العربية والسعي في توحيدها لتأليف جبهة قوية متحدة منها يكون خليفة له وصديقه في المحن ؛ فيكون بذلك قد وطدت أواصر التعاون والتحالف للمحافظة على مصلحة الجهتين ؛ ومما يدل على ذلك خطوته في سلخ منطقة عدن من حكومة الهند ؛ وهذه الرغبة لاتتحقق إلا بتركه مساعدة الصهيونية وإنصرافها عن تحقيق الوطن القومي الصهيوني في فلسطين وحينئذ يفيق الصهيونيون الذين ينفقون الأموال الطائلة في فلسطين وفي تل أبيب لإنشاء مستعمراتهم وتشييد أبنيتهم الفخمة وقصورهم المنيفة ويدركون أنّهم عملوا ويعملون لغيرهم ؛ وقد يأتي يوم تمسي فيه هذه المستعمرات والمباني مواطن للعرب أصحاب البلاد ؛ ولابد أن يرجع الحق إلى أهله ومحله ؛ لأنّ فلسطين بلاد عربية محاطة بعناصر عربية فلا تستطيع أن تنسلخ عن البلاد العربية المتاخمة لها مهما حاول المستعمر والصهيونيون فصلها ؛ وبالأخير ينتصر الحق والعدل على الباطل والظلم ؛ فيرجع أهل البلاد إلى مواطنهم يهزجون أناشيد النصر رافعين علم العروبة على السواحل موطدين دعائم الوحدة العربية تمهيداً لتحقيق الوحدة الإسلامية بجلالها المجيد ؛ وإعلموا أنّ الأخطار الطائلة ؛ والصعوبات الهائلة التي أنذرناكم الآن بويلاتها المترقبة إن لم تتركوا فلسطين وإن كانت هي فوق أن تفي ببيانها خطب كثيرة ولكن مع ذلك قد ألقينا عليكم في هذا الموقف بعض مواضع العناية ؛ وشفعناها بالمنطق الصريح ؛ وعززناها بالأدلة الحسية الصحيحة حرصاً على إحاطة علمكم بأعماق الغرض الإستعماري ؛ وأسرار الحقيقة والواقع ؛ فتدركون أنّ إثارة الفتن وإحداث الثورات الهائلة في فلسطين لاتنجلي إلاّ عن إتلاف النفوس والأموال على غير طائل سوى تعزيز مقام الدول الإستعمارية وتوسيع نطاق إستعمارها ؛ عسى أن تغيروا ما بأنفسكم ؛

وتستبدلوا بهـذه البلاد الفلسـطينية قـطراً آخر من أرض الله الـواسعة ؛ فتخلّصون بذلـك أنفسكم من قيود الأسـارة الإستعمارية ومن العبودية للمستعمرين ؛ وتصبحون أحراراً ؛ وتنالـون بذلـك عطف العـالم أجمع وعطف العرب والمسلمين خاصـة ؛ وإلاّ فأنـا النذيـر بأنّ الخـطر عليكم كبـير ؛ والتدارك عسـير ؛ ولاينبئكم مثل خبـير ، « فـإنّ غـداً لنـاظـره قـريب » فـأفيقـوا عن سبـاتكم ؛ ﴿ ولاتلبسـوا الحق بـالبـاطـل وأنتم تعلمون ﴾ .

دعائم تنهار

حقاً أنها معجزة من معجزات القدر أن يقف الإمـام الزنجـاني وهو أعـظم علماء العرب والمسلمـين في وسط المعمعة « بتـل أبيب » عاصمـة اليهـود بأعصـاب من فولاذ ويـوجه الإنـذار التاريخي الصـارخ بصـوت كالرعد إلى اليهود ومعاضديهم ؛ وهـو فرد « ولكنـه كان جيشـاً في إهاب رجل ؛ ورجلاً في عزيمة جيش » وكل عضو في الروع منه جموع ؛ « وكان من نفسه الكبيرة في جيش وإن خُيّلَ أنّه إنسان » فغمرهم بموجة من الهيبة الإلهية ؛ والروحانية القدسية ؛ والعقلية الفياضـة ؛ والعبقريـة الكاملة والجرأة النادرة ؛ والشجـاعة البـالغة ؛ والـبراهين السـاطعة ؛ ولاغـرو « فإنّه يحمـل أعلى الشهـادات من سيرة أمـير المؤمنين عـلي بن أبي طالب الذي حمل وحـده بأمـر الله رسولـه (صلّى الله عليـه وآله) سـورة البراءة وتـلاها عـلى المشركين في مكـة في موسم الحـج » وبمثل هـذا كان الإمـام الـزنجاني يعـدل أُممـاً وتنـطوي في مؤهـلاتـه أجيـال ؛ فـإنهارت دعـائم اليهود ؛ فأمالوا له الأعناق خضوعاً ؛ وطأطأوا الرؤوس أمامه تواضعاً ؛ وتقدم زعماء اليهود إلى الإمام الزنجاني ملتمسـين من سماحتـه أن يتوسط لهم أمـام اللجنة العـربية العليـا لإيجاد التفـاهم بين اليهـود وبين سـاسة

العرب لأجل حل المشكلة بطريقة إندماج اليهود كأقلية في حكومة عربية مستقلة تقام في فلسطين بدلاً من ركون اليهود إلى العضد البريطاني الذي تأكدوا من أنّه غير ثابت بالنظر إلى التقلبات السياسية حيناً بعد آخر وفقاً للظروف الدولية وأضافوا أنّ اليهود محتاجون إلى العرب والعرب محتاجون إلى أموال اليهود ورجالهم ؛ وهما أُمّتان مترابطتان من الجنس السامي ؛ عسى أن يؤول الأمر في النهاية إلى حسن تصافيهما وإصلاح ذات البين وزوال دواعي تجافيهما وفي ذلك كل الخير لهما في بلاد يحبانها ويريدان أن تكون مناهل يرتشفان فيها رضاب الخير ؛ والهناء والسعادة .

ولكن الإمام الزنجاني رفض إقتراح اليهود وقال : أعتقد أنّ العرب لاينخدعون بمثل هذا الكلام المخدر ؛ ولايقنعون بأنّ اليهود يمتّون إليهم بصلة جنسية أو قربى عنصرية ؛ وقال أيضاً : إن قضية فلسطين ومشكلة اليهود ليست قضية مصالح ولاقضية أواصر جنسية ؛ وإنّما هي قضية حرية وإستقلال ضد إستعمار وإستغلال ؛ وقد تفضل الأُمة أن تكون حرة مستقلة راضية بالفقر على أن تملأ ديارها بالذهب والمال تحت يد الإستعمار والإستعباد ؛ ومن المحال إقناع العرب بهذا التفاهم لأننا نعتقد أنّه لاخير في أموال اليهود ولافي رجالهم ؛ وليس من الممكن قبول إندماجهم في الحكومة العربية في فلسطين بكل الوجوه ؛ ونحن لانرضى أبداً بكل حل للمشكلة على أساس أن يبقى فرد واحد من اليهود كشريك للعرب في فلسطين أو في أقل جزء منها ؛ وليس لكم عند العرب إلّا أن تخرجوا من فلسطين وتتركوها لأصحابها .

هـذا ختام الجـزء الثاني من كتـاب « صفحة من رحلة الإمـام الزنجـاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية » وسيتلوه الجزء الثالث حافلاً بسائر خطب الإمام الزنجاني إن شاء الله تعالى

الجزء الثالث

كتاب

المثل العليا

محاضرات الإمام الزنجاني

المثل العليا

محاضرات الإمام الزنجاني

كلمة شيخ الجامع الأزهر

إنّي لأوصي جميع الناشئة الإسلامية التي تريد أن تفهم الشرع والدين والإجتماع ؛ فهماً ترتاح إليه ضمائرها وتنعقد عليه خناصرها ، أن لاتقدم شيئاً على قراءة خطب الإمام الزنجاني ؛ وكلماته ؛ وتصانيفه .

لقد قسم الله له من إكتناه أسرار التشريع وفلسفة الدين مالم يقسمه إلّا لكبار الأئمة وأحبار الأُمّة ؛ والله تعالى ينفع المسلمين بآثاره ويهديهم في ظلمات هذه الحياة بزاهر أنواره .

الإمام الزنجاني أعلم علماء المسلمين في هذا العصر .

محمّد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الأزهر

إذا سمعت محاضرة الإمام الزنجاني نسيت نفسي ورأيتني في حياة غير الحياة التي أعهدها وظننت أن إبن سينا حي يخطب .

عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين

وزير المعارف المصرية السابق

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمّد (صلّى الله عليه وآله) سيد المرسلين وآله الميامين .

وبعد : فإنّ معالي العين الحاج عبدالهادي الجلبي كان قد طبع لأول مرّة كتاب « المثل العليا » وأذاعه على العلماء والأُدباء والناشئة الإسلامية فلقي من الحفاوة والإقبال ماسبب نفاد اُلوف النسخ المطبوعة من الكتاب ؛ لإشتماله على نخبة ممتازة من خطب الإمام « الزنجاني » التي تهز المطالع من إعجاب ؛ وتبهر العقول ؛ وتحيّر الألباب ؛ فكأنّها تستوحي الغيب ؛ فليس بينها وبين الغيب حجاب ؛ وكل خطبة منها تنطوي على مالا حدّ له من الجهات والنواحي والمناحي ؛ ففيها من كوامن الفلسفة الإسلامية العريقة وفنون العلوم ؛ والحقائق والحكمة ؛ وأسرار التشريع الإسلامي ؛ والإسلوب البديع الساحر والأدب المعجز مايحيّر الفلاسفة والعلماء والأُدباء ؛ ويزيح اللثام عن بعض الأوهام التي زلق فيها بعض من عُرف فألّف وجمع وصنّف ؛ وتحلّ المشاكل العويصة التي عجزت عن حلّها الفحول ؛ وتعالج الأمراض الإجتماعية والخلقية والدينية على لوحة التشريح المنطقي البرهاني والحس الفطري الإنساني وتوجه الضد للإيمان بها وترغم الخصم على الإعتراف بها .

ولقد إنهالت طلبات القراء في أقطار الشرق على سماحة الإمام الزنجاني بكثرة يريدون منه الإجازة بإعادة طبعه ونشره مرة اُخرى .

وهذا ما دعاني للقيام بنشره مرة اُخرى خدمة للعلم والدين بعد الإذن من سماحة ملقيها الإمام الزنجاني أدامه الله ذخراً للإسلام والمسلمين .

مؤسس « مكتبة آل المشهدي العامة »



سماحة الإمام الكبير المصلح آية الله الشيخ عبدالكريم الزنجاني دام ظله

مقدمة

مقدمة

الطبعة الأُولى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا موجز من محاضرات قيّمة في المثل العليا ، تفضل بـإلقائهـا في المنـاسبات ، سماحة الإمـام المجدد ؛ والمصلح الأكـبر آيـة الله الشيـخ « عبـدالكريم الـزنجاني » عـلى جمع غفـير من أعيان العلماء والأفـاضـل والأُدبـاء وعيون الأسـاتذة ؛ جمـع فيها بـين البيان المـرتجـل ؛ واللبـاب المنتخل ؛ ويوجد في مواضيعها آراء جديـدة ؛ وأفكار أبكـار ، لم يسبقه إليها سابق فيما نعلم يصوغها في إسلوب جميل بـإيجاز يفـوق في وضوحـه كـل إطناب ؛ ويـرينا ألـوانـاً جـديـدة من طـرائق الإفصـاح عن أسرار الدين ؛ والتشريع ، تحتـل القلوب والأرواح ؛ وكثير منهـا تحف لم تفتق رتق سمـع ؛ ولاخـطب مثلهـا في جمـع ؛ وفي بعضهـا يحس المستمـع والقارىء أن ضوءاً جديداً قد سطع على موضوعات قديمة مألوفـة ؛ فإذا الأفكار المحتجبة وراء ستـار من الأساليب الملتـوية ، قـد تجلت واضحة قوية أدام الله نفعه . سنة ١٣٦٥ هـ وإليك مواضيعها :

١ ـ المثل الأعلى للعدل الإجتماعي في الإسلام .

٢ ـ المثل الأعلى للدين .

٣ ـ المثل الأعلى للإنسان .

٤ ـ المثل الأعلى للأدب .

٥ ـ المثل الأعلى للبيان .

المثل الأعلى للعدل الإجتماعي في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكمال المطلق لايكون إلّا لله وحده ؛ والله المثل الأعلى ؛ وأمّا المُثل العليا لسائر الموجودات ؛ وأنواع الكائنات في هذا العالم من إنسان وحيوان ونبات وجماد ؛ وكل مافي عالم الوجود من المبادىء والعقائد والأديان والشرائع والعلوم والأنظمة وسائر المقررات العقلائية ؛ فجميع هذه المثل العليا تتكون من كمالات نسبية ودرجات نهائية للكمال النوعي تضع الموجود المتصف بها في أعلى مستوى يمكن أن يصل إليه ؛ والمثل الأعلى ضروري في كل نوع من أنواع الموجودات إذ عليه يرتكز ناموس الإرتقاء ويستهدفه الإنتخاب الطبيعي وفلسفة بقاء الإصلاح في تنازع البقاء ؛ والمثل الأعلى غاية كل حركة إرادية ؛ بل كل حركة طبعية أيضاً ، بناء على نظرية الحركة الجوهرية .

والمُثل العليا لأنواع الموجودات جديرة بأن تفسر بها المثل الإفلاطونية وأرباب الأنواع التي حارت عقول المتأخرين في تفسيرها وقصرت أفهامهم عن إدراك حقائقها .

وبعد هذا التمهيد الموجز أقول : إن الدين الإسلامي قرر المُثل العليا للتشريع والأنظمة والتعاليم والمبادىء والأخلاق والحقوق والإقتصاد والسياسة وأُصول العقيدة والعدل الإجتماعي المرتكز على أصل المساواة ؛ وبذلك صار الإسلام جديراً بالشمول والعموم والخلود ؛ لأنّه دين الإنسانية وقد بنيت أحكامه على العدل والإعتدال ؛ وإحترام النواميس الطبيعية ؛ وإستقصاء الشؤون الإجتماعية ؛ ولم يكلف الإنسان من العقائد إلّا بمالو ترك وشأنه لتعلق به من نفسه ، لأنّه

نتيجة قوى عقله وعواطفه ؛ وهذا الدين القويم يشمل كل شأن من الشؤون العالمية ؛ كما ينير أمام معتنقه السبل في كل مايتعلق بالشؤون الدينية ؛ ثمّ لا يعرف تفرقة ، إذا المسلم أخ المسلم في كل زمان ومكان ، له ما له ؛ وعليه ما عليه ؛ ولو أدرك الناس كافة روح الإسلام ؛ وفقهوا كنه ما يرمي إليه لَما بقي على وجه الأرض من يدين بدين آخر ، لأنّه مطلوب كل روح ؛ ومرمى كل قابلية ؛ وأنشودة كل إستعداد ؛ ومطمأن كل إحساس ؛ ومنتهى كل عقل من معنى الدين والإيمان .

سرّ الخاتميّة

ولولا أنّ الإسلام دين ينطبق على كل قابلية وإستعداد ؛ ويلائم كل عاطفة وإحساس ، لمّا كلّف الخالق العادل به عموم خلقه وجميع عناصر البشر ؛ ولمّا جعله ديناً خالداً لاينسخه دين وهو ناسخ ومكمل لما سبقه من الأديان .

خلود العروبة

وهذا سرّ إنتخابه ـ وهو مكون النفوس ، العالم بنزعاتها ـ رسوله الخاتم (صلّى الله عليه وآله) من الشعب العربي الكريم الباسل الجدير من الناحية الفطريّة بأنّ يناط به أن يحمل للعالم أجمع مهمّة تبليغ الدين العام الخالد تحت قيادته (صلّى الله عليه وآله) وأيده بالقرآن العربي المعجز الخالد الذي يساير الإسلام في البقاء بنفسه لابمجرد ذكر لخبره ؛ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إنّا نحن أنزلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾ وهذا وعد إلهي صريح في خلود اللغة العربية ؛ ودوام حياة الأُمّة العربية

وعـظمتها دائـماً ؛ لوضـوح توقف حفظ لغـة الأُمّة عـلى حفظ حياة تلك الأُمّة وعظمتها ؛ وبما أنّ هـذا الموضـوع كثير النـواحي ولايتسع حـديث رمضان لتوفيه حقّه من الإفاضة والبيـان ؛ فلنقتصر في هذه الكلمـة على الإشارة إلى أسرار بعض العبادات الإسلامية التي يتجلّى فيها المثل الأعلى للعدل الإجتماعي .

أسرار الصيام

إعمـل فكـرك قليـلاً في أسرار تشريـع الصـوم لكي تعلم أنّ هـذه العبـادة الدينيّـة ـ التي يقصد بهـا التقرب إلى الله تعـالى بترويض النفس والجسد لرفع الإنسان بروحه من حضيض الحيـوانية إلى أرفـع مقام أدبي يليق بكرامته الإنسانية ـ تبعث في الأُمم الإسـلامية لغـة الإحساس التي بهـا تنبعث من صميم نفس الصـائم عـاطفـة ليست في طـوق اللغـة ؛ ولايغني في تـذوقها الـوصف فتخلق في النفوس عنـاصر الشفقة والـرحمة والحنـان والـرأفـة والـرفق والإيثـار إلى جـانب قـوة الإرادة ؛ وربـاطـة الجأش ؛ والقدرة على مغالبة الشهوات ؛ ومكافحة الأهواء ؛ والتدريب على الخشونة ؛ وروح المفاداة في سبيل إعلاء شـأن الأُمّة ؛ والـدفاع عن العقيدة على غرار الأُمم الحيّة وتؤهّل النفوس للخصال الكريمة والمبادىء الإجتماعية القويمة التي هي الهـدف للأديـان الإلهية ولـلإنسانيـة ؛ وينبّه القلوب لضرورة التكـافـل بـين الأقـويـاء والضعفـاء ؛ وبـين الأغنيـاء والفقـراء ؛ وبذلـك يحصل التضـامن الإجتـماعي ؛ ويتـوحـد الشعـور العام ؛ وترسـخ ملكات إجتـماعية يسـود بها العـدل الإجتماعي والسلم العام .

الصوم مبدأ أدبي سام ؛ ومؤاساة شـاملة ؛ ومساواة كـاملة لمختلف

الطبقات أمام القانون الإلهي ؛ وعبادة إسلامية كفيلة بتثقيف عامة المسلمين وإيجاد عناصر الرجولة الكاملة فيهم لحد يجعلهم يتحملون بجلد وصبر أشد المحن ؛ وأعظم الكوارث ويندفعون إلى التضحية في سبيل البر وإقامة أعمال الخير من فيض فضل الله عليهم .

دولة الحق

الصوم بمركزه الديني ؛ وهيبته الأدبية له شأن عظيم في تحديد التمعّن في صنوف المتاع المادي ؛ وتوجيه العقول والأذواق إلى صالح الفرد في ضمن صالح المجتمع ؛ وتكوين أُمّة ذات غرض إنساني سام متزنة الجوانب لاتطغى فيها الخشونة والقسوة والأثرة ؛ على الرأفة والشفقة والإيثار ؛ والثمرة النهائية لهذه العبادة الإسلامية توحد الوجهة ؛ وإجتماع الكلمة ؛ وقيام دولة الحق على وجه الأرض .

أسرار الصلاة

ثمّ اعطف نظرك على أسرار تشريع الصلاة ؛ وما تضمنت من إستعراض جميع من بلغ الرشد من أربعمائة مليون مسلم عدة مرات في كل يوم وليلة في صفوف منتظمة بكل سكينة وخشوع ووقار ، الأمير بجانب المأمور ؛ والخادم بإزاء المخدوم ؛ والفقير بحذاء الغني ؛ والضعيف بجانب القوي ؛ والرفيع مع الوضيع ؛ والسيد بصف المسود ؛ وكل منهم منكسر لله ، ذليل بين يدي رب عظيم قاهر ، دون ميزة لبعضهم ؛ ولا أفضلية فيما بينهم ؛ وكلهم يستقبلون الكعبة المشرفة ؛ ويتجهون إلى بقعة والناس جميعاً متفقون في مقتضيات الفطرة ، اللّهمّ إلاّ إذا تعمّد الآباء والمربون إفساد هذه الفطرة ؛ وقد قرر الإسلام ـ الذي هو دين الفطرة والطبيعة ـ هذا الإختصاص الطبيعي ؛

وملكيـة الفرد من أهم تعـاليمه ؛ وجعـل إنتزاع ملكـه منه بـدون رضاه غصباً حراماً ومبطلاً للصلاة والعبادات .

وبهذا يحتفظ نظام المجتمع ونشاطه في العمل ؛ ويتجلّى المثل الأعلى للعـدل الإجتماعي ثمّ تصـير هذه العقـائد الصحيحـة والمبـادىء الحقّـة ملكـات راسخة في قلوب المصلين ؛ بـل أمـراً طبيعيّـاً وفـطريّـاً وحسيّـاً عندهم فيستحيل أن تجد المذاهب الإشتراكية المتطرفة التي تقاوم الطبيعة وتنـازع الفـطرة ؛ وتنفي الإختصـاص ؛ وتنـزع الملكيـة من الفـرد ؛ وتتداخل في شؤون الإنسان بينه وبين ربّه إلى قلوب المصلين سبيلا .

﴿ إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾

صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله النبيّ الكريم

أسرار الزكاة

ثمّ تمعن في أسرار الـزكـاة التي فـرضت في الإسـلام عـلى الأغنيـاء للفقراء ، بحيث لو إمتنعوا عن أدائها طـوعاً أجـبروا عليه ؛ لأنّ الفقـير شريك الغني بمقدار الزكاة ؛ وهذا دواء الفوضـوية ؛ وحصن منيـع يدرأ عن المجتمـع أخـطار الشيـوعيـة ؛ وفيـه يتجـلّى المثـل الأعـلى للعــدل الإجتماعي الإقتصادي .

الإشتراكية العادلة

الإسـلام دين الإشتراكيـة العادلـة ؛ فإنّـه يحـارب الجهـل والفقـر والمـرض ؛ ويعالـج مشكلة الفقر التي هـزت الأُمم والعـالم ، بتشريعـه الزكاة والخمس أشرقت منهـا شمس الهدايـة المحمّديـة (صلّى الله عليـه وآلـه) ويتلون النشيـد الإلهي ؛ والسبـع المثـاني ؛ ويـوجهـون قلوبهم

ونفوسهم إلى المبدأ الواحد ؛ والإله القادر ؛ وفي ذلك وحدة الشعور ؛ وتوحيد المشاعر ؛ والمفاداة في سبيل نصرة الحق ؛ والتمرين على النظام ؛ والطاعة والإنقياد للإمام ؛ « ومن هذا أخذ الناس قانون الجيش المرابط » وفي جميع ذلك تعويدهم على أُسس العدل الإجتماعي من المساواة والحريّة والإئتلاف ؛ وصفاء النفس من كدر الشوائب ؛ وتحليها بجلائل الخصائل والمكارم ؛ وأُمّهات الفضائل وعدم الإعتداء على أحد في ماله وحقوقه ؛ وهذا كاف للسلم العالمي العام ؛ إذ النزاع إنّما ينشأ من الإعتداء ، مضافاً إلى أنّ الخضوع والخشوع لله تعالى يزيلان الطمع وحب الدنيا وحب المادة الذي هو منشأ الحروب .

مكافحة المبادىء الهدّامة

وبمقدمات الصلاة تشيد أُسس النظافة والصحة والثقافة وشرف الإنسانية ؛ ويتكرر للمصلي أنّ من أهم شروط صحّة الصلاة إباحة ماء الوضوء ؛ وإباحة تراب التيمم ؛ وإباحة لباس المصلي وساتره ؛ وإباحة مكانه ؛ وإباحة مايسجد عليه ؛ وإذا كان شيء من هذه الأُمور مغصوباً بطلت الصلاة ؛ فيرسخ بذلك في ذهن المصلي أنّ الناس مختلفون في القوى والغرائز الطبيعية ؛ والصفات الوراثية ؛ وإنّ كل إنسان يملك فوائد عمله ويختص بثمرات جهوده ؛ ونتائج قواه وغرائزه كإختصاصه بنفس تلك القوى والغرائز المتفاوتة في أفراد البشر حسب الفطرة والطبيعة ؛ فيعتقد إعتقاداً يقينيّاً وحسيّاً بأنّ الإختصاص وملكيّة الفرد من الحقوق الطبيعيّة والفطريّة للإنسان ؛ وأنّ إنكاره خروج على ناموس الطبيعة والفطرة ؛ والصدقات ، مضافاً إلى حثه على الإحسان وقضاء الحاجات ؛ والكرم والعطاء مستهدفاً في هذا كله إزالة الحاجة والفقر عن الفقراء ليكونوا مستغنين في ضرورة معيشتهم ؛ فيستريح الكل برفع

مستوى معيشة الفقراء ؛ ومنح كل إنسان حقه الطبيعي في التقدم .

ولكن المـذاهب الإشتراكيـة المتطرفـة تعاكس الإسـلام في ذلـك ؛ وتحاول سلب أموال الأغنياء ؛ وجعلهم في مستوى الفقـراء ؛ وتمهّد لهم السبيل بحرب الطبقات ومحاربة الدين ؛ وتهديم أُسس الحيـاة الطبيعيـة الحرة ، لقد عميت عليهم المسالك وهم لا يفقهون .

محاضرة الإمام الزنجاني

المثل الأعلى للدين

بسم الله الرحمن الرحيم

التدين مرتكز على أصل نفساني فطري قائم على أكرم ميـول النفس وأرقاها في الإنسان ؛ والأديان الإلهية كلّها قد إعتمدت في الإنسـان على أصل راسخ من غريزة الشعور الديني فطرة الله التي فطر النـاس عليها ؛ ودفعته إلى الثقة بأنّ العالم مجموعة متناسقة تسـودها ذاتٌ مـدبرة حكيمـة ترقب النيات وتحكم الضمائر وأنّ هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسؤولية والمجـازات ؛ وقد صرّح علماء تـأريخ الأديـان بـأنّ الشعـور الـديني من الغرائز البشريّة فإنّه فطر عليه منذ نشأته الأُولى وأنّه من الخواص اللازمة لطبائعنا الأزلية ؛ ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن تتبادر إلى أذهـاننا فكـرة الدين ؛ وأنّ غـريـزة الشعـور الـديني هي التي دفعت الإنسـان إلى التفكير في مبـدأ حيـاتـه ومصـيرهـا ؛ وسـاقتـه إلى التعبـد والخضوع للأديان السماوية المتوافقة في الجوهر الثابت الخالد المكـون من الإيمـان بالمبـدأ والمعاد ؛ والمتخـالفة في الصـور حسب إختلاف مـراحل إرتقاء البشر .

مزايا الإسلام

حتى إذا بلغت الإنسانية رشدها ؛ وإستعدت لقبول أحسن الصور الدينية وأكملها وأرقاها ، أنزل عليها الحكيم العادل صورة السعادة المزدوجة التي أتى بها الدين الإسلامي الذي هو « المثل الأعلى للدين » ومزج بها بين الروح والمادة مزجاً ربانياً مدهشاً ؛ فجعل النية روحاً للأعمال ؛ وإكتساب المال بقصد صرفه في سبيل الخير عبادة ـ بالمعنى الأعم للعبادة ـ مقربة إلى الله تعالى يستحق فاعلها الثواب ؛ وجعل تربّع الملك المسلم على عرش الملك بقصد أن يحكم بالعدل عبادة مقربة إلى الله تعالى ؛ ولم يكتف بذلك ؛ بل قرر أنّ عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ؛ وهكذا يتمشى القول في أعمال سائر المسلمين من طبقات الجنود ؛ والأطباء وأرباب المهن ، والموظفين ؛ وممثلي الأُمم الإسلامية وأمثالهم .

وسجّل الإسلام للمدنية الإنسانية أرقاماً عالمية مدهشة أصبحت من أعلى مراتب الإعجاز ؛ وركز ضروب الإصلاح الإجتماعي على أصل راسخ عام صالح لكل الأزمنة ولكل الأُمم والبيئات ؛ وقرر أنظمة عامة للمجموع البشري ، أسسها على قاعدة المساواة وإحترام الحقوق ؛ وإعتبر المرأة مستقلة في نظر القانون الديني ؛ وأعطاها حق حيازة الملك وحق الإرث ؛ وجعلها مسؤولة عمّا تدخل فيه من الإلتزامات ؛ وقرر الوطنية والدفاع عن الديار « أي الوطن » حيث أوجب أن يكون المسلم عنصراً شديد الشكيمة لاتلين قناته لغامز ؛ ولايدين بالطاعة إلاّ لله ؛ ولايستخزي لسلطة غير مشروعة ؛ وهذا منزع تلتقي فيه جميع رغبات الوطنيين « العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ؛ وقرر الحريّة بمعنى حرية

الفضائل ؛ وتحرير القلب من رق الشهوات والعمل الجد لابمعنى الإباحة والإنطلاق وراء الشهوات والنزوات ؛ وهذه الحرية أصل كريم رفعت به عن كواهل الآحادنيور كانت تضعها عليها الطبقات المستعبدة لهم فإنطلقوا أحراراً يعملون ما ينفع أُسرهم وأُممهم في حدود القوانين الإسلامية العادلة ، لاهملا خالعي الشكائم الأدبيّة يأتون كل ماتدفع إليه أهواءهم وشهواتهم .

الإسلام يحارب الفقر والجهل والمرض بتشريعه الخمس والزكاة والصدقات وحثه على الإحسان ؛ وبجعله طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؛ واعتباره النظافة من الإيمان ؛ وإيجابه الإجتناب عن عدوى الأمراض و . . .

ومن أهم تعاليمه القانون العام الذي يجب أن يكون قاعدة للحكومة الإسلامية ، مع تركه لذويه إنتخاب الشكل الذي يرونه صالحاً لزمانهم ؛ وذلك القانون هو الشورى . قال الله تعالى : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ .

وما كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في حاجة إلى هذه المشورة ؛ وهو ماينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ؛ ولكن أراد الله تعالى بتوجيه هذا الخطاب إليه (صلّى الله عليه وآله) أن يكون إسوة للمسلمين كافة فلا تجري أُمورهم إلاّ على أساس الشورى في الأمر لافي ولي الأمر .

الإسلام قوة لاتغلب

فأحرز الإسلام بتعاليمه السامية حاجات العقول وحاجات القلوب ؛ إذ جمع بين العقل والعاطفة ؛ وقرر تعاليمه الأصلية مرتكزة على العقل الفطري السليم ؛ وتعاليمه الفرعية مبتنية على أساس الطبيعة

والفطرة ؛ وأثبت أن العاطفة الدينية هي القوة المعنوية العليا المعدلة للميول البهيمية والغرائز الحيوانية التي تلازم الحالة البشرية ؛ ولاتقوى أيّة ثقافة عقلية على كبحها كما هو مشاهد محسوس ؛ فلقد شاهدنا أنّ الحروب تزيد هولاً ووحشة كلّما إزداد تقدم العلم ؛ وأنّه أمضى أسلحتها .

الأساطير والأديان

ولكن حكمت الأساطير على العقيدة الدينية وأئمتها الخرافات والأوهام في أدوار كثيرة طافت بها تلك العقيدة ؛ فأصبح بعض الأديان مجموعة تقاليد موروثة في العقائد والعبادات ؛ ولاتخضع لقياسات العقل والمنطق ؛ ولا لقوانين العلوم المبتنية على التجارب والإختبارات والحواس ؛ وأدّى التقليد الأعمى إلى الجمود ؛ ثمّ أدّى الجمود إلى الجحود ؛ حتّى فقد الدين جماله السماوي وسلطانه الإلهي بين الجمود والجحود ؛ وبين التعطيل والتضليل ؛ فضعف الإيمان ، بل أقفرت منه قلوب كثير من الطبقات التي تسمى مستنيرة ؛ ويدعوها الناس مثقفة ؛ وكان يلزمهم « أن يحكموا على الأديان بالنظر إلى سيرة أرقى ممثليها ، لا إلى إنحرافات أحط الآخذين بها » . لكي يعلموا أنّه ليس شيء من ذلك لشيء في طبيعة التدين ، بل لإنحراف في توجيه الشعور الديني سببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر إستغلّوا الشعور الديني إستغلالا في سبيل مآرب لانثير دفين مخزياتها ؛ ومن الممكن إزالته وكانت نتيجة هذه الأُمور أن العالم المتمدن الغربي قرر أن الدين لايصح أن يتخذ أساساً في الحياة ؛ فإنصرفوا من الدين إلى الإلحاد ؛ وعبادة المادة ؛ وقلده الشرق .

إجترأوا على الإسلام

ثمّ إجترأوا على الإسلام أيضاً فإتهموه عمداً أو جهلاً بأنّه كغيره من الأديان ؛ إن صلح فإنّما يصلح للأرواح ؛ أمّا الحياة الدنيوية الزمنية فإنّه لاصلة بينه وبينها ؛ لأنّه خلو مما يصلحها ويقومها ؛ وأنّ له يدعيه له أنصاره فإنّما هو أشياء جمدوا عليها ؛ على أنّها وإن ناسبت كما زعموها له فإنّما هي أُمور قدم يمهدوا ؛ وكانت لزمن سالف وأُمّة قد خلت .

مبدأ نهضتنا

ولو أنّهم أنصفوا ودققوا النظر لوجدوا أنّ كلمة الدين في كتب الأوربيين معناها المسيحية لا الدين في ذاته ؛ وإذاً فهي لاتنطبق على الإسلام الذي لم يفهموا روحه وحقيقته ؛ لأنّهم تعلّموا تعاليم الإسلام من الغربيين الذين إستنبطوها من أعمال المسلمين والمسلمون شيء والإسلام شيء آخر » فلو أخذوها من علماء الدين الإسلامي المتخصصين في معرفة فلسفته وأسرار تشريعه وأسرار كتابه المعجز الخالد لأذعنوا بأنّ الإسلام يجب أن يكون المبدأ الذي تصدر عنه نهضتنا ؛ والأساس الذي نبني عليه حياتنا ؛ إذ للدين سلطان فوق العقل ؛ وسرّ يدق عن التعبير .

ولو طبقوا قوانين الإسلام ؛ وعملوا بتعاليمه الحقة لتمت بينهم الرحمة فإنتفع الضعيف بالقوي ؛ والفقير بالغني ؛ والصغير بالكبير ؛ والصعلوك بالأمير ؛ وإمتلأت الأرض خيراً وبركة .

الجهل سرّ الإلحاد

ولاعجب إذا وصم بعض أبنائنا بالجهل بتعاليم دينهم « الإسلام » التي فيها سعادة الأُولى والآخرة ؛ وهم لايكادون يفقهون منه حديثاً ؛ وكيف يفقهون ؛ وقد طرحوا من أول نشأتهم في حجر من يجرعهم الإلحاد والرذيلة ؛ وهم لم يعرفوا شيئاً عن الإسلام وحقائقه وأسراره غير أنّهم سلّموا لهذا الحاضن على أثر الفطام ؛ فصبغوا بصبغته يظنون أن أول مانفث فيهم مؤسسات الثقافة أو في مراكز الدعاية إلى المبادىء الهدامة ، من السم أو السحر لم يقله أحد قبل من غشهم ؛ حتى قاموا يتبجحون بما خدعوا به يعدونه كشفاً جديداً ؛ ونظرية حديثة تليق بعصر النور والعلم فصارت مداركهم مهابط الوساوس ؛ ومخازن الدسائس وإستحالوا إلى زنادقة ملحدين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي الآخرين وهم لايعقلون ؛ وصارت علومهم العصرية ناراً محرقة أحرقت عواطفهم وعقائدهم ومكارمهم ؛ وأخذوا يتسابقون إلى الشر مسيرين ؛ وهم يظنون أنّهم مخيرون لامسيرون لقد عميت عليهم المسالك وهم لايفقهون ؛ فخسروا الدنيا والآخرة ؛ وذلك هو الخسران المبين .

طرق الإصلاح

١ ـ إرشاد النشىء وتثبيت العقيدة عنده بصوغ تعاليم الإسلام ومبادئه التي هي صور صحيحة ؛ وآيات ثابتة لايمكن فيها تغيير ولا تبديل ، في أساليب عصرية رائعة وترسيخها في أذهان الناشئة في مدة وجيزة قبل حياتها المدرسية فتكون العلوم الطبيعية والحديثة التي تتعلمها بعد ذلك أسلحة عصرية وقوة إسلامية ترهب بها أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانيّة ؛ والحيلولة بين النشىء وبين مايملكه خصوم

الإسلام من القوى الماديّة والمدنية الباهرة .

٢ ـ إقناع الشباب بأن يسلك طريقاً وسطاً لاجامداً على القديم ولامسرفاً في تقليد الجديد ؛ حتى يحتفظ بعقيدته ويدافع عن الإسلام بإعتباره صديقاً للعلم والمدنية ؛ ليفوزوا بالحضارة الحديثة من غير أن يفقدوا في سبيلها عقيدتهم ومميزاتهم وفضائلهم .

٣ ـ توجيه الشعور الديني توجيهاً نافعاً وتنقيته من الشوائب وجعل التدين آلة فعالة في تهذيب الناس وتمكين العوامل المعنوية من التأثير في الحياة الإنسانية الراقية ؛ وتصيير الفضائل العملية التي قررها الإسلام كلها نظماً عملية .

٤ ـ تقوية الشعور الديني في الطبقات المستنيرة بإعزاز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر وتأييده أمام الفلسفة الطبيعية والعلوم الأدبية والإجتماعية وتيارات التقدم العقلي تأييداً يقوم على إحترام العقل وإعطائه حقه الكامل في البحث النزيه إلتماساً للمعرفة ؛ فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل ؛ وعن الإرتكاز على السلطة الروحية المستبدة ؛ وتحديد ما بين العلم التجريبي وبعض تعاليم الدين من خلاف والتصدي لحسمه على أساس حب الحقيقة والحرص عليها في لباقة لاتدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد ؛ ولاتدع العلم يدعى لنفسه بلوغ الكمال ؛ والحال أنّ ما إكتشفه الأمس ينقضه إكتشاف اليوم .

٥ ـ توضيح أنّ الإسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يعرف في أُوربا ويأخذه بعض الشباب المثقف في أقطار الشرق ؛ الإسلامي تقليداً بلافهم ولا علم ظانين أنّه كسائر الأديان لايصح أن يتخذ أساساً في الحياة .

لكن الإسلام « دين » يصل الإنسان بربّه و « وشرع » تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض ؛ و « سياسة » يحدد صلات المسلمين بغيرهم من الأمم و « أخلاق » ترفع الإنسان إلى أسمى غاية من مراحل الكمال يمكن أن يصل إليها ؛ وإليك ماقاله الفيلسوف « ليون روش » في وصفه بالحرف الواحد .

« إنّ الدين الإسلامي دين إنساني طبيعي إجتماعي إقتصادي أدبي ؛ ولم أذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية إلاّ وجدته فيه ؛ بل إنّ الشريعة الطبيعية التي سمّاها « جول سيمون » الديانة الطبيعية قد وجدتها كأنّها أخذت منه ؛ وقد بحثت عن تأثيره في النفوس فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرماً ؛ بل وجدت هذه على مثال مايحمله الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لايعرف الشر واللغو والكذب وقد وجدت فيه حل المسئلتين الإجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرّاً : الأولى في قول القرآن ﴿ إنّما المؤمنون إخوة ﴾ وهذا دواء الإشتراكية والثانية : فرض الزكاة على الأغنياء للفقراء بحيث لو إمتنعوا عن أدائها طوعاً أجبروا عليه ؛ وهذا دواء الفوضويّة ؛ فهو دين المحامد والفضائل ؛ ولو وجد الإسلام رجالاً يعلمونه حق العلم ويفسرونه حق التفسير ويطبقونه في أعمالهم لكانت أُمّته أرقى الأمم » .

٦ ـ مقارنة الأديان وبيان مزايا الإسلام وفلسفته والكشف عن أسرار التشريع في إسلوب دقيق جذاب مشابه لإسلوبنا الذي إستعملناه في مؤلفاتنا وخطبنا التي ملأت الصحف والمهارق سيّما التي ألقيناها في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن وبغداد والهند والباكستان وسائر الأقطار ؛ علماً بمسيس الحاجة وضرورة إستبقاء هذا الرمق الأخير من حياة الإسلام والمسلمين .

وإعتقد أنّ من أحسن الطرق الناجعة لقلب ميـول الشباب إلى فهم الـدين من طريق العلم والمنـطق أن يطالعـوا محاضرتنـا التي ألقينـاهـا في « كلكتـا » منذ مـدة بعيدة والتي نشرت في عـدة لغات ومـوضوعهـا « في طريقي إلى عاصمة الحقيقة » .

محاضرة الإمام الزنجاني

المثل الأعلى للإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

المثل الأعلى للإنسان هو الإنسان الكامل ؛ ومن الواضح أنّ للحياة نواح كثيرة مترامية تجتمع وتفترق وتتجاذب وتتنافر والمرء الذي يريد مرتبة الكـمال ليس عليه إلاّ أن يتصـل بأسبـابها ويقـارن بـين أغـراض الحيـاة ويستخلص لنفسه أسماها غرضاً ؛ وأوضحها مقصداً ؛ وإذا كان فـريق من الناس يرى الكمال في عظمة المنصب أو وفرة المال أو علو الجاه أو رفعة النسب فإنّه إنّمـا ينظر إلى الحيـاة من ناحيتهـا البارقـة الخلاّبـة ومضهرهـا البهرج الزائف الذي أن بقى حيناً فهو إلى زوال وإن مكث قليلاً فهـو إلى إنتقال .

وإمّا أهل البصيرة فيتطلبون الكمال من ناحيته الثـابتة المستقـرة وعن وسائله السامية المستبينة ؛ ولا شـكّ في أنّ كمال الإنسـان الثابت وجـلاله النفسي الخالد هو ما إنبعث عن الذّات في حدود الـذات ؛ وأمّا مـايحكيه المظهر من ثوب مهندم أو جمال بالغ أو لسان منطلق فذلـك إنّ كشف عن نفس وضيعة فقد إنقلب هذا المظهر مظهر قبح فاضح ينحدر به صـاحبه في منحـدر سحيق ؛ وأمّا ثـوب الفضيلة وجمال النفس وصـوت الضمـير فتلك هي الحقائق الكاشفة للكمال المترجمة عن جلال الجمال .

ووسيلة الكمال الحقيقي الثابت منحصرة في مكارم الأخلاق فهي المحور الذي يدور عليه الكمال النفسي وهي الدعامة الثابتة التي يرتكز عليها كل سؤدد وفخار ؛ فالإنسان الكامل هو صاحب الخلق الكامل ؛ وكلّما سمى خلقه درج في مدارج الكمال وحلق في سماوات الجلال .

الإنسان الكامل هو ذو العاطفة الكريمة والشعور النبيل ؛ إن زاده الله تعالى بسطة في المال عرف لله تعالى فضله ؛ وشكر له بره ؛ وبذل من فضل ماله للبؤساء والمعوزين في إغاثة ملهوف وإعانة مكروب فيجمع إلى محبّة الله تعالى له ثناء الناس عليه ؛ وهو بعد الظافر الفائز لن تنقص الصدقة من ماله قال تعالى شأنه : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ والأعلى منهم درجة ﴿ **الذين يؤثرون على أنفسهم** ﴾ ؛ فإتضح أن الكمال المرتكز على مكارم الأخلاف هو منشأ عظمة النفس المتكملة المتجملة وقد إستهدفه الرسول الخاتم (صلّى الله عليه وآله) في قوله : « إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وهذا سرّ تخصيص القرآن الكريم مدح الرسول الخاتم (صلّى الله عليه وآله) بناحية أخلاقه السامية في قوله تعالى : ﴿ **وإنّك لعلى خلق عظيم** ﴾ . فهو (صلّى الله عليه وآله) الإنسان الأكمل والمثل الأعلى للإنسان بمعناه العام الذي يشمل الأنبياء والرسل (صلّى الله عليهم وسلم) .

الخلق قوام الأُمم

لم يخطىء علماء النفس وأساتذة التربية والفلاسفة حينما قالوا : « الأخلاق أفضل من العلم وأنّها في المرتبة الأُولى حينما يكون العلم في المرتبة الثانية » ، مع العلم بأنّ أحسن الحالات وأقربها إلى الكمال أن

تتمتـع الأنفس البشرية بـالقسط الأوفى من الأخـلاق والقسط الأوفى من العلم في صفقة واحدة ؛ وبعـد هذه المـرتبة حـالة أخُـرى هي أن تتجلّى الأنفس البشرية بفضيلة الأخلاق والتهذيب بينها تكون خلوّاً من الثقافـة والعلم ؛ وهـذه هي أحسن الحالات بعـد المرتبـة الأُولى وأخفها شروراً وأبعدها من الأذى .

وأمّـا الحـالـة الثـالثـة وهي أن تخلوا الأنفس البشريـة من فضيلة الأخلاق والتهذيب فيما إكتسب قسطاً قل أو كثر من علوم الحيـاة ؛ فهذه هي أشـد الحالات خـطراً على المجتمـع ؛ وكم رأينا دولاً إستكملت من العلوم والإختراع وفنون القتال وأسباب القـوة والبطش مـا جعلها تبسط سلطانها ونفوذها وتتوسع في فتوحها وغزواتها لاتلبث أن تنحـدر إنحداراً سريعـاً نحو الإنكـماش والتضاؤل ؛ ولاتلبث أن تفقـد سريعاً مكـانتهـا العالية التي كسبتها بفعل القوة الغاشمـة ؛ وقد يؤول أمـرها إلى الـزوال والإضمحـلال وسر ذلك أنّها إكتفت بـالعلوم والإختراع والقـوة وتركت مكـارم الأخلاق وسبـل الحق والإنصاف ؛ وقـديمـاً قـالـوا : إن الأُمم الأخلاق ؛ وإذا فقدت الأنفس البشريـة فضيلتي الأخلاق والعلوم كـان الإنسان في هذه الحالة الدنيا أقرب إلى البهائم من كل شيء آخر في هـذه الحياة لوضوح أن كمال كل شيء في ماإختص به ؛ فكمال الفرس في العدو السريـع وإذا عجز عن ذلـك نزل منـزلة الحمـير ولايستحق سـوى حمـل الأثقال ؛ وكمال السيف في صرامة القطع فـإن فقدهـا نبذه الشجعـان ؛ وكـمال الإنسان في فضيلتي الأخـلاق والعلم وإن فقدهمـا نزل إلى مـرتبة ﴿ أُولئك كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا ﴾ .

الخلاصة

وصفـوة القـول : أنّ محنـة الأخـلاق أشـد المحن ؛ وبـالتعـاليم

الأخلاقية نادى الأنبياء (صلّى الله عليه وآله) والحكماء والفلاسفة والمصلحون والمهيمنون على تربية النشء وتعليمه في مختلف العصور ؛ لأنّها روح الدين والإيمان ووسيلة إتحاد الأُمّة وقوة النهضة السياسة ومحور الحركة الوطنية والسد المنيع دون تأثير المبادىء الهدامة في المجتمع .

التأثير العقلي

والخلق في علم الإجتماع شبيه بالعنصر الثابت لكل نوع من أنواع الكائنات ؛ فخلق كل أُمّة هو علة تطورها في حياتها ؛ وهو يقرر مستقبلها وأمّا التأثير العقلي فضعيف على تفاوت فيه ؛ ولقد كان العرب أيام سقوطهم ذوي عقول أرقى من عقول أجدادهم القاهرين ؛ ولكنّهم سقطوا لأنّهم فقدوا صفاتهم الأخلاقية التي كانت السبب في عظمة آبائهم الأوّلين ؛ فأضاعوا الجد والمثابرة والعزيمة الصادقة والجلد الذي لايعرف الوهن ؛ وفقدوا المقدرة على التفاني في نصرة الحق والدين ؛ ولا بد لهم من الرجوع إلى ماكانوا عليه وما هذا الإنحطاط إلاّ عوارض موقته سببتها بعض الطوارىء وهي لاتلبث أن تزول ؛ فإذاً يمكن للأُمة أن تسير إلى الرقي بقليل من العلم والعرفان وتبلغ ذرى المجد والسؤدد متى كان الخلق الصحيح سائداً بين أفرادها .

النتيجة

فالخلق هو الذي ستقوم عليه النهضة العربية والإسلامية المنشودة .

***

محاضرة الإمام الزنجاني

المثل الأعلى للأدب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأدب بإعتباره المعبر عن الأغراض السامية ؛ والواصف للحقائق الراهنة والمستشف ألطف ما يتحرك به الحس في أطواء النفس ؛ والمصور لظواهر الوجود ومظاهر التصورات كما هي من غير خداع أو تزوير ؛ والدافع للأديب إلى أن يحسن التصور والتصوير لما يراه ويحس به ؛ وراسم الألواح البديعة الملونة من وحي الجمال ؛ وجاعل صور الحقائق المستقرة في الأذهان منيرة أخاذة بالألباب ؛ لا يمكن تعريفه بما يزيده إشراقاً فإنّ في وصفه شيئاً من تقليل بهجته وإخفاء حقيقته ؛ كالسحر إن حاولت تعريفه ضاع أثره ؛ وإنّما هو شعلة تضيء آفاق النفوس والأرواح ؛ وقوة إلهية تفعل فعلها في القلوب فتؤدي إلى غاية سامية هي صفاء النفس وسمو الروح وتحريرهما من سلطان المادة وفتنة الرذيلة ؛ وتحلية النفس بالفضيلة باعتبارها أهم غايات الخير الذي تدعوا إليه الأديان السماوية .

وللأدب مراتب ودرجات في بعضها سرّ السحر ؛ وفي بعضها رمز الإعجاز وبعضها يكشف عن سرٍّ عظمة النفس وأرقاها نفحة من نفحات النبوة التي غمرت الدنيا بالحكمة والمعرفة واليقين ؛ وكفاه فخراً أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إفتخر به في قوله (صلّى الله عليه وآله) : « أُوتيت جوامع الكلم » . والمثل الأعلى لهذا الأدب هو « الإلهي » أدب القرآن الكريم الذي هو أعلى المعجزات بإسلوبه الرباني

في آياته المؤلفة من حروف التهجي التي هي مواد الكلام الإنساني لأنّه تصوير خالق الصور ؛ وتعبير خالق الكلام ؛ ولذلك قد حوى غاية ما يمكن من دقة التصوير ؛ وروعة التعبير ؛ وشرف الغاية ؛ وقوة الروح ؛ وهذا الأدب الإلهي خاطب العقول والسرائر والحواس والمشاعر ؛ وجاء بالحجة الفاصلة ؛ والحكمة الفاضلة ؛ والمنطق الصادع ؛ والفكر الساطع ؛ فرفع النفوس والأرواح إلى أرفع الغايات ؛ ورفع أمماً عن حضيض الجهالة وظلام الضلالة إلى ذروة الشرافة ومرتقى السعادة في الدنيا والآخرة ؛ وأحال القلوب المشوية بنار الحقد والغل والضغينة وحب سفك الدماء إلى قلوب تضيء بنور الله وتنفتح بروح الله .

القرآن الكريم حقيقة الأدب ومصداقة الأعلى فلا غرو أن لا يوجد فيه لفظ الأدب لأنّ حضور المصداق يغني عن توسيط اللفظ الدال على المفهوم الحاكي عن ذلك المصداق ؛ وقد قرر في بعض العلوم أن في باب الحكايات أي عندما يطلق اللفظ ويراد به شخصه مثل : « زيد لفظ » موضوع القضية هو ذات الموضوع بوجوده الخارجي لا لفظه المعبر عنه إذ لا حاجة إلى اللفظ حينئذ ؛ ومن المقرر في الفلسفة أنّ حضور الشيء عند الإنسان بوجوده الخارجي يغني عن الإستعانة بوجوده اللفظي ووجوده التحريري ؛ فلا مبرر لإستغراب بعض الأساتذة ذلك ؛ ولعلهم ينظرون إلى القرآن كما ينظرون إلى موسوعات اللغة فيفحصون فيه عن مواد اللغات ؛ كما أنّ أمثالهم في الناس من إكتفى بشرحه اللغوي ومنهم من جد ليعرف سرّ بلاغته وتأثيره على العواطف ؛ ومنهم من أخذ في ترتيله دون التفقه في معناه ومنهم من عده ككتاب أدبي قد مضى وقته وأفل زمانه ؛ ومنهم من ظنه لتهذيب القابليّة الفنيّة فقط ؛ ومنهم من نظر إليه كوثيقة تاريخية ؛ ومنهم من حاول أن يجاري العلم الحديث في فهمه

ساعياً لتأويل آياته على حسب الزمن الحاضر فكأنّه عندهم الزمن الذي إكتشف كل الغوامض وأسرار الكون ؛ وغفلوا عن أنّ العلم الحديث وقتي زائل والقرآن ثابت خالد ؛ ﴿ وما يعلم تأويله إلاّ الله ﴾ أمّا الذين تلقوه بعقولهم وأفئدتهم ؛ وتذوقوا الواسع من أدبه المعجز ؛ فأولئك الذين إقتبسوا من نوره وإستضاؤوا بضيائه وأولئك حزب الله ألاّ إنّ حزب الله هم المفلحون ؛ إنّ الأوضاع تتطلب إعداد ثقافة أدبية دينية علمية دعامتها القرآن ؛ وأساسها العلم ؛ وغايتها بث روح الفضيلة ؛ ونشر الحقائق الراهنة ؛ وإستنفاذ الشباب مما أصابهم من الوهن والفتنة ؛ وغير خفي أنّ المسلمين في أشد الحاجة إلى المزيد من المؤلّفات الأدبية الثقافية الإسلامية حتى تهذب من ثقافتهم ؛ وتفسح في ملكاتهم ؛ وترهف من حسهم وتتحدث عنهم وتدلي بحاجاتهم وتذود عن حقوقهم ؛ وكرامة دينهم ؛ وتترجم عن آمالهم وآلامهم وتهديهم إلى المثل العليا ؛ والله سبحانه ولي التوفيق .

محاضرة الإمام الزنجاني

المثل الأعلى للبيان

البيان : هو الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان ؛ لأنّه من أبرز آثار النفس الناطقة ؛ ومن أظهر أسباب معرفتها : « ومن عرف نفسه فقد عرف ربّه » .

ومن المقرر في العلوم أن الألفاظ موضوعة للمعاني العامة ؛ فالميزان مثلاً هو المعيار الذي يوزن به شيء أيّا كان شكله ومادته وصورته ومن أي مقولة من المقولات العشر كان الموزون ؛ وبهذا المعنى صحّ إطلاق الميزان على علم المنطق لأنّه معيار الفكر ؛ وأعتبر أيضاً علم العروض ميزان الشعر .

و « الكتـاب » مـا ينقش فيـه شيء كيفـما كـان شكله ووضعـه وعنصره ؛ وعليه صحّ تقسيمـه في الفلسفة إلى كتـاب تدويني ؛ وكتـاب تكـويني ؛ وتقسيم الكتـاب التكـويني إلى كتـاب آفـاقي وكتـاب أنفسي والمعنى الأخـير هـو المـراد بقـولـه تعـالى : ﴿ إنّ كتـاب الأبـرار لفي عليين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ إنّ كتاب الفجار لفي سجّين ﴾ .

« والكلمة » معناهـا العام ، المعـبر عما في الضمـير ؛ والمعرفـة لأمر خفي ؛ وبهذا المعنى جاز إستعمالها في المخلوقات لقولـه تعالى في الحـديث القـدسي « كنت كنـزاً مخفيـاً فـأحببت أن أعـرف فخلقت الخلق لكي أعرف » وجاء في القرآن الكريم ﴿ وكلمـة منه إسمـه المسيح ﴾ وورد في الحديث « نحن كلمات الله التّامات » .

« والبيـان » بمعنـاه العـام ـ أي مـايتبـين بـه الشيء من الـدلالـة والفصاحة وغيرها ـ شامل لجميـع درجات الإفصـاح والتعبير والأدب ؛ على إختلاف كيفياتها وأقسامها ؛ ويعم النطق الظاهري والنطق البـاطني ـ إي إدراك الكليات ـ المعبر عنـه بالعقـل على إختـلاف مراتبـه المبينة في الفلسفة من العقل الهيولائي ؛ فالعقـل بالملكـة ؛ ثمّ العقل المستفـاد ؛ وينتهي إلى العقل بالفعل البالغ درجة ﴿ يكاد زيتها يضيء ولـو لم تمسسه نار ﴾ .

وسرّ هـذه المراتب أن للنفس النـاطقة في بـدء خلقتها قـوة تحصيـل الكمالات وهذه المرتبة تسمى « العقل الهيولائي » ؛ وبعد إستكمالها لهذه القوة بالنسبة إلى أحد المتقابلين يحصل لهـا إستعداد تحصيـل الكمالات ؛ وتسمّى هذه المرتبة « العقل بالملكة » ؛ والفرق بين الإستعـداد والقوة في مصطلح الفلاسفة أنّ القوة تكون بعيدة والإستعـداد يكون قـريباً ؛ وأنّ القوة على الضدين سواء ؛ والإستعداد على الضـدين لايكون سـواء فإنّ

كل إنسان يقوى على أن يفرح ويحزن ؛ إلاّ أنّ منهم من هو مستعد للفرح فقط ومنهم من هو مستعد للغم فقط .

والتدرج في مراتب الكمال يسمّى « العقل المستفاد » وفعلية الكمالات تسمّى « العقل بالفعل » .

ومن الواضح أنّ النفس الناطقة لاتستطيع أن تصل إلى الكمال الذي لها قوة الوصول إليه إلاّ بتأثير أمر خارجي ؛ لأنّ ذات النفس لو كانت كافية في حصول كمالها المطلوب لحصل ذلك الكمال لها فعلاً حين وجودها ولم يكن بالقوة ؛ والمفروض بل المحسوس أنّه كمال لها بالقوة لابالفعل ؛ فلا بد من محرك خارجي يحرك النفس الموجودة نحو الكمال المطلوب لها بالقوة ليكون الكمال فعلياً لها ؛ وهذا التحريك هو « التعليم » والمحرك هو « المعلم » والكمال هو « العلم » الذي صفة إبداعية للنفس الناطقة .

فالعلوم ـ وهي كمالات النفس الناطقة المجردة ذاتاً ـ لاتتحيز في مكان ولاتختص بجهة لأنّ المكان والجهة من لوازم المادة ؛ فالعلوم كالنفس المتصفة بها لاتوصف بالشرقية ولا بالغربية توصيفاً حقيقياً ؛ ولكنّها توصف بهما توصيفاً مجازياً لأجل أن تدوينها أو تعليمها كان في الغرب أو في الشرق ؛ وهذا توصيف عرضيّ خارج عن حدود ذواتها ؛ ومن باب وصف الشيء بصفة متعلقه ؛ فلا يوجب تكثراً ولا تبايناً في جواهر العلوم ؛ وبما أنّ النفس مفطورة بطلب الكمال أي « العلم » مطلقاً حثت الأديان الإلهية ؛ سيّما الدين الإسلامي العام الخالد على طلب العلم ولو بالصين ؛ وجعل طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة من دون تفريق بين ماكان تدوينه في شرق أو غرب .

ولكن تجب رعاية الترتيب في تعلم العلوم ؛ لأنّ العلم بمثابة الغذاء

للروح فكما أنّ أغذية الجسد تختلف بإختلاف الحالات والمناسبات فالصالح من الأغذية للشاب لايصلح للطفل الرضيع ؛ والصالح للصحيح لايصلح للمريض والصالح للمزاج القوي لايصلح للمزاج الضعيف ؛ فكذلك العلوم يجب أن يلاحظ في تعليمها وتعلمها إستعداد المتعلم بروحه ونفسه ومحيطه وبيئته ؛ وأن يراعي الأصلح منها فالأصلح ؛ والأهم فالأهم ! وهذا سرّ تقسيم العلوم إلى إبتدائية ومتوسطة وعالية ؛ وهو السبب لرعاية الأقدمين الترتيب الطبيعي في موضوعات العلوم لكي ؛ يتكون للمتعلّم في العلم السابق بحسب الترتيب إستعداد تحصيل العلم اللاحق على وجه يترتب عليه الأثر المقصود منه ولأجل ذلك أوجب الحكماء ؛ والفلاسفة أن يقدم تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية التي مبادئها حسية على الشروع في علم المنطق ويقدم تعلم المنطق على دراسة الفلسفة ؛ وإهمال هذا الترتيب وتلك الحكمة يؤدي إلى الفوضى الثقافية التي تخشى مغبتها .

ومن هذا البيان الموجز ظهر سرّ بديع في ما جاء في كتاب الله المعجز الخالد من قوله تعالى « علّمه البيان » بعد قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان ﴾ .

وأبدع من ذلك تقديم قوله تعالى ﴿ علّم القرآن ﴾ . على الآيتين المار ذكرهما ؛ والسرّ فيه أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلّمه البيان ؛ وخلق « المثل الأعلى للإنسان » وهو الإنسان الكامل الأكمل رسوله الخاتم وعلمه « المثل الأعلى للبيان » بأنّ أوحى إليه القرآن رحمة منه تعالى على بني نوع الإنسان الذين خصهم بالتكريم الإلهي وخلق لهم ما في الأرض جميعاً ؛ فتذكيراً لهم برحمته الشاملة بدء السورة بكلمة

« الـرحمن » وبما أنّ « المثـل الأعلى للبيـان » غايـة الغايـات أردفها بقولـه تعالى : ﴿ **علّم القرآن** ﴾ . رزقنا الله تعالى فهم كلامه ؛ والسـلام على من سمع القول فاتبع أحسنه .

***

الفهرس

الجزء الثاني

صفحة من رحلة الإمام الزنجاني

وخطبه

في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية

١٤١٧ هـ
١٩٩٦م

فهرس الجزء الثاني

من كتاب صفحة من رحلة الامام الزنجاني

الخطبة الأُولى

الموضوع	الصفحة

الخطبة الثانية

الموضوع	الصفحة

الخطبة الثالثة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الخطبة الرابعة

الموضوع	الصفحة

الخطبة الخامسة

الموضوع	الصفحة

الخطبة السادسة

الموضوع | الصفحة

الخطبة السابعة

كتاب المثل العليا

مقدمة

الموضوع	الصفحة

* * * * *

تم

الجزء الثاني

صفحة من

رحلة الإمام الزنجاني

وخطبه

اخراج وتنقيح

حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع
حسن محمد إبراهيم علي الكتبي

واليكم بعض المنشورات
كما تزودكم بكتب دور النشر الأخرى

١ ـ عبقري من بلادي ـ كامل الصباح الذي اخترع ٧٦ اختراعاً وكان نابغة إسلامية عربية . . . .
٢ ـ صلح الحسن ـ الشيخ راضي آل ياسين . . . .
٣ ـ علي من المهد إلى اللحد ـ كاظم القزويني وملحق به الكتاب الثاني الإمام علي والعلوم الطبيعية
٤ ـ البراهين العلمية في إثبات القدرة الإلهية ـ مائة دليل وبرهان على وجود الخالق: الشيخ عبد الجبار
٥ ـ مصابيح الجنان ـ مع الصحيفة السجادية ـ كبير
٦ ـ ضياء الصالحين ـ للجوهرجي (بسحاب)
٧ ـ مفاتيح الجنان ـ للقمي، (بسحاب) . . . .
٨ ـ معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين ـ للحائري، (مجلدين) . . . .
٩ ـ الثقلان الكتاب والعترة ـ للشيخ محمد حسين المظفر، وملحق به الكتاب الثاني مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية للشيخ محمد أمين زين الدين
١٠ ـ يوم الإسلام ـ تأليف أحمد أمين . . . .
١١ ـ مراسلات في عقائد الشيعة الإمامية ـ للسيد محمد علي الحسني العاملي ـ يغنيك عن كل كتاب
١٢ ـ طب الإمام الرضا (ع) ـ الرسالة الذهبية . . . .
١٣ ـ كشكول البحراني ـ (٣ مجلدات) . . . .
١٤ ـ القصص العجيبة ـ عبد الحسين دستغيب . . . . . .
١٥ ـ المكاسب ـ للشيخ الأنصاري (٣ مجلدات) . . . . .
١٦ ـ مدينة المعاجز ـ معاجز آل البيت للبحراني (٥ مجلدات) . . . .
١٧ ـ معالم المدرستين ـ مرتضى العسكري (٣ مجلدات)
١٨ ـ من حياة الإمام الرضا (ع) ـ المعصومة (ع) ـ السيد عبد العظيم الحسني ـ البهائي تأليف علي العيلي
١٩ ـ المحجة فيما نزل في القائم الحجة ـ للبحراني . . . . . .
٢٠ ـ الفرج بعد الشدة ـ للقاضي التنوخي، (مجلدين)
٢١ ـ مصباح الكفعمي ـ بحلة جديدة وحرف واضح (مجلدين) . . . .
٢٢ ـ الكنز المدفون والفلك المشحون ـ دائرة معارف ـ أو كشكول ـ للسيوطي . . . .
٢٣ ـ الدر الثمين في التختم باليمين ـ للطبسي . . . . . .
٢٤ ـ أخلاق أهل البيت ـ للسيد مهدي الصدر . . . . . .
٢٥ ـ فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى من مهدها إلى لحدها (مجلدين) أحمد الرحماني . . . .
٢٦ ـ سياحة في الغرب أو مصير الأرواح بعد الموت مع خطبتان للإمام علي بلا ألف وبلا نقط وقصيدة الكوثرية وقصيدة محمد مجذوب . . . . . .
٢٧ ـ فرائد الأصول ـ رسائل الشيخ الأنصاري، (مجلدين)
٢٨ ـ نقد الآراء المنطقية وحل مشكلاتها ـ كاشف الغطاء (مجلدين) . . . .
٢٩ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام تأليف آية الله السيد حسن الصدر . . . .
٣٠ ـ الرسائل التوحيدية ـ للسيد محمد حسين الطباطبائي
٣١ ـ زواج بغير احوجاج ـ السيد حسين الشامي . . . . . .
٣٢ ـ الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب نقله إلى العربية الدكتور نور الدين آل علي . . . .
٣٣ ـ الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد ـ السيد محسن الأمين العاملي . . . .
٣٤ ـ أسرار الشهادة ـ الدربندي بحلة جديدة وحرف واضح (مجلدين) . . . .
٣٥ ـ تفسير فرات الكوفي بحلة جديدة وحرف واضح (مجلدين) . . . .
٣٦ ـ مفتاح الجنة ـ في الأدعية والزيارات وتعليم الصلاة/ حسن الكتبي . . . .
٣٧ ـ الحجاب أو العفاف بين السلب والإيجاب محمد أمين زين الدين . . . .
٣٨ ـ فضائل أهل البيت المسمى بـ «بصائر الدرجات» محمد الصفار . . . .
٣٩ ـ رحلة الزنجاني للمرحوم الشيخ عبد الكريم الزنجاني (مجلدين) . . . .
٤٠ ـ مختصر النحو ـ الدكتور هادي الفضلي .
٤١ ـ الإمام المهدي(ع) وظهوره، الغيبة الصغرى، والغيبة الكبرى وعلامات الظهور . للشهرودي .
٤٢ ـ إسلام إمرأة ـ بسام مرتضى . . . .
٤٣ ـ التربية بين الإسلام والنظم الوضعية ـ بسام مرتضى
٤٤ ـ دروس في المنطق ـ بسام مرتضى . . . .
٤٥ ـ الإشارات والتنبيهات ـ لأبي علي ابن سينا، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق الدكتور سليمان دنيا (٤ مجلدات) . . . .
٤٦ ـ الشعاع في علماء بعلبك والبقاع.
٤٧ ـ التوبة إلى الله

مؤسسة النعمان — الأسعار قابلة للتعديل حسب ارتفاع كلفة المواد — ص. ب. : ٢٦٩ / ٢٥

لبنان بيروت حارة حريك ـ شارع دكاش ـ بناية الكنار ـ شاهين سنتر
ترسل الحوالات على حسابنا في بنك الاعتماد اللبناني باسم حسن محمد إبراهيم علي
حساب رقم: 16.01.180.16259.00.00 فرع الغبيري ـ بيروت ـ لبنان أو شك مضمون على البنك
فاكس: مؤسسة النعمان 0035744 25848

مؤسسة النعمان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - ص.ب ٢٥/٢٢٩